

فضاء السجن في رواية 'يا صاحبي السجن' لأيمن العتوم: دراسة تحليلية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

قدّمها

محمد سهيل بي بي

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور عبد المجيد ت أ

رئيس قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت



جامعة كاليكوت

كيرالا، الهند

٢٠٢٥ م

المحتويات

٣.....	مقدمة البحث.....
٦.....	تحليل العنوان.....
١١.....	دوافع اختيار الموضوع.....
١٢.....	مشكلة البحث.....
١٢.....	أسئلة البحث.....
١٣.....	أهداف البحث.....
١٤.....	منهج البحث.....
١٤.....	الدراسات السابقة.....
١٧.....	تنظيم البحث.....
١٨.....	نقاط الضعف والقصور.....
١٩.....	الشكر والتقدير.....
٢٠.....	الباب الأول: أدب السجون: الملامح العامة.....
٢١.....	الفصل الأول: مفهوم السجن: لغة واصطلاحاً.....
٢٦.....	الفصل الثاني: أدب السجون تعريفه وأنواعه.....
٤١.....	الفصل الثالث: البناء الفكري والفني لأدب السجون.....
٥٥.....	الفصل الرابع: أدب السجون في الأدب العربي.....
٧١.....	الباب الثاني: الحياة الشخصية والأدبية لأيمن العتوم.....
٧٢.....	الفصل الأول: الحياة الشخصية لأيمن العتوم.....
٧٦.....	الفصل الثاني: موضوع الأعمال الأدبية لأيمن العتوم.....
١٠٨.....	الفصل الثالث: المقابلة المباشرة مع الكاتب أيمن العتوم.....
١٢٥.....	الفصل الرابع: عبقرية العناوين ودقتها في روايات أيمن العتوم.....
١٤١.....	الفصل الخامس: أدب السجون عند أيمن العتوم.....

الباب الثالث: رواية يا صاحبي السجن لأيمن العتوم: دراسة وتحليل.....	١٤٩
الفصل الأول: دراسة تحليلية لرواية يا صاحبي السجن.....	١٥٠
الفصل الثاني: خلاصة رواية يا صاحبي السجن.....	١٦٨
الفصل الثالث: التناس في رواية يا صاحبي السجن.....	١٧٣
الباب الرابع: فضاء السجن في رواية يا صاحبي السجن: دراسة تحليلية.....	٢١٨
الفصل الأول: المشكلات السياسية والحقوقية في رواية يا صاحبي السجن.....	٢١٩
الفصل الثاني: المشكلات النفسية في رواية يا صاحبي السجن.....	٢٣٨
الفصل الثالث: المعاناة الجسدية في رواية يا صاحبي السجن.....	٢٥٨
الفصل الرابع: المشاعر الإنسانية والوطنية في رواية يا صاحبي السجن.....	٢٧١
خاتمة البحث.....	٣٠٦
نتائج البحث.....	٣٠٦
التوصيات والاقتراحات.....	٣١٣
قائمة المصادر والمراجع.....	٣١٤

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، البحث العلمي هو وسيلة من وسائل الكشف عن الحقائق وتوسيع آفاق المعرفة، وهو جهد يقوم به الباحث خدمة للعلم والمجتمع. لذا يقوم الباحث بالبحث عن عنوان "فضاء السجن في رواية "يا صاحبي السجن" لأيمن العتوم: دراسة تحليلية"، محاولاً بيان التجربة الإنسانية في فضاء القيد، من خلال رؤية أدبية وفكرية عميقة.

الأدب مرآة الشعوب، وذاكرة الأمم، وأحد أبرز الوسائل التي تحفظ تجارب الإنسان ومعاناته عبر العصور.¹ وإذا كان الأدب في مجمله يعبر عن الإنسان في علاقته بالعالم، فإنّ أدب السجن يعكس أصدق المشاعر وأدفاها في هذا السياق، لأنه ينبع من خبرة الحياة العميقة، يلاقي فيها الفرد ذاته وجسده وروحه.

وقد صار السجن، على مرّ التاريخ محورا أساسيا في الأدب العالمي. وتناوله كبار المفكرين مثل سقراط الذي سجّل تأملاته الأخيرة في السجن قبل إعدامه،² وبوثيوس في كتابه عزاء الفلاسفة أثناء اعتقاله في روما،³ وجون بانينان في رحلة الحاج التي صاغها في السجن.⁴ في العصر الحديث، وألف دوستوفسكي روايته زكريات من بيت الأموات التي تتحدّث معاناة السجن في سيبيريا.⁵

¹ بلزاك، أونيريه دو، رواية: الكوموديا الإنسانية، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ١٠٢.

² سقراط، كتاب في الفلسفة: اعتذار سقراط، ترجمة- فؤاد زكريا، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٨٨م.

³ بوثيوس، كتاب في الفلسفة: عزاء الفلاسفة، ترجمة- إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.

⁴ بانينان، جون، رواية: رحلة الحاج، ترجمة- صبيح الفن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.

⁵ دوستوفسكي، رواية: زكريات من بيت الأموات، ترجمة- سامي الدروبي، دار التقدم، بيروت، ١٩٧١م.

أمّا في الأدب العربي، لقد برز أدب السجون منذ العصر الجاهلي كوسيلة للتعبير عن معاناة الأسر والسجن، حيث انعكست هذه التجارب في أشعار الشعراء الذين تعرضوا للأسر أو النفي القسري. ومع تطوّر السياق التاريخي، ازداد ظهور السجن في النصوص الشعرية والنثرية. تجلّى موضوع السجن في تجارب متنوعة منها أشعار الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي والشاعر المخضرم الحطيئة والشاعر الأموي يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري والشاعر العباسي أبي فراس الحمداني⁶ والشاعر الأندلسي المعتمد بن عباد⁷ وغيرهم. وتميز الأدب العربي الحديث بظهور الروايات في هذا الموضوع مثل رواية *وراء القضبان* لأحمد حسين المصري التي تعد أول رواية في هذا النوع،⁸ ورواية *الكرنك* لنجيب محفوظ⁹، و*تلك العتمة الباهرة* للطاهر بن جلون.¹⁰ ويمنح هذا الامتداد التاريخي أدب السجون مكانة خاصة، لكونه لا يقتصر على الجانب الفني، بل يعبر أيضاً عن تجربة إنسانية وفكرية سياسية عميقة.

وفي هذا السياق يبرز اسم أيمن العتوم الشاعر الروائي الأردني المولود سنة ١٩٧٢م، الذي قدّم إسهاماً مميّزاً في أدب السجون. فخاض في تجربة الاعتقال سنة ١٩٩٦م وهو في مطلع شبابه، وجعل منها مادة فنية أساسية مهّدت لظهور روايته الشهيرة *يا صاحبي السجن* التي صدرت سنة ٢٠١٢م، هذه الرواية لا تقتصر على كونها تسجيلًا ليوميات السجن، بل نصّ مركّب يجمع بين السيرة الذاتية والأبعاد الشعرية، وبين السرد الروائي والرؤية الفلسفية. "تدور أحداث الرواية حول الكاتب نفسه أيمن العتوم، الذي قضى مدة ثمانية شهور بتهمة

⁶ أبو فراس الحمداني هو شاعر وأمير عباسي مشهور بالحماسة والفخر (٩٣٢م-٩٦٨م)

⁷ المعتمد بن عباد هو ملك أندلسي وشاعر راق مشهور بالغزل والحكمة (١٠٤٠م-١٠٩٤م)

⁸ الموقع الإلكتروني: <https://raseef22.net/article/24848-prison-literature-series-in-the-arab-world>. تاريخ الاسترجاع: ٢٠/٥/٢٠٢٠م.

⁹ محفوظ، نجيب، رواية: *كرنك*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

¹⁰ بن جلون، الطاهر، رواية: *تلك العتمة الباهرة*، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢م.

إطالة اللسان على الملك بسبب قصيدته يوميات مواطن ألقاها في أمسية شعرية سنة

١٩٩٦م.¹¹

استطاع الكاتب في الرواية أن ينقل تجاربه في السجن بلغة راقية وأسلوب رائع، وأغناها بالاقتراسات الدينية والأدبية والفكرية، وجعل نصه غنيا يجمع بين البعد الإنساني والجمال الفني. وصوّر أيمن العتوم في روايته *يا صاحبي السجن* الفضاء بأبعاد متعددة: مكان مادي ضيق يقيد الجسد، وفضاء نفسي يختبر الصبر والقدرة على التحمل، فهو فضاء رمزي يعكس عن كل أشكال القهر التي يعانيها السجن. وفي نفس الوقت السجن يصبح فضاء للتحرر الداخلي وفرصة للتأمل في الذات والوجود والحرية.

ومن هذا المفهوم، اعتمد الباحث منهجا تدريجيا في تناول موضوعه، وبدأ بتوضيح مفهوم أدب السجن وبيان أصوله اللغوية والاصطلاحية، ثم يربطه بجذور الظاهرة في التراث الأدبي العربي القديم والحديث مع الأدب الأردني الذي ينتهي إليه النص المدروس. وبعد ذلك، تناول الباحث دراسة شخصية للكاتب وأعماله الأدبية، نظرا لأثرها في تكوين رؤيته وصياغة تجربته السردية. ثم قام الباحث بدراسة خاصة عن رواية *يا صاحبي السجن* دراسة تحليلية تكشف ببنائها الفني وعناصرها الجمالية، مستندا إلى المقابلات الشخصية المباشرة والدراسات السابقة عن أعماله. وأخيرا سعى الباحث إلى تحليل فضاء السجن في الرواية من منظور شامل يشمل أبعاده الواقعية والسياسية والحقوقية والنفسية والجسدية وغيرها، سعيا لتقديم صورة كاملة لتجاربه في السجن، وإبراز قيمتها الفكرية والإنسانية والجمالية.

¹¹ نوال، عبد الدائم، رسالة ماجستير: *أدب السجن عند أيمن العتوم من خلال روايته: "يسمعون حسيها" و"يا صاحبي السجن"*، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، ٢٠٢١م، ص ١٠٧.

تحليل العنوان

قبل الدخول في مباحث الموضوع، يقوم الباحث هنا بتحليل عنوان البحث: "فضاء السجن في رواية "يا صاحبي السجن" لأيمن العتوم: دراسة تحليلية".

فضاء السجن: فكلمة "فَضَاء": "مشتقة من فعل "فَضَا يَفْضُو فُضُوًّا فَهُوَ فَاضٍ"¹² بمعنى اتسع وانفسح، أي أصبح واسعاً وممتداً، ومصدره الصريح فُضُوٌّ، والعرب صاغوا منه على وزن "فَعَال" اسم المصدر "فَضَاء" للدلالة على السَّعة والانفراج. وقد غلب الاستعمال لـ "فضاء" بدل "فُضُوٌّ" لسهولة لفظه وشيوعه. ويشير إلى "المكان الواسع من الأرض"¹³ وجاء في لسان العرب أن "الفَضَاء: الساحةُ وَمَا اتَّسَعَ مِنَ الْأَرْضِ"¹⁴. وفي معجم الوسيط ورد: "الفضاء: المكان الواسع الممتد الذي لا يحده جدار أو قيد"¹⁵. ويقول معجم مقاييس اللغة إن: "كلمة "فضى" الفاء والضاد والحرف المعتلّ أصل صحيح يدل على انفساح في الشيء واتساع، من ذلك الفضاء: المكان الواسع"¹⁶. تشير أغلب القواميس اللغوية إلى أن معنى الفضاء يتعلق بالاتساع والفسحة والمباعدة، ويعتبر بذلك نقيضاً للضيّق، مما يعكس دلالة الكلمة على الامتداد والانفتاح في الأبعاد المكانية والمعنوية على حد سواء.

أمّا في الاستعمال الاصطلاحي الحديث، فقد تطور معنى "الفضاء" ليشمل كل حيز مادي أو معنوي يُمارس فيه النشاط الإنساني، سواء كان مكاناً جغرافياً أو مجالاً فكرياً. ومن ثمّ، فإن لفظ "فضاء" هنا يتجاوز بعده المكاني ليشير إلى الحيز الرمزي والنفسي الذي يعيشه السجين داخل أسوار المعتقل. كما أشار الباحث شريط "أن الباحث المغربي الأستاذ الدكتور سعيد

¹² ابن منظور، معجم: لسان العرب، تحقيق- عبد الله الكبير، دار صادر، بيروت، ج ١٥، ١٩٩٤م، ص ١٥٧.

¹³ ابن منظور، معجم: لسان العرب، تحقيق- عبد الله الكبير، دار صادر، بيروت، ج ١٥، ١٩٩٤م، ص ١٥٧.

¹⁴ ابن منظور، معجم: لسان العرب، تحقيق- عبد الله الكبير، دار صادر، بيروت، ج ١٥، ١٩٩٤م، ص ١٥٧.

¹⁵ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم: الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤٥٣.

¹⁶ بن زكريا، ابن فارس، معجم: مقاييس اللغة، تحقيق- عبد السلام محمد بن هارون، دار الفكر، بيروت، ج ٤، ٢٠٠١م، ص ٥٠٨.

علوش هو أول من أدخل مصطلح الفضاء إلى المعجم العربي الحديث من اللغة الفرنسية، وذلك حسب دلالاته الجديدة، وكما أشيعت في الدراسات الغربية المعاصرة، إذ أورد جل تعاريف هذا المصطلح في معجمه معجم *المصطلحات الأدبية المعاصرة*.¹⁷ فما يريد الباحث بمفهوم فضاء السجن في هذا البحث هو "لا يقتصر على كونه مكانا ماديا تحبس فيه الأجساد، بل هو مفهوم أوسع وأعمق يشمل الجوانب النفسية والاجتماعية والفكرية التي يعيشها السجن داخل هذا المكان". كما أشارت إليه الباحثة الأردنية جمانة صوّان في رسالتها *فضاء السجن في الرواية العربية: دراسة نقدية*¹⁸، والباحثة الجزائرية عمران وردة في رسالتها *فضاء السجن في رواية "نزلاء الحرّاش" للحيّيب السائح*.¹⁹

أمّا كلمة "السّجن": فهي اسم مصدر مشتقّ من فعل "سَجَنَ يَسْجُنُ سَجْنًا فهو سَاجِنٌ"²⁰، بمعنى حبسه ومنعه، أي "السجن: مكان يُحْبَس فيه الإنسان للعقوبة أو غيرها"²¹. ومصدره الصريح "السّجْن"، والعرب صاغوا منه الاسم "السّجن" للدلالة على الموضع الذي يُحْبَس فيه الإنسان.²² وفي معجم الوسيط: "السجن هو الحبس في مكان خاص يُعدّ لمعاقبة المجرمين أو المخالفين، أو لعزل المعارضين السياسيين"²³. وفي الاصطلاح، أصبح السجن مؤسسة رسمية تمارس من خلالها السلطة أدواتها في تقييد حرية الأفراد، سواء لأسباب جنائية أو سياسية أو فكرية.²⁴

¹⁷ تواتي، خالد، مقالة: *مصطلح الفضاء: من الأصل اللغوي إلى الوضع الاصطلاحي في النقد العربي المعاصر*، مجلة أنساق، دار نشر جامعة قطر، قطر، ج ٣، ع ٢، ٢٠١٩م، ص ٤٩.

¹⁸ صوّان، جمانة، رسالة الماجستير: *فضاء السجن في الروايات العربية*، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠١٦م.

¹⁹ وردة، عمران، رسالة الماجستير: *فضاء السجن في رواية نزلاء الحرّاش للحيّيب السائح*، جامعة البويرة، الجزائر، ٢٠٢٤م، ص ٦-٩.

²⁰ ابن منظور، معجم: *لسان العرب*، تحقيق- عبد الله الكبير، دار صادر، بيروت، ج ١٥، ١٩٩٤م، ص ١٣١.

²¹ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم: *الوسيط*، دار الدعوة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤٤٧.

²² ابن منظور، معجم: *لسان العرب*، تحقيق- عبد الله الكبير، دار صادر، بيروت، ج ١٥، ١٩٩٤م، ص ١٣١.

²³ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم: *الوسيط*، دار الدعوة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤٤٧.

²⁴ مقالة: *دليل النهج القائم على حقوق الإنسان لمكافحة استخدام القوة*، مجلة حقوق الإنسان والسجون، مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، ع ١١، ٢٠٠٤م، ص ١٥.

فالتركيب "فضاء السّجن": لفظان متناقضان لأنّ "الفضاء" يعني اتساعاً، و"السجن" يعني قيداً وضيقاً. وهذا التركيب المتضاد يفتح الباب أمام دلالة رمزية عميقة: فالسجن على الرغم من ضيقه قد يشكّل فضاء رحباً للفكر وللتأمل وللتجربة إنسانية فريدة، كما هو الحال في روايات أيمن العتوم التي تُبرز كيف يتحول السجن من مكان للعقاب إلى مجال للصراع الفكري والروحي والوجودي. ومن هنا يؤكد الباحث أن تحليل "فضاء السجن" يعني دراسة هذا التوتر بين الحرية والقيّد وبين الرحابة والضيق وبين الانفتاح والانغلاق.

ويُعدّ مفهوم فضاء السجن في العنوان محورياً أساسياً تنطلق منه هذه الدراسة، إذ لا يقتصر فهمه على كونه مكاناً جغرافياً ضيقاً تحيط به الأسوار والزنازين، بل يتسع ليشمل دلالات سياسية ونفسية واجتماعية وإنسانية. ومن هنا يركّز الباحث على تحليل هذا المفهوم بما يتجاوز معناه المباشر، ليكشف عن طبيعته المركّبة وأبعاده الرمزية. فعلى المستوى السياسي والحقوقى، يتجلى فضاء السجن بوصفه أداة للاضطهاد والقمع. ويشير الباحث هنا إلى أن السجن ليس مجرد مكان للعقوبة، بل هو انعكاس لبنية سلطوية قمعية تحارب الفكر الحر وتستبدل الحوار بالقمع.

في رواية: "في": "حرف من حروف الجريفيّد الطرفيّة المكانية الزمانية أو المجازية أي داخل أو ضمن"²⁵. و"رواية": "على وزن فعّالة وهو مصدر قياسي من الفعل الثلاثي المجرد "رَوَى يَرَوِي رِيّاً أو رَوَايَةً فهو رَاوٍ"²⁶ بمعنى النقل أو الحكاية. كما ورد في لسان العرب "الرّواية: مصدر رَوَى الحديثَ والشَّعرَ، أي حَفِظَهُ وأَدَاه. والرّوايةُ أيضاً: السُّقيا"²⁷.

²⁵ ابن هشام، كتاب في النحو: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٤٥.

²⁶ بن زكريا، ابن فارس، معجم: مقاييس اللغة، تحقيق- عبد السلام محمد بن هارون، دار الفكر، بيروت، ج ٢، ١٩٧٩م، ص ٤٧٤.

²⁷ ابن منظور، معجم: لسان العرب، تحقيق- عبد الله الكبير، دار صادر، بيروت، ج ١٥، ١٩٩٤م، ص ٣٠٩.

"في رواية": شبه جملة مكوّن من حرف الجر "في" واسم مجرور "رواية"، المعنى المركب داخل العمل الروائي أو ضمن النصوص السردية.

"يا صاحبي السجن": كلمة "يا: حرف نداء لاستدعاء المخاطب بمعنى أدعو وأنادي"²⁸. "صاحبي": اسم فاعل على وزن فاعِلَيْن أي صاحبين، اسم مثنى لكلمة صاحب، وخذف نون التثنية للإضافة، ومشتق من "صَاحِبٌ يُصَاحِبُ مُصَاحَبَةً فهو صَاحِبٌ". ولا حاجة إلى إعادة تحليل كلمة "السجن" التي سبق تناولها من الناحية اللغوية والصرفية.

رواية يا صاحبي السجن: هي عمل أدبي سردي طويل من النوع الروائي، ألفه الكاتب والشاعر الأردني أيمن العتوم. وصدره لأول مرة عام ٢٠١٢م عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت. تدور أحداث الرواية حول تجربة الكاتب الشخصية في السجون الأردنية بين عامي ١٩٩٦م و١٩٩٧م، وتتناول موضوعات مثل الحرية، والقمع، والعدالة الاجتماعية. الرواية تقع في ٣٤٤ صفحة وتعد ضمن أدب السجون، حيث تمتاز بلغة شعرية وتداخل بين الأزمنة والأمكنة، مما يتيح للقارئ التفاعل مع البعد النفسي والرمزي لتجربة السجن.²⁹

لأيمن العتوم: "اللام": حرف جريفيد الملكية أو التخصيص³⁰. كلمة "أَيْمَنُ": مجرور في وزن أَفْعَلٌ هو اسم التفضيل ومشتق من فعل: "يَمُنُّ يَمُنُّ، يُمْنًا وميمنةً بمعنى بركة، ويأمن، ويمين، وأَيْمَنُ، هو علم مذكر عربي الأصل مثل يَمِنَ الطِّفْلُ عَلَى أَهْلِهِ: كَانَ مُبَارَكًا عَلَيَّهِمْ، فأيمن بمعنى صاحب اليمن والبركة،"³¹. وكلمة "العتوم": هو اسم الفاعل على وزن فَعُول

²⁸ ابن منظور، معجم: لسان العرب، تحقيق- عبد الله الكبير، دار صادر، بيروت، ج ١٥، ١٩٩٤م، ص ٣٠٤.

²⁹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م.

³⁰ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٥٦.

³¹ الفيروزآبادي، مجد الدين، معجم: القاموس المحيط، تحقيق- محمد عبد القادر، دار الفكر، بيروت، ج ١، ١٩٨٦م، ص ١١٤٣.

ومشتق من الفعل "عَتَمَ يَعْتِمُ عَتَمًا فهو عَاتِمٌ"³² بمعنى "الشخص الذي يميل إلى الصمت والكتمان وعدم الإفصاح عن الأمور، وعتم الليل: أظلم ومرّ منه ليل"³³.

"أيمن العتوم": هو كاتب وروائي أردني معاصر، والعتوم يستخدم كلقب عائلي للدلالة على الانتماء الأسري أو القبلي، تركّز أعماله الأدبية على قضايا الحرية والسجن والعدالة الاجتماعية. ابتداءً مسيرته الأدبية في الشعر، ثم انتقل إلى الرواية. ومن أبرز أعماله رواية *يا صاحبي السجن*، التي تعالج تجربته الشخصية في السجن السياسي، وتعمّق في أفكاره عن الحرية والقيود التي يفرضها المجتمع، بأسلوب يمزج بين التجربة الواقعية والخيال المدهشة للغاية، مما جعل العتوم أحد الأصوات الأدبية البارزة في المشهد العربي المعاصر.³⁴

دراسة تحليلية: "دراسة": مصدر على وزن فَعَالَة من الفعل "دَرَسَ يَدْرُسُ دِرَاسَةً وَدَرْسًا فهو دَارِسٌ"³⁵. درس الكتاب: يعني كرّر قراءته ليحفظه ويفهم. أي التعمق في البحث أو التحصيل العلمي وفهم الشيء بدقة. "تحليلية": وهي "صفة مشتقة من فعل حَلَّلَ يَحْلِلُ تَحْلِيلًا في وزن تَفْعِيل والياء للنسبة والتاء علامة للتأنيث، تدلّ على الانتماء أو العلاقة بالتحليل."³⁶

والدراسة التحليلية: في الاصطلاح تفكيك الشيء إلى عناصره الأساسية ودراستها. في هذا السياق قام الباحث بإجراء دراسة تحليلية للرواية، حيث درس عناصرها المختلفة مثل الحبكة والشخصيات والزمان والمكان والأسلوب السرد، مستفيداً من منهج التحليل لفهم النص

³² مختار عمر، أحمد، معجم: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ج ٢، ٢٠٠٨م، ص ١٤٥٥.

³³ مختار عمر، أحمد، معجم: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ج ٢، ٢٠٠٨م، ص ١٤٥٥.

³⁴ يونس، أمل، رسالة ماجستير: *شعريات السرد في روايات أيمن العتوم*، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٩م، ص ٧.

³⁵ بن زكريا، ابن فارس، معجم: *مقاييس اللغة*، تحقيق- عبد السلام محمد بن هارون، دار الفكر، بيروت، ج ١، ١٩٧٩م، ص ٥١٢.

³⁶ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم: *المعجم الوسيط*، دار الدعوة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١١٢.

بدقة. وهذه الدراسة تتناول مع هذه العناصر تحليلاً شاملاً لفضاء السجن في رواية *يا صاحبي السجن* عبر محاورها السياسية والحقوقية والنفسية والجسدية والإنسانية أيضاً.

دوافع اختيار الموضوع

دفع الباحث إلى اختيار موضوع "*فضاء السجن في رواية "يا صاحبي السجن" لأيمن العتوم: دراسة تحليلية"* مجموعة من الدوافع العلمية والفكرية والأدبية.

أولاً، يعدّ "أدب السجون" من الميادين الأدبية المهمة التي نشأت نتيجة المعاناة الإنسانية، يصوّر أدب السجون عن مواجهة الإنسان للظلم والقمع، وعن جدلية الحرية والقيّد، والعزة والمهانة، والأمل واليأس. وهذه الخصائص تعطيه قيمة إنسانية عميقة، بالإضافة إلى قيمته الجمالية والفكرية التي تجعله جديراً بالدراسة الأكاديمية. وقد أدرك الباحث أن هذا الأدب لم يحظَ بالقدر الوافي من البحث والتحليل في السياق العربي المعاصر، على الرغم من وجوده البارز في تجارب مجموعة من الأدباء والمفكرين.

ثانياً، تمّ اختيار رواية *يا صاحبي السجن* لما تحمله من خصوصية مستمدة من التجربة الشخصية لكاتبها أيمن العتوم، الذي يعتر من أهمّ الروائيين في الأدب الأردني المعاصر. وقد تميّزت مؤلفاته بقدرة فنية عالية، وبمهارة على تطويع اللغة لتصوير التجارب الإنسانية بجوانبها المختلفة. وتعتبر هذه الرواية من أبرز انتاجاته، لأنها تستند إلى تجربة واقعية مرّ بها الكاتب حين سُجن في الأردن سنة ١٩٩٦م، مما أضفى على النص قوة وصدقا جعلاه أقرب إلى وثيقة واقعية حية بدلاً من أن يكون مجرد قصة خيالية أو حكاية سردية. لذلك رأى الباحث أن هذه الرواية جديرة بأن تكون نموذجاً للدراسة لما فيها قيمة تاريخية وأدبية، ورسالة إنسانية.

ثالثاً، لاحظ الباحث أن الرواية تحتوي على تقنيات سردية متنوعة تعزز قيمتها الفنية، من أبرزها تعدّد الأصوات السردية، والاسترجاع الزمني، والوصف التفصيلي والتناص، بالإضافة إلى التصوير التفصيلي لفضاءات السجن وما تحمله من ضيق وظلمة، فأدى هذا التوظيف الفني جعل الرواية صالحة للدراسة التحليلية الذي يكشف عن تمازج التجربة الشخصية والأسلوب الفنية في السرد.

وبذلك تكون هذه الدراسة معززا لفهم طبيعة أدب السجن، وإبراز إسهام أيمن العتوم في هذا الميدان، والتأكيد على القيمة الإنسانية والفكرية التي ينطوي عليها هذا اللون من الأدب.

مشكلة البحث

يستند هذا البحث إلى مجموعة من المشكلات الرئيسية، ويحاول معالجتها قدر الإمكان. يعتبر أدب السجن حقلاً أدبياً يصور صراع الإنسان ضد الظلم والمعاناة، ومع ذلك لم يحظَ في الدراسات العربية المعاصرة بالبحث المعمق الذي يستحقه، حيث ركّزت الدراسات المتوفرة على هذا الأدب بصورة عامة دون دراسة فضاء السجن كعنصر رئيسي في الرواية يبرز جدلية الحرية والقيود ويظهر الأبعاد النفسية والفكرية والإنسانية لتجربة السجن. وفي هذا السياق، تأتي رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم مثلاً غنياً لدراسة أدب السجن، وي طرح السؤال حول مقدار اعتماد الرواية على الواقع الفعلي لتجربة السجن مقابل الاستخدام الفني للخيال السرد، ومدى مساهمة ذلك في تعزيز الجوانب الفنية والدلالات الأدبية للنص.

أسئلة البحث

يهدف الباحث من هذا البحث إلى استكشاف أبعاد أدب السجن وتحليل تجربة أيمن العتوم الروائية في روايته *يا صاحبي السجن*، مع التركيز على فضاء السجن بوصفه عنصراً أساسياً يزواج بين التجربة الشخصية والخيال الفني. وانطلاقاً من هذا التصور، صيغت أسئلة البحث

بطريقة تتيح فهما أعمق الجوانب للمفاهيم والإنسانية في النص، وتعكس ترتيب الأولويات في التحليل من دراسة المفاهيم العامة وصولاً إلى الكشف عن التفاصيل الدقيقة للتجربة السجنية كما صوّرها الكاتب في الرواية. ومن هنا تأتي الأسئلة الجوهرية كالآتي:

1. ما مفهوم السجن لغة واصطلاحاً، وما أهميته في التحليل الأدبي؟
2. ما الدور الذي لعبه أدب السجن في الأدب العربي عامّة والأدب الأردني خاصة؟
3. ما الخصائص البارزة لشخصية أيمن العتوم وأثرها على توجهاته الأدبية؟
4. كيف يبرز العنوان القرآني للجماليات والدلالات الرمزية في الرواية؟
5. كيف تعكس الرواية فضاء السجن بتوظيف تجربة الروائي السجنية، وما أثر ذلك على مصداقية النص؟

6. ما أثر القمع السياسي والحقوق على الشخصيات وبناء الحكمة في الرواية؟
7. كيف تعكس الرواية المعاناة النفسية والجسدية للسجين والمشاعر الإنسانية.

أهداف البحث

يهدف الباحث في هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والأدبية فيما يلي:

1. الكشف عن القيمة الفنية والإنسانية لأدب السجن في الأدب العربي المعاصر.
2. التعريف بمؤلفات أيمن العتوم الروائية وتوضيح أبرز حكاياتها وموضوعاتها، مع التركيز على موقع رواية *يا صاحبي السجن* ضمن هذا النتاج الأدبي.
3. تسليط الضوء على البعد الإسلامي والفكري في رواية *يا صاحبي السجن*، وكيفية انعكاسه في معالجة قضايا الحرية والحقوق الإنسانية.
4. الكشف عن غنى التناس في رواية *يا صاحبي السجن* ودوره في إثراء الدلالات الفكرية والإنسانية للنص.

5. تحليل فضاء السجن في رواية *يا صاحبي السجن* كعنصر مركزي يجمع بين التضييق المادي والانفتاح الفكري والإنساني.

منهج البحث

اعتمد الباحث في دراسته على مجموعة من المناهج العلمية التي تنسجم مع طبيعة الموضوع وأهدافه، وتتيح الإحاطة الشاملة بأدب السجن وتجربة أيمن العتوم الفكرية والإبداعية، ولا سيّما في روايته *يا صاحبي السجن*. وقد تنوّعت هذه المناهج الوصفية التحليلية لتتكامل في خدمة الرؤية العامة للبحث.

اعتمد الباحث على المنهج التاريخي لتتبع جذور أدب السجن في الأدب العربي وربطه بالظروف السياسية والاجتماعية التي أسهمت في تشكيله، كما وظّف المنهج التحليلي الوصفي النصّي للكشف عن أسلوب أيمن العتوم ولغته وبنية أعماله السردية، وما تميّزت به من عمق فكري وجمال فني.

الدراسات السابقة

تبيّن للباحث أنّ مؤلفات أيمن العتوم، رواياته المتعلّقة بتجربة السجن خاصة، حصلت على اهتمام الباحثين في العالم العربي وخارجه. وتنوّعت هذه الجهود البحثية بين مقاربات فنية ونقدية وموضوعية وسردية، وهو ما يظهر عمق التجربة لأيمن العتوم وامتدادها في الحقل الأدبي الحديث. ومن أهمّ هذه الدراسات ما يلي:

فقد أنجز عبدة الأرنبوط من جامعة حلب رسالة ماجستير بعنوان *فضاء السجن في رواية يسمعون حسيدها* سنة ٢٠٢٣ م، تمحورت حول دراسة الفضاء المكاني والزمني في النص، مع تحليل دقيق لدلالات المكان الروائي وعلاقته ببنية الشخصيات والأحداث. وقد بيّن الباحث

كيف يتجلى السجن في الرواية إلى فضاء غني بالرموز والدلالات، يختزل الصراع بين الحرية والقيّد، وبين الإرادة الإنسانية والسلطة القمعية. ونشرت خولة حجاب دراسة في مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب بعنوان *السيرة الذاتية وتجلياتها في رواية يا صاحبي السجن* سنة ٢٠٢١م، تناولت فيها تجربة أيمن العتوم الشخصية في السجن وانعكاسها على البناء الروائي. وأوضحت الباحثة أن النص يجمع بين السيرة الذاتية والرواية، مما أضفى عليه طابعا فنيا مميزا يمزج بين صدق التجربة وحرية الإبداع الفني.

أعدّ مصطفى ابن حامد رسالة ماجستير من جامعة محمد بوضياف بالجزائر بعنوان *الفضاء الروائي في رواية يا صاحبي السجن* سنة ٢٠١٧م. خصص فيها الباب الأول الأول لمناقشة مفهوم الفضاء وإشكالية المصطلح في الدراسات الأدبية، ثم انتقل في الباب الثاني إلى تجليات الفضاء في الرواية، متناولا الفضاء المكاني والزمن والشخصيات، وقد خلّص إلى أن الفضاء السجني في رواية أيمن العتوم ليس مجرد إطار مكاني، بل يشكل عنصرا فاعلا بناء الرؤية الفكرية والفنية للرواية.

وإلى جانب هذه الدراسات الثلاث المفصّلة، برزت مجموعة من الأبحاث الأخرى المتنوعة: منها دراسة مفيد هلال حجي هالة في الجامعة الإسلامية بغزة حول *الصورة الشعرية عند أيمن العتوم* في ٢٠١٩م، ورسالة غفار بلمو بالجزائر حول *الفتحة النصية في رواية أنا يوسف* في ٢٠٢٠م، وأطروحة خولة محمود النجار في الجامعة الأردنية التي تناولت *القدس في أدب العتوم* سنة ٢٠٢٢م. كما قدّم أسامة محمد علي حسين بجامعة طنطا عن *اللغة والسرد في روايات السجون عند العتوم وصنع الله إبراهيم* سنة ٢٠١٧م. بينما خصصت حنان زهر دراستها لتحليل تجليات *المأساة في يسمعون حسيها*.

واستمرّ هذا الاهتمام النقدي أدب أيمن العتوم عبر عدد من المقالات والدراسات الأكاديمية الأخرى، منها: دراسة حوّاء عبد اللطيف حول *الواقعية السحرية في رواية تسعة عشر* صدرت في مجلة إشكالات في اللغة والأدب من جامعة تامنغست في الجزائر سنة ٢٠٢١م. وأبحاث عباس يداللي فارساني عن *الانزياح الدلالي والأنماط التراثية في شعر العتوم* قدمها في جامعة الشهيد جمران بالأهواز سنة ٢٠٢٠م. ومقالته حول *قصيدة أفدي بلاءك لأيمن العتوم* مقارنة سيميائية، نشرت في مجلة الكلية الإسلامية الجامعة سنة ٢٠٢٠م. كما بحث يمان كشتوى *تقنيات السرد في روايات الكاتب أيمن العتوم*، في جامعة ماردين بالجمهورية التركية سنة ٢٠٢٠م.

ودرست أمل يونس شعيرية *السرد في روايات أيمن العتوم من الجامعة الإسلامية بغزة* سنة ٢٠١٩م. وناقشت أسماء شنقار سنة ٢٠٢٠م *عتبات النص والعناوين في روايات أيمن العتوم*. وفي المقابل، ركزت ملاك رفيق على *دراسة فنية في رواية أنا يوسف للروائي أيمن العتوم* من جامعة القدس المفتوحة بفلسطين سنة ٢٠٢٣م. وكتب كوارى علي مقالة عن مظاهر أدب *المقاومة في ديوان نبوءات الجائعين لأيمن العتوم* في مجلة الباحث سنة ٢٠٢٠م. وأطروحة الدكتوراة لفرمان الله خان حول *بناء الشخصية في روايات أيمن العتوم* المقدم في كلية اللغة العربية بباكستان سنة ٢٠٢٤م. إضافة إلى مقالة عبد الناصر س. ج. في عنوان *دقة العناوين في روايات أيمن العتوم* التي نشرت في مجلة كيرالا سنة ٢٠٢٥م.

وعلى الرغم من ثراء هذه الجهود البحثية السابقة بين دراسة الفضاء الروائي والصورة الشعرية واللغة والسرد والعتبات النصية والموضوعات الفكرية، لاحظ الباحث أن معظم الدراسات السابقة لم تتناول فضاء السجن في رواية يا صاحبي السجن معالجة تحليلية شاملة تجمع بين بعدي التجربة الذاتية والخيال الفني، وتبرز في الوقت ذاته جدلية الحرية والقيود

بما تنطوي عليه من أبعاد إنسانية وفكرية وجمالية. ومن هذا المنطلق تتحدد أهمية هذا البحث إذ يسعى إلى سد هذه الفجوة العلمية من خلال مقارنة أكاديمية معمقة تتجاوز المعالجات الجزئية التي قدمتها الدراسات السابقة.

تنظيم البحث

قسم الباحث هذه الدراسة الموسومة بعنوان "فضاء السجن في رواية يا صاحبي السجن لأيمن العتوم: دراسة تحليلية" إلى أربعة أبواب مترابطة، تُمثل تسلسلا منهجيا متدرجا من العام إلى الخاص، بحيث يمهّد كل باب لما يليه، وصولا إلى التحليل الدقيق لفضاء السجن في رواية يا صاحبي السجن موضوع البحث.

جاء الباب الأول بعنوان "أدب السجون: الملامح العامة"، باعتباره فضاء ماديا ونفسيا تتجلى فيه معاني العزلة والمقاومة والتأمل. وهدف إلى توضيح دلالات السجن وتحوّله من مكان العقوبة إلى رمز للحرمان والقهر الإنساني. وقسم الباحث هذا الباب إلى أربعة فصول: تناول الأول مفهوم السجن لغويا واصطلاحيا، والثاني أدب السجون وتعريفه وأنواعه، والثالث البناء الفكري والفني لأدب السجون، والرابع أدب السجون في الأدب العربي.

وفي الباب الثاني المعنون "الحياة الشخصية والأدبية لأيمن العتوم"، ركّز الباحث على دراسة حياة الكاتب وتجربته الشخصية والفكرية التي انعكست في أعماله الأدبية. قسم الباحث هذا الباب إلى خمسة فصول: الأول الحياة الشخصية لأيمن العتوم، والثاني موضوع الأعمال الأدبية لأيمن العتوم، والثالث المقابلة المباشرة مع الكاتب أيمن العتوم التي أجراها الباحث، والتي أسهمت في إضاءة الجوانب الواقعية والتجريبية في كتابة الرواية، والرابع عبقرية العناوين ودقتها في روايات أيمن العتوم. والخامس أدب السجون عند أيمن العتوم

أما الباب الثالث فكان بعنوان "رواية يا صاحبي السجن لأيمن العتوم: دراسة وتحليل"، وخصّصه الباحث للتحليل الفني والفكري للنص الأدبي نفسه، من حيث عناصر البناء الروائي وتقنياته. وتتضمن أربعة فصول: الأول دراسة تحليلية لرواية *يا صاحبي السجن* أي عن البناء الفني للرواية من حيث الزمان والمكان والشخصيات واللغة وغيرها، والثاني خلاصة رواية *يا صاحبي السجن*، والثالث التناس في رواية *يا صاحبي السجن*.

خصّص الباحث في الأخير الباب الرابع بعنوان "فضاء السجن في رواية *يا صاحبي السجن*: دراسة تحليلية"، وفيه تناول الباحث مفهوم فضاء السجن باعتباره فضاء مادياً ونفسياً وجسدياً تتجلى فيه معاني العزلة والمقاومة والتأمل. وقسّم هذا الباب إلى أربعة فصول: الأول المشكلات السياسية والحقوقية في رواية *يا صاحبي السجن*، والثاني المشكلات النفسية في رواية *يا صاحبي السجن*، والثالث المعاناة الجسدية في رواية *يا صاحبي السجن*، والرابع المشاعر الإنسانية والوطنية في رواية *يا صاحبي السجن*.

نقاط الضعف والقصور

أثناء هذا البحث واجه الباحث عدداً من الصعوبات العملية والمعرفية المرتبطة بطبيعة الموضوع وظروف البحث. تحتوي رواية *يا صاحبي السجن* على بعض المفردات والتعبيرات المحلية الأردنية، مما صعب على الباحث غير الأردني فهمها بدقة، واستلزم البحث والتحقيق لفهم دلالاتها. ولم يُتَح للباحث الوقت الكافي أثناء مقابلة الروائي لطرح أسئلة متعمقة تركز على موضوع الدراسة، مما حدّ من استقصاء بعض الجوانب الدقيقة للتجربة. ومن جهة أخرى، لم تكن الروايات المطلوبة متاحة بسهولة في الهند، فاضطر الباحث إلى استيرادها من الخارج، مما استهلك جزءاً من فترة البحث. كما أنّ المراجع المتعلقة بأدب السجن في الأردن كانت قليلة، ولم يجد الباحث ما يغطي الموضوع بصورة كافية، وهو ما شكّل تحدياً في استكمال

الدراسة. ومع ذلك، لم تمنع هذه الصعوبات الباحث من المضي قدماً في تقديم تحليل وصفي شامل لفضاء السجن في الرواية، مع التركيز على وظائفه السردية والفكرية والإنسانية.

الشكر والتقدير

الحمد لله أولاً وآخراً على ما أنعم به من توفيق وتسديد في إنجاز هذا البحث، فله الحمد على نعمة العلم، وله الشكر على ما يسره من أسباب النجاح.

وأقدم بخالص الشكر والعرفان إلى والديّ العزيزين، لما أحاطاني به من رعاية ودعم وتشجيع طوال مسيرتي العلمية، سائلاً الله تعالى أن يجزيهما عني خير الجزاء. وكما أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبد المجيد ت. أ.، على ما أولاني من اهتمام وعناية، فله مني بالغ الامتنان والتقدير. وأخص بالشكر الأستاذ أيمن العتوم، كما أقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل: الدكتور عبد المجيد إ.، والدكتور أ. ب. محي الدين كوتي، والدكتور عباس ك. ب.، والدكتور زين الدين ب. ت.، والدكتور عبد الناصر س. ج.، والدكتور عبد الحكيم الأزهرى، تقديراً لهم واعترافاً بفضلهم. كما أتوجه بالشكر إلى جميع أساتذتي وزملائي وأصدقائي، وإلى كل من كان له إسهام أو أثر في إنجاز هذا العمل، سواءً ذكر اسمه أم لم يذكر. وأسأل الله تعالى أن يجزي الجميع خير الجزاء، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعا للباحثين والمهتمين، والحمد لله رب العالمين.

الباب الأول

أدب السجون: الملامح العامة

مقدمة الباب

سعى الباحث في هذا الباب إلى تقديم تصور شامل لأدب السجون من حيث المفهوم والنشأة والخصائص العامة، باعتباره ظاهرة أدبية وإنسانية تعبّر عن تجربة الوعي بالحرية والمعاناة. ويهدف هذا الباب إلى تمهيد الطريق لفهم الأبعاد الفكرية والجمالية لهذا الأدب قبل الانتقال إلى دراسته في رواية *يا صاحبي السجن* للكاتب أيمن العتوم.

وقد قسّم الباحث هذا الباب إلى أربعة فصول مترابطة: يتناول الفصل الأول: مفهوم السجن لغة واصطلاحاً، مبيّناً تطوّر دلالاته بين المعنى المادي الذي يرمز إلى القيد والعقوبة، أما الفصل الثاني أدب السجون: تعريفه وأنواعه، الذي يتناول أنواع هذا النوع مثل رواية وشعر ورسائل ومسرحيات وقصص، مع توضيح الخصائص الفنية التي تميّز كل نوع في تصوير تجربة السجن. وفي الفصل الثالث: البناء الفكري والفني لأدب السجون، يتناول الأسباب التاريخية والاجتماعية والسياسية التي أدّت إلى ظهوره، واستعرض أبرز موضوعاته التي تتراوح بين الألم والأمل، والقهر والمقاومة. أمّا الفصل الرابع: أدب السجون في الأدب العربي، ركّز على حضور السجن في الأدب العربي عبر العصور، من الجاهلي إلى الحديث، مع إطلالة خاصة على أدب السجون في الأردن، بوصفه البيئة التي نشأت فيها تجربة أيمن العتوم.

ويهدف الباحث من خلال هذا الباب إلى تأصيل المفهوم النظري لأدب السجون وربط تطوره بالتحوّلات الفكرية والاجتماعية والسياسية في العالم العربي، وإبراز قيمته الفنية والإنسانية بوصفه مرآة للواقع ووسيلةً للمقاومة والتعبير عن الكرامة الإنسانية.

الفصل الأول: مفهوم السجن: لغة واصطلاحاً

من منظور الباحثين والعلماء في مجال اللغة والأدب، يظهر أن كلمة "السجن" تحمل مفاهيم ومعانٍ متعددة تلقي الضوء على تأثيرها البارز على الساحة الثقافية والأدبية والتاريخية. وهنا يقوم الباحث برحلة معرفية حول أصل مصطلح السجن وكيفية استخدام هذه الكلمة وتأثيرها على فهم مفهوم السجن نفسه، وكذلك يفحص النقاشات البحثية المتعلقة بها.

أصول كلمة "السجن" تعود إلى اللغة اللاتينية "carcer"³⁷ والتي كانت تُستخدم للإشارة إلى المكان الذي يُستخدم لاحتجاز المجرمين. مع مرور الزمن، تطوّرت هذه الكلمة وأصبحت جزءاً من اللغة العربية، وأصبحت لها مرادفات متنوعة مثل الحبس والزنازة والقفص.

السجن لغة

تعرف كلمة "السجن" عند العرب بمعانٍ متعددة حسب السياق واستخدامها في لغتهم، حيث استخدموها للإشارة إلى المكان وحالة الشخص. فجاءت في *لسان العرب* لابن منظور في مادة: س ج ن بمعنى "الحبس والسجن بالفتح المصدر. سجنه يسجنه سجنًا أي: حبسه والسجن المحبس. وفي بعض القراءة: قال ربّ السجن أحب إليّ، فمن كسر السين فهو المحبس وهو اسم، ومن فتح السين فهو مصدر سجنه سجنًا والسجان: صاحب السجن، ورجل سجين مسجون، والجمع سجناء وسِجْنِيّ"³⁸.

ويقدم ابن فارس كلمة السجن في معجمه "مقاييس اللغة": "سجن السّين والجيم والنون أصل واحد وهو الحبس، يقال: سجنته سجنًا، والسجن: المكان يسجن فيه الإنسان"³⁹

³⁷ مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://www.merriam-webster.com/dictionary/carcer>، تاريخ الاسترجاع: ٢٣/٩/٢٠٢٠ م.

³⁸ بن منظور، أبو الفضل جمال الدين، معجم: *لسان العرب*، دار صادر للطباعة، بيروت، ج ٣، ط ١، ١٩٩٧ م، ص ٢٠٣.

³⁹ بن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم: *مقاييس اللغة*، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ج ١، ط ١، ١٩٧٩ م، ص ١٣٧.

ويجيء الفيروز أبادي في معجمه "القاموس المحيط": "سجنه بمعنى حبسه، والسجن بالكسر: المحبس وصاحبه سجان، والسجين هو المسجون، ج: سجناء وسجني".⁴⁰ ويعرفه ابن سيده: "س ج ن سجنه يسجنه سجنًا: حبسه، وفي بعض القراءة: السّجن أحبّ إليّ من سورة يوسف، والسجن المحبس والسجان صاحب السّجن، ورجل سجين: مسجون".⁴¹ وفقا لهذه التعاريف يعني بالسجن، هو الحبس والتقييد.

السجن اصطلاحا

في الاصطلاح القانوني والقضائي، يُشير مصطلح "السجن" إلى عقوبة تتضمن حبس المتهم أو المدان في مؤسسة سجنية لفترة زمنية محددة بناء على قرار من السلطات القضائية. هذه العقوبة تُفرض عادة على الأفراد الذين ارتكبوا جرائم جنائية وتمت محاكمتهم وإدانتهم بموجب القوانين المحلية والوطنية. يختلف طول فترات السجن تبعًا للجريمة المرتكبة وللقوانين في كل دولة. يمكن أن يكون هناك أنواع مختلفة من السجون، مثل السجون العامة والسجون الاحتياطية والسجون الصغيرة والمؤسسات الإصلاحية، والتي تستخدم لأغراض متنوعة بما في ذلك العقوبة والإصلاح والحماية المجتمعية.

تستخدم عقوبة السجن كوسيلة لتحقيق أهداف متعددة، منها العقاب للجرائم المرتكبة والحماية المجتمع من المجرمين وإصلاح المدانين. تدير وتشرف مؤسسات السجون عادة من قبل السلطات القانونية والمسؤولين القضائيين لضمان تطبيق العقوبات وحقوق المسجونين بما يتفق مع القوانين والأنظمة الوطنية والدولية. ذكر مصطلح "السجن" وبعض مشتقاته في القرآن الكريم في تسعة مواضع، وتأتي من أبرز هذه المواضع تلك التي ترتبط بقصة النبي

⁴⁰ الفيروزآبادي، مجد الدين، معجم: القاموس المحيط، تحقيق- محمد عبد القادر، دار الفكر، بيروت، ج ١، ١٩٨٦م، ص ١١١٠.

⁴¹ ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة، ج ٧، ط ١، ١٩٥٨م، ص ١٩٦.

يوسف عليه السلام. يتم ذكر "السجن" في قصة يوسف عليه السلام عندما تم سجنه بظلم بعد اتهامه بمحاولة فساد. وتعرض هذه القصة في سورة يوسف في القرآن الكريم، وهي السورة الوحيدة التي تناولت قصة السجن بشكل مباشر، ومن الآيات التي ذكر فيها ما يلي:

"وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَهُنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٨﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٩﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ ءَارِبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٣١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِمَّهَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ۚ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾" 42

تتناول هذه الآيات القصة المؤلمة التي تعكس الظلم والفتنة التي تعرض لها يوسف عليه السلام وكيف تم سجنه بظلم، وكيف انقلبت الأمور في النهاية لصالحه. وقد ورد كلمة السجن أو مشتقاتها في نفس السورة عدة مرات كما دلّ الباحث في السابق.

كلمة "السجن" في القرآن الكريم تشير إلى المكان الذي يتم فيه تنفيذ عقوبة السجين. وقد ورد من الإمام الكسائي تعريف للسجن يفسره بأنه: "هو منع المحبوس عن الخروج إلى أشغاله ومهماته وإلى الجمع والجماعات والأعياد، لأنّ الحبس يكون للتوصل إلى قضاء جراء عمل معين أو ارتكاب ذنب ما الدين والغاية منه الضجر فيسارع إلى قضاء دينه".⁴³ وورد كلمة السجن في بعض الأحاديث النبوية أيضا، أشهرها قول النبي(ص): "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر(رواه مسلم)".⁴⁴ وفي هذا التشبيه يوضح الرسول (ص) أن حياة المؤمن في الدنيا محدودة بالابتلاءات والقيود الشرعية، مقارنة بما ينتظره من نعيم في الآخرة، بينما الكافر ينعم فيها بحرية ظاهرية، وهي بالنسبة له كالجنة.

والسجن في المنظومة السياسية "هو المكان الذي تنفذ فيه الأحكام على الأشخاص المذنبين القاضية، بحبسهم، وقد يكون السجن لغير ذنب كما لو كان لدين أو تهمة".⁴⁵ "وهو مؤسسة اجتماعية قديمة تطوّر وجودها على مرّ العصور ليخدم أغراضا سياسية واجتماعية واقتصادية"⁴⁶

إذا، السجن هو نظام اجتماعي قائم منذ العصور القديمة ويتطور من جيل لآخر، حيث يُستخدم لتأديب الأشخاص المذنبين بناء على تهم أو جرائم ارتكبوها. يعرفه سالم المعوش بأنّه: "مؤسسة عقابية تهدف إلى ردع المذنب عن عمله وإنزال العقوبة به وحجزه بغية تأديبه".⁴⁷ وفي نظر العقاد، السجن هو "مكان لاعتقال الأسرى أو المحكوم عليهم بالموت ثمّ أصبح مكانا للتخلص من بعض المغضوب عليهم أو الواقفين في طريق ذوي السلطان".⁴⁸

⁴³ التميمي، أيمن سليمان خالد، رسالة ماجستير: *السجون في العصر العباسي ١٣٢-٣٤٤م*، جامعة الأردن، ١٩٩٧م، ص ٥.
⁴⁴ النيسابوري، مسلم بن الحجاج، كتاب في الحديث: صحيح مسلم، تحقيق - محمد فؤاد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ٢٢٧٥.
⁴⁵ العابد، وردة، أطروحة الدكتوراة: *السجن والسجناء في الأندلس الإسلامية*، جامعة قسطنطينية، الجزائر، ٢٠١٨م، ص ٢٨.
⁴⁶ العابد، وردة، أطروحة الدكتوراة: *السجن والسجناء في الأندلس الإسلامية*، جامعة قسطنطينية، الجزائر، ٢٠١٨م، ص ٣٠.
⁴⁷ المعوش، سالم، كتاب في أدب السجون: *شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر*، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٣٤-٣٥.
⁴⁸ المعوش، سالم، كتاب في أدب السجون: *شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر*، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٣٨.

إذا، في التلخيص السجن هو تقييد حرية الشخص وإيقافه بسبب جريمة ارتكبتها، أو أنهم اتهم بها ويُشير أيضًا إلى المكان الذي يُوضع فيه المسجون، ويُظهر كذلك نوعية البنية من خلال استخدام الحديد الصلب الذي لا يمكن سهولة صهره أو قطعه. وهو مؤسسة إصلاحية تهدف في المقام الأول إلى العقاب وتأديب المذنبين. بالإضافة إلى ذلك، يُستخدم أيضًا كحلا سياسيا للتعامل مع المتمردين والأشخاص الذين يعارضون نظام الحكم أو سياسة الحاكم بإبعادهم عن المجتمع وتقييدهم داخل السجن.

الفصل الثاني: أدب السجون: تعريفه وأنواعه

تعريف أدب السجون

أدب السجون هو مصطلح يُستخدم لوصف الأعمال الأدبية التي نشأت في أروقة السجون أو التي تتناول تجارب السجن وأحوال السجناء. يعكس هذا الأدب تجارب الحبس والقهر والصعاب التي تواجهها الشخصيات السجينة والمجتمعات المحيطة بالسجون. يمكن أن يعتبر أدب السجون وسيلة للتعبير عن الوضعيات الاجتماعية والسياسية والنفسية للسجناء وللمجتمع بشكل عام.

تشكل أدبيات الاعتقال السياسي واجهةً في ساحة الصراع السياسي في العالم العربي، وكان موضوع السجن السياسي من بين القضايا المحظورة التي كان يمنع التحدث عنها في الوطن. ولكن سرعان ما بدأت الشعوب تستيقظ، رافضةً كافة أشكال الاستبداد والقمع السياسي في العالم العربي، مما أدى إلى تزايد اهتمام الأدب المعاصر بهذا النوع من الأدب، حيث تنوعت مفاهيمه وتسمياته بناءً على توجهات الكتّاب والنقاد. بذل العديد من الأدباء جهداً في محاولة تعريف "أدب السجون"، وجميع هذه التعاريف متشابهة في مضمونها وأصولها، ولكنها تختلف قليلاً في التفاصيل والمجالات والتصنيفات.

إبراهيم الزنط رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين الروائي المعروف بغريب عسقلاني، والدكتور الأديب والناقد والمحاضر في الجامعة الإسلامية عبد الخالق العف توافقا على أن "أدب السجون" هو الذي يكتبه الأسرى في المعتقلات، ويستوفي الحد الأدنى من الشروط، وأضاف الأديب الزنط أن ما يكتب عن السجون والأسرى خارج السجن من غير الأسرى أو من المحررين لا يُعد أدب السجون، وممكن تسميته "أدب عن السجون". الأسير المحرر الأديب والروائي شعبان حسونة تطرق لثلاث مدارس في تعريف أدب السجون، الأول: هو ما يكتب في الأسر

ويهتم بقضايا السجن، وهنا يتم استثناء الأدب العاطفي والبوليسي وغيره من الأنواع التي تكتب في الأسر. الثاني: هو كل ما يكتب في الأسر، وهنا يتم استثناء ما كتب عن الأسر من غير الأسرى كرواية شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف وغيره. الثالث: هو كل ما يكتب عن السجن وكل ما يكتب بأقلام الأسرى، ويميل الروائي حسونة إلى هذا التعريف، على أن يستوفي الشروط في كتابة الرواية، والقصة، والقصة القصيرة، والقصة القصيرة جداً، والشعر العمودي، وشعر التفعيلة، والشعر المنثور، واختلف المختصون بشمل الخاطرة، والرسالة، والمقال في هذا الإطار.⁴⁹

ويرى الأديب الأسير د. فايز أبو شمالة عن أدب السجن أنه "هو كل ما له علاقة بالوجدان والعاطفة الإنسانية والتعبير عن ذلك فنياً، وهذا يشمل القصة والرواية والشعر والخطبة والأغنية والعمل المسرحي، ويتكون من شقين، شق يتعلق بالسجناء أنفسهم، وما كتبوه هم من داخل غرف السجن، وما وثقوه أثناء وجودهم في السجن وحتى بعد خروجهم منه، فالتجربة قائمة، وتنعكس في التعبير لسنوات طويلة الأمد، وشق يتعلق بما عبر عنه الأدباء خارج السجن، ولأسيما أولئك الذين تخيلوا حياة السجن، واستمعوا لها، وعاشوا بوجدانهم تجربة السجناء، وراحوا يعبرون عنها بصياغتهم الخاصة، وأسلوبهم القادر على تصور حياة السجن، والتعبير عنها بشكل فني".⁵⁰

ويرى رأفت حمدونة عنه، "أن أدب السجن هو امتداد للأدب العربي لما يحمل من مميزات وخصائص، وحس إنساني وعاطفي، ورقة مشاعر وأحاسيس ومصداقية، وقدرة على التعبير والتأثير، وأن أدب السجن كل ما كتبه الأسرى عن السجن وغيره داخل الاعتقال وليس

⁴⁹ د. حمدونة، رأفت، مقالة: أدب السجن التعريف والمميزات، الموقع الإلكتروني: <https://pulpit.alwatanvoice.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٤/٠١/٢٠٢٤م.

⁵⁰ د. حمدونة، رأفت، مقالة: أدب السجن التعريف والمميزات، الموقع الإلكتروني: <https://pulpit.alwatanvoice.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٤/٠١/٢٠٢٤م.

خارجة، بشرط أن يكون من أجناس الأدب كالرواية والقصة والشعر والنثر والخاطرة والمسرحية والرسالة، ويفرق الباحث بين "أدب السجون المستوفى للشروط الأدبية، وبين أدبيات وإنتاجات الأسرى الأخرى، التي كتبوها داخل الاعتقال، كالدراسات السياسية، والأبحاث التاريخية والأمنية والفكرية، والكتب في مجالات متنوعة، والترجمات من الصحف الإسرائيلية".⁵¹

بعض النقاد يعتبرون أن أدب السجون يمثل تمديدا لأدب المقاومة، حيث يهدف إلى إدانة وفضح ممارسات السلطات الاستبدادية التي تسيطر على السلوك السياسي في الأنظمة العربية. ومن بين المشاكل التي تعاني منها الأمة العربية، نجد غياب الديمقراطية واحتكار السلطة. من خلال هذا التعريف، فممكن الإدراك أن أدب السجون يمثل وسيلة لرفض القمع السياسي في الدول العربية، إذ يشكل جبهة مناهضة ومقاومة ضد الظلم والتجبر والطغيان. يسعى إلى تحقيق الحرية والأمل في غدٍ أفضل من خلال تعزيز مبادئ الديمقراطية والسلام والعدالة بمختلف أشكالها. يبدأ هذا النضال من المواطن العربي الذي يُعتبر إنساناً، ويهدف إلى تحقيق حقوقه كإنسان، كما قال الناقد إيمان القويضي "ليس السجن العربي اليوم تاريخاً مهماً تقادم به العهد، ولا خيالاً مهما جمحت به المُخيّلة، وكل حكاية ماضية تنفتح على واقعٍ حاليٍّ. بهذا المعنى، يصبح مفهوم أدب السجون أوسع بكثير من حبسه في السرد وحده، إذ يمكنه أن يتسع عربياً ليشمل الرواية والسيرة الذاتية والشعر، بالإضافة إلى الأفلام الدرامية والصور الحقيقية والشهادات الحية وتقارير المنظمات الدولية".⁵²

⁵¹ د. حمدونة، رأفت، مقالة: أدب السجون التعريف والمميزات، الموقع الإلكتروني: <https://pulpit.alwatanvoice.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٤/١/٢٠٢٤م.

⁵² القويضي، إيمان، مقالة: لماذا يقرأ العربي أدب السجون؟، الموقع الإلكتروني: <https://bilarabiya.net/26375.html>، تاريخ الاسترجاع: ٢٤/١/٢٠٢٤م.

ويرى زكريا بوغرارة عنه "أدب السجون هو: الأدب الإنساني النَّضالي الذي ولد في عتمة وظلام الأقبية والزنازين وخلف القضبان الحديدية، وخرج من رحم الوجد اليومي والمعاناة النفسية والقهر الذاتي والمعبر عن مرارة التعذيب وآلام التنكيل وهموم الأسير وتوقه لنور الحرية وخيوط الشمس، ففي جحيم السجن ودياجير الظلام الدامس يمتشق السجين قلمه ليحاكي واقعة وحياته الجديدة و يغمره في الوجدان ليصوّر تجربة الأسر والمعاناة اليومية، ويسطر ملامح الصمود والتحدي والبطولة ومعارك الأمعاء الخالية، في نصوص لا أصدق ولا أعذب ولا أجمل منها".⁵³

الدكتور رافت حمدونة يعتبر أن أدب السجون هو: "أدب مقاومة وهو جزء من الأدب العربي المعاصر، والأدب الوطني والقومي، والأدب العربي والعالمي الحديث، وهو كل ما كتبه الأسرى داخل الاعتقال وليس خارجه بشرط أن يكون من أجناس الأدب"⁵⁴

كما بحث الباحث عبد الدائم نوال، أنه رأى "عندما نلاحظ هذين التعريفين الأخيرين أن الدارسين اشترطوا مكان الكتابة ليصلح تسمية هذا النوع من الأدب بهذا الاسم ألا وهو: السجن الفعلي فالسجن أمر أساسي والكتابة داخله تحت وطأة المعاناة والتعذيب ضرورية، فأدب السجون في نظرهم هو: ذلك الأدب الذي ولد في عتمة الزنازين وتمخض من رحم الوجد الدائم في متاهات السجون، إذ أنه يعبر عما يشعر به الشاعر من مرارة وضيق وألم وعذاب، وعن همومه التي لا تبارح مخيلته المتفجعة بخناجر القهر ومسامير الوجد وبالإضافة إلى المكان هناك شرط آخر هو: الجنس الأدبي كأن يكون شعرا أو رواية أو قصة ... لأن الكثير من السجناء نقلوا معاناة الأسر والألم و حياة الإنسان في غياهب السجون لكنّها اعتبرت شهادات حياة

⁵³ بوغرارة، زكريا، كتاب في أدب السجون: /الكف/ المنزقة، مؤسسة وإسلامة للإعلام، المغرب، ٢٠١٩م، ص ٢.

وتأريخاً لمراحل معينة لأنها لم تكن كتابات أدبية ولم تحمل في تقاسيمها سمات الأدب وخصائصه".⁵⁵

أمّا الباحثة فاطمة مسلماني في مقالها المعنونة بـ "أدب السجون" حيث عرّفته بأنه: "نوع من الأدب الذي استطاع أن يكتبه أولئك الذين عانوا السجن والتعذيب خلال فترة سجنهم أو بعدها أو كتبه الذين رصدوا تجارب سجناء عرفوهم أو سمعوا عنهم".⁵⁶ ويرى البعض أن أدب السجون هو الأدب الذي يكتبه الأسرى داخل المعتقلات، أو الأدب الذي يتناول موضوعات السجن وما يرتبط بها. ويتكوّن هذا الأدب من جانبين: الأول يتمثل في تجارب السجناء أنفسهم وما يكتبونه داخل الزنازين، وما يؤثّقونه من معاناتهم أثناء السجن وبعد الإفراج عنهم، حيث تبقى التجربة حيّة في ذاكرتهم. أما الجانب الثاني فيرتبط بما يعبر عنه الأدباء خارج السجون، ممن يتخيّلون حياة السجن ويستمعون إلى تجارب السجناء ثم ينقلونها بأساليبهم الفنية الخاصة. ويمكن القول إن أدب السجون هو أدب نضالي يركز على تجارب السجناء، ويصوّر قسوة الحياة داخل السجون وما يرافقها من عذاب وحرمان، إلى جانب التطلع إلى الحرية وروح التحدي، سواء أكان الكتّاب قد عاشوا التجربة فعلاً أم عبّروا عن تجارب الآخرين أو تخيّلوا معاناة السجناء. ويُعدّ أدب السجون وسيلة من وسائل المقاومة عادةً. يلجأ إليها الكتّاب للتعبير عن الوضعيات السياسية والاجتماعية والكشف عن الفساد ومحاربة مظاهر الظلم والاستبداد".⁵⁷

⁵⁵ نوال، عبد الدائم، رسالة ماجستير: أدب السجون عند أيمن العتوم من خلال روايته: "يسمعون حسيها" و"يا صاحبي السجن"،

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، ٢٠٢٠م، ص ١٩.

⁵⁶ مسلماني، فاطمة، مقالة: أدب السجون، الموقع الإلكتروني: <http://dspace.centre-univ-> تاريخ الاسترجاع: ١٢/١٠/٢٠٢٣م.

⁵⁷ نوال، عبد الدائم، رسالة ماجستير: أدب السجون عند أيمن العتوم من خلال روايته: "يسمعون حسيها" و"يا صاحبي السجن"، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ٢٠٢٠م، ص ١٩.

أنواع أدب السجون

يشمل أدب السجون مختلف أنواع الأدب مثل الرسائل والقصة والشعر والرواية والمسرحية وغيرها. ولكن أكثر انتشارا من خلال جنسين أدبيين أساسيين وهما "القصة والشعر" بتفرعاتهما المختلفة. سيتناول الباحث فيما يلي بعض التصنيفات الأدبية التي ارتبطت بهذا النوع من الأدب.

الرسائل: ما يُكتبه الإنسان للآخرين، حينما يعبر فيه عن مسائل شخصية أو عامة، ويسعى فيها إلى استخدام البلاغة واستكشاف المعاني الدقيقة، فيصعد بها إلى مستوى أدبي متميز. وقد نجح بعض السجناء، بعد مجهودات نضالية طويلة في بعض السجون، في استعادة حقهم في مراسلة أقاربهم. ومع تقدم التكنولوجيا وتطور الإمكانيات، تحولت رسائل المعتقلين تدريجياً إلى نصوص أدبية تحمل مشاعرهم وتعبّر عن أفكارهم، وغالباً ما احتوت على استعارات وتمويهات وألغاز ورموز. ولكن بعضهم اعتمد الأسلوب الأدبي، خاصة بعد اكتشاف مواهب أدبية خفية خلف قضبان السجن.⁵⁸

إن الرسائل شكلت نافذة للمعتقلين نحو عوائلهم ومجتمعهم والعالم الخارجي بشكل عام، حملت معها العديد من المضامين السياسية والتربوية والنفسية والفكرية. وارتقت من مجرد تبليغ الأحداث إلى التحليل والإبداع، مما جعلها تحظى بمكانة مرموقة في عالم الأدب والإبداع، إذ كانت تشكل مهمة وطنية وتاريخية وأدبية في نفس الوقت. ويجدر بالذكر أن معظم السجون العربية لم توفر للسجناء إمكانية كتابة الرسائل وتبادلها، وكان من المستحيل حتى امتلاك أدوات كتابة بسيطة مثل القلم والورقة البيضاء، بهدف تقييد حريتهم ومنعهم من نقل ما

⁵⁸ نوال، عبد الدائم، رسالة ماجستير: أدب السجون عند أيمن العتوم من خلال روايته: "يسمعون حسيها" و"يا صاحبي السجن"، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، ٢٠٢٠م، ص ١٩.

يجري داخل جدران السجن، خاصة فيما يتعلق بسجناء القضايا السياسية التي تمس أمن الدولة وتهدد السلطة الحاكمة. بينما كانت هذه الرسائل تنتشر أكثر في السجون العادية، حيث يُقضي السجناء فترات زمنية معينة نتيجة ارتكاب جرائم معينة.⁵⁹

المسرحية: نوع أدبي يتجلى على خشبة المسرح، حيث يقوم المؤلف بكتابة قصة بصيغة شعرية أوثرية تصف الحياة والشخصيات، وتتناول أحداثاً معينة من خلال الحوار. يتألف هذا النوع عادة من مجموعة من الفصول والمشاهد، وينطلق من تصوير الطبائع والتناقضات والصدامات التي تحدث في مواقف تراجمية أو هزلية ساخرة. ظهر هذا النوع من الأدب داخل السجون بهدف الهروب من الواقع وتسلية الذات، وكان يتم تمثيله عادة من قبل المساجين أنفسهم. ومن بين المسرحيات الفلسطينية الشهيرة: مسرحية فدائي جريح وزنبقة الدم لم تحقق هذه المسرحيات نجاحاً كبيراً لأنها كانت تعرض داخل السجون خلال الأمسيات والاحتفاليات، مما يمثل تحدياً لإدارة السجن لأنها رفضت أشكال التعبير والتواصل بين السجناء.⁶⁰

الرواية: الرواية هي فن سرد الأحداث والقصص، وتتضمن مجموعة كبيرة من الشخصيات والأحداث، وتتميز بالحبكة الفنية والتشويق، حيث تتناول مجموعة متنوعة من القضايا والمواضيع.⁶¹

تعتبر الرواية واحدة من أكثر الأنواع الأدبية التي تستخدم للتعبير عن حالات الاعتقال والأسر بشكل مميز بالمقارنة مع الأنواع الأخرى، وقد برز العديد من الأدباء بأعمال روائية رائعة تولدت

⁵⁹ د. حمدونة، رأفت، مقالة: أدب السجون التعريف والمميزات، الموقع الإلكتروني: <https://pulpit.alwatanvoice.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٤/١/٢٠٢٤ م.

⁶⁰ د. حمدونة، رأفت، مقالة: أدب السجون التعريف والمميزات، الموقع الإلكتروني: <https://pulpit.alwatanvoice.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٤/١/٢٠٢٤ م.

⁶¹ د. حمدونة، رأفت، مقالة: أدب السجون التعريف والمميزات، الموقع الإلكتروني: <https://pulpit.alwatanvoice.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٤/١/٢٠٢٤ م.

من وسط المأساة والمعاناة. ويذكر الباحث فيما يلي أشهرها منها التي تتناول موضوع السجون وتجارب السجناء:

رواية *يا صاحبي السجن* للكاتب الأردني أيمن العتوم نشرتها المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عام ٢٠١٢م، وتقع في ٣٤٦ صفحة وتتناول تجربة شخصية للمؤلف في السجن. معظم صفحاته تتناول مذكراته خلال فترة سجنه. ورواية *أسمه أحمد* للكاتب أيمن العتوم صدرت عام ٢٠١٧م عن دار النشر والتوزيع، وتمتاز بتضمينها ٦٦٩ صفحة. الكاتب الأردني أيمن العتوم يسلط الضوء على حياة الجندي الأردني أحمد الدقاسمة، الذي أطلق النار على سبع فتيات إسرائيليات، وأدين بالسجن المؤبد، ثم تم الإفراج عنه بعد انتهاء فترة حكمه ومرور عشرين عامًا. رواية *التوقعة* للكاتب السوري مصطفى خليفة صدرت عن دار الآداب في بيروت في عام ٢٠٠٨م. تحتوي على ٣٨٣ صفحة. تروي القصة يوميات شاب قُبض عليه بعد عودته من رحلته الدراسية في الخارج وأمضى في السجن لأكثر من ١٣ سنة بدون معرفة التهمة الموجهة إليه. في النهاية، اكتشف أنه تم اعتقاله بسبب شائعة من زميله وليس بسبب سياسته. الكاتب يسلط الضوء على الظلم والقسوة وأساليب التعذيب في السجن. رواية *يسمعون حسيدها* للكاتب الأردني أيمن العتوم، صدرت عن المؤسسة العربية للنشر في عام ٢٠١٣م، وتحتوي الرواية على ١٨٥ صفحة. الرواية تبدأ بسرد قصة معتقل سياسي في سجن عربي سيء السمعة، حيث تُظهر أساليب عذاب عنيفة وظروفا قاسية للمساجين.

رواية *حيونة الإنسان* للمؤلف السوري ممدوح عدوان، صدرت عام ٢٠١٨م عن دار النشر والتوزيع، وتمتاز بتضمينها ٥٦٢ صفحة. يناقش الكاتب قضية العنف والقمع الذي يمارسه بعض الأفراد ضد آخرين، مما يجعلهم يفقدون الرحمة والإنسانية ويصبحون أقرب إلى الحيوانات من البشر. ورواية *شرف* هي رواية للكاتب المصري صنع الله إبراهيم، صدرت عن

دارالهلل للنشر في عام ٢٠٠٩م، وتحتوي الرواية على ٥٤٨ صفحة. تروي القصة قصة الشاب شرف الذي دخل السجن وبدأت معاناته هناك بتعرضه للإساءة بأشكال متعددة. يتناول الكاتب أيضا تقديم مختلف الشخصيات التي التقى بها في السجن، والتي غالبا ما تكون من المساجين الثانويين المتورطين في جرائم مثل الفساد والمخدرات وتهريب الأغذية الفاسدة. تتميز الرواية بأسلوبها الجريء والمثير الذي يطرح قضايا مهمة وغير مسبقة.

رواية شرق / المتوسط للكاتب السعودي عبد الرحمن منيف، تحتوي على ٨٨ صفحة في عام ٢٠٠٧م. الكاتب يروي قصة رجب الذي خرج من السجن وهاجر إلى أوروبا. في رحلته، يستعرض ذكرياته في السجن من خلال رسائله لأخته أنيسة حيث يصف فيها عذابه وألمه. بعد قضاء عدة سنوات في أوروبا، عاد إلى وطنه وتم اعتقاله مرة أخرى، ثم خرج من السجن فاقدًا لبصره، وتوفي بعد وقت قصير. أخته أنيسة قررت نشر رسائله وكتابات تخلصًا لذكراه.

رواية دروز بلغراد للكاتب اللبناني ربيع جابر، صدرت في عام ٢٠١٠م عن دار الآداب وتتألف من ٢٣٩ صفحة. تروي الرواية قصة حنا يعقوب، رجل من بيروت وبائع بيض، الذي أُلقي به القبض على رصيف الميناء بالصدفة. تم ترحيله مع مقاتلين دروز آخرين إلى سجون المملكة العثمانية في بلغراد. رواية من تدمير إلى هار فارد للكاتب السوري الدكتور البراء السراج، صدرت عام ٢٠١١م وتتألف من ٩٨ صفحة. تروي الرواية تجربة شخصية للكاتب الذي دخل السجن وعانى لسنوات طويلة. يسرد قصة اعتقاله التي استمرت لاثني عشر عاما، ويوثق تفاصيل الحياة الصعبة في السجن ويؤكد على واجبه الوطني والإنساني في كشف الانتهاكات الإنسانية التي وقعت في السجن الذي أمضى فيه أصعب أيام حياته.

رواية خمس دقائق وحسب، تسع سنوات في سجون سورية للكاتبة السورية هبة الدباغ، صدرت عام ٢٠٠٥م وتتألف من ٢٢٩ صفحة. تروي الكاتبة تجربتها الشخصية في سجون

بلادها، حيث قضت فيها تسع سنوات من التعذيب والإهانات. بعد خروجها من السجن، قررت توثيق ما حدث معها داخل السجن من خلال الرواية التي تكشف عن الانتهاكات الجسيمة التي ارتكبت في السجون السورية. ورواية *لك العتمة الباهرة* للكاتب المغربي الطاهر بن جلون، صدرت عام ٢٠٠٤م عن دار الساقى للنشر وتألّف من ٢٢٣ صفحة، عن قصة المأساة التي عاشها السجنين عزيز بنين الذي أمضى ١٨ عاما في سجن قاسٍ ومروع. قدم الكاتب فيها وصفا دقيقا للمعاناة النفسية والجسدية، والأضرار التي لحقت بعزيز نتيجة الظلم والقسوة التي تعرض لها في السجن.

رواية *أحلام بالحرية* للكاتبة عائشة عودة الفلسطينية، نشرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ٢٠٠٤م، تحكي عن قصة تجربة الكاتبة في السجن. تجسد هذه القصة حياة ومعاناة الكاتبة التي اعتقلت في عام ١٩٦٩م وتعرضت لأقصى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي والمعنوي والعاطفي والوجداني خلال فترة اعتقالها. تم هدم منزلها وحُكم عليها بالسجن المؤبد. قضت حوالي عشر سنوات في السجن قبل أن تُبعد قسراً عن أرض الوطن. بعد ذلك، عادت إلى مسقط رأسها وقريتها، حيث استعادت حياتها واستقرت هناك، مع البقاء مخلصاً لحياتها الأبدية لهذا المكان⁶². وهذه مجرد بعض الأمثلة على الروايات العربية المشهورة في أدب السجون، وهناك العديد من الكتب الأخرى التي تتناول هذا الموضوع بطرق مختلفة حول تجارب السجناء والظروف الاجتماعية والسياسية التي يمكن أن تؤدي إلى اعتقالهم.

الشعر: من الملاحظ أن شعر السجون لم يحظ بالاهتمام والدراسة إلا في العقود الأخيرة، حيث بدأت دراسات تتعامل مع أدب السجون في الوطن العربي، سواء القديم أو الحديث،

⁶² نوال، عبد الدائم، رسالة ماجستير: *أدب السجون عند أيمن العتوم من خلال روايته: "يسمعون حسيبها" و"يا صاحبي السجن"*، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ٢٠٢٠م، ص ١٩.

تبرز وتظهر. يقول أحمد مختار البزرة في كتابه *الأسر والسجن في شعر العرب (تاريخ ودراسة)*:
"ليس ثمة كتاب للأقدمين في الأدب والشعر، مما انتهى إلينا خبره، أفرد للحديث عن شعر
الأسر على إحاطتهم به، ودرائتهم الواسعة بوقائعه وظروفه، لكنهم فرقوه في ثنايا عديد المؤلفات
الموسعة والموجزة، متصلا بالأخبار أو مضموما إلى المختارات أو مرفقا بذكر الأماكن والبلدان"⁶³.
الأشعار السجونية تعبر عن مجموعة متنوعة من المشاعر التي يعيشها المساجين تجاه السجن
وظروفه، فهي تتراوح بين الحزن والمرارة والصعوبات التي واجهوها، كما يقول الشاعر أيمن
العتوم في ديوانه *نبوءات* الذي كتبه أثناء أيامه في السجن بأسلوب يعبر عن تصميمه وثباته،
يقول:

"يا أم أيمن لا شكوى تردينا
إلا إلى الله: إن الله يحمينا
نموت من أجل أن تحيا عقيدتنا
ولا نذل لجبار وطاغينا
لقد وردنا على حوض الهدى شرفا
فلا السجون ولا التعذيب يثنيها
لنا نفوس يهاب الموت عزتها
ولا تنام على ذل مآقينا
إننا صبرنا على ضيم نساق له
وإن يك الصبر في الأحشاء سكيناً"⁶⁴

وفي هذا المقطع، يعبر الشاعر عن تصميمه وقوته الروحية. يُظهر أن إيمانه بحماية الله هو
مصدر قوته، وأنه مستعد للتضحية من أجل الحفاظ على عقيدته. يؤكد على عدم استعباده
لأية جهة قوية أو طاغوت، وأنه ينظر إلى أنفسهم كأصحاب الشرف والكرامة. وكما يشير

⁶³ البزرة، أحمد مختار، كتاب في أدب السجون: *الأسر والسجن في شعر العرب (تاريخ ودراسة)*، مؤسسة علوم القرآن، سوريا، ط ١، ١٩٨٥م، ص ١٥.

⁶⁴ العتوم، أيمن، ديوان الشعر: *نبوءات الجانعين*، دار المعرفة، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٢م، ص ١٦.

الشاعر إلى أنهم تلقوا شرفاً من الله بالوصول إلى الهدى والإيمان، وهذا الشرف يمنحهم القوة والصمود. يعبر عن عزمهم على عدم الانكسار أو الاستسلام أمام السجون والتعذيب. الشاعر يصف أيضاً نفوسهم بأنها تخشى الموت إذا تعلق الأمر بكرامتهم، ولا تقبل الذل. يعبر عن استعدادهم لتحمل ألم الضيم الذي يتعرضون له، وأن صبرهم على هذا الضيم يمثل سلاحاً حاداً في أحشائهم. باختصار، الشاعر يعبر عن تحدٍ قوي وعزم لا يلين أمام القهر والظلم، ويظهر ثباتهم في الإيمان بالله والدفاع عن قيمهم وكرامتهم بكل قوة وكبرياء. وفي قصيدة أخرى، يقول:

"حق يضيع ولا يعود،

الحق ينتزع انتزاعاً.

هذا أنا....

شعب يعذب في السجون بغير ذنب

ثم يسلب حق الدفاع"⁶⁵

هذه الأبيات أيضاً تأتي من قصيدة أيمن العتوم وتتناول موضوع معاناة السجناء المظلومين والظلم الذي يتعرضون له. الشاعر يتعبّر عن الظروف الصعبة التي يعيشها هؤلاء السجناء وعن الجريمة الكبيرة التي تقع على من يقوم بالاعتقال ظلماً. تظهر استياء الشاعر من فقدان الحقوق والعدالة وصعوبة استعادتها بمجرد فقدانها. وتشير إلى ضرورة النضال والكفاح من أجل استعادة الحقوق والعدالة وتعكس تحدي الشاعر وتعاطفه مع هؤلاء السجناء. يصف الوضع بأن شعب بريء يُعذب في السجون دون أن يكون لديه أي ذنب، ومع ذلك، يُسلب حقه في الدفاع والرد على التهم الموجهة إليه. باختصار، يعبر أيمن فيها عن غضبه وتعاطفه مع السجناء المظلومين ويشجب الظلم والقهر الذي يتعرضون له.

⁶⁵ العتوم، أيمن، ديوان الشعر: نبوءات/ الجائعين، دار المعرفة، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٢م، ص ١٦.

ويقول الشاعر أبو إسحاق الموصلي البغدادي في قصيدته حين كان في الأسر خلال أيام هارون الرشيد، يذكر المصاعب والمحن التي واجهه والتي أصابته أثناء فترة أسره.

"أَلَا طَالَ لَيْلِي أَرَاغِي النَّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كَنْبًا ثَقِيلًا
بِدَارِ الْهَوَانِ وَشَرِّ الدِّيَارِ أَسَامُ بِهَا الْخَسَفَ صَبْرًا جَمِيلًا
كَثِيرُ الْأَخِلَاءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ فَلَمَّا حُبِسْتُ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
لِطَوْلِ بَلَائِي مَلَّ الصَّدِيقُ فَلَا يَأْمَنَنَّ خَلِيكُ خَلِيلًا" ⁶⁶

يقول فيها للمهدي يطلب العفو "أخرجني المهدي وأحلفني بالطلاق والعناق وكل يمين لا فسحة لي فيها ألا أدخل على ابنيه موسى وهارون أبدا ولا أغنيهما وخلي سبيلي" ⁶⁷

ولدى بعض الشعراء، يزداد التعبير والشعور بالاضطهاد لدى بعض الشعراء بشكل ملحوظ. يقومون بذكر الكرامة والعزالي كانوا يتمتعون بها في الماضي وكيف تحولت إلى ذل واستضعاف ومأساة في ظروف السجن. يُعتبر أبو فراس الحمداني واحدًا من الشعراء الذين يظهرون هذا الجانب بشكل بارز. روميته تجمع بين الألم والعظمة، وذلك بالنظر إلى مركزه الاجتماعي والثقافي كابن عم سيف الدولة الحمداني. يُعبر هؤلاء الشعراء عن انتقادهم للزمن الذي لم يعاملهم بالعدالة وألقاهم في أحجار السجون. على سبيل المثال، المعتمد بن عباد، أحد ملوك الطوائف في الأندلس، عندما تم أسره، أعرب عن مشاعر مماثلة بشأن الظلم والاضطهاد الذي تعرض له، ⁶⁸ يقول:

"أَبَى الدَّهْرُ أَنْ يَقْنَى حَيَاءً وَيَنْدَمَا
وَأَنْ يَمْحُو الدَّنْبَ الَّذِي كَانَ قَدَمَا
فَإِنْ يَتَلَقَّى وَجْهَ عَتِي وَجْهُهُ
بِعُدْرِ يُعْشِي صَفْحَتَيْهِ التَّدَمُّمَا

⁶⁶ الأصفهاني، الفرج، كتاب في التاريخ: كتاب الأغاني، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ج ٢٤، ١٩٥٥ م، ص ١٧٦.

⁶⁷ الأصفهاني، الفرج، كتاب في التاريخ: كتاب الأغاني، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ج ٢٤، ١٩٥٥ م، ص ١٧٦.

⁶⁸ د. زبني، طارق، مقالة: ظاهرة شعر السجون وتجلياتها في الأدب العربي القديم، مجلة القارئ، يونيو ٢٠٢٠ م، ISSN:2602-8018

سَتَعْلَمُ بَعْدِي مَنْ تَكُونُ سُيُوفُهُ
إِلَى كُلِّ صَعْبٍ مِنْ مَرَاقِيكَ سُلْمًا
سَتَزْجِعُ إِنْ حَاوَلْتَ دُونِي فَتَكَّةُ
بِأُخْجَلٍ مِنْ حَدِّ الْمُبَارِزِ أَحْجَمًا"⁶⁹

ويقول محمود درويش في قصيدته آخر الليل من داخل السجن:

"وطني يعلمني حديد سلاسل
عنف النور ورقة المتفائل
ما كنت أعرف تحت جلودنا
ميلاد عاصفة وعرس جداول
سدوا علي النور في زنزانة
فتوهجت في القلب شمس جداول"⁷⁰

يُظهر محمود درويش عشقه العميق لوطنه، حيث يُستخدم مصطلح "حديد سلاسل" للإشارة إلى القيود التي يتعرّض لها في السجن. وبالرغم من هذه القيود، إلا أن هذا الحب العامر لوطنه يُلهمه لتعلم كيف يكون قويا ومتينا وتماما كما تكون مادة الحديد. هنا، يصف الشاعر السجن زنزانة كمكان حيث يمنع من رؤية النور والحياة. يعني هذا أن السجن والقيود قد حاولوا إخماد رؤيته وحياته وانكماش أمله. بالفعل، محمود درويش عبّر في هذه القصيدة عن تفاؤله وصموده حتى في ظل الظروف القاسية في السجن. واستخدم مصطلح "شمس جداول" للدلالة على الضوء والأمل الذي يُشع في قلبه، حتى في أصعب اللحظات، مما يعكس إصراره على البقاء متفائلاً وقوياً رغم التحديات التي تواجهه.

⁶⁹ الأصهباني، أبو عبد الله عماد الدين، كتاب في التاريخ: خريدة القصر وجريدة العصر، الدار التونسية للنشر، تونس، ج ٢، ١٩٧١م، ص ٣٧.

⁷⁰ درويش، محمود، قصيدة آخر الليل، مطبعة الجليل، فلسطين، ١٩٦٧م.

يقول سميح القاسم قصيدته رسالة المعتقل، قدم تحدًا واضحًا للسجان وأظهر إصرارًا على النصر. في القصيدة، عبّر عن تفاؤل ثوري عميق بقرب حلول النهار، حيث قال:

"لكنني ... أومن يا أمّاه

أومن... أن روعة الحياة

تولد في معتقلي

أو من أن زائري الأخير... لن يكون

خفاش ليل... مدلجاً بلا عيون

لا بد أن يزورني النهار...

وينحني السجان في انبهار

ويرتمي... ويرتمي معتقلي

مهدماً... لهيبه النهار"⁷¹

في هذه الأبيات يقدم الشاعر تحدياً واضحاً للسجان ويظهر إصراراً قوياً على النصر. القصيدة تعبر عن تفاؤل ثوري عميق بقرب حلول النهار، معبراً عن هذا التفاؤل بكلمات قوية. وتعبّر القصيدة عن قوة الإرادة والتصميم في مواجهة القيود والظروف الصعبة. إنها تظهر كيف يمكن أن يكون التفاؤل والإيمان في الحرية دائماً موجودين حتى في أصعب اللحظات.

⁷¹ المصاروة، إيمان، كتاب في النقد: أدب السجون في فلسطين: دراسة توثيقية، ٢٠٢٠م، ص ٨٣.

الفصل الثالث: البناء الفكري والفني لأدب السجون

أسباب ظهور أدب السجون وأنواعه

"الأدب أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف وأفكار وخواطر وهواجس الإنسان بأرقى الأساليب الكتابية التي تتنوع من النثر، إلى النثر المنظوم، إلى الشعر الموزون، لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر".⁷²

تجربة السجن وما ينتج عنها من تعذيب وقهر، ومعاناة مأساوية، وحرمان من الحرية، وتدمير تعدد واحدة من أصعب التجارب التي قد يمر بها إنسان. ولكن الأمر الأكثر صعوبة هو أن يكتب عنها لتبقى حية في ذاكرته وفي ذاكرة الجماعة، حيث تكون شاهدة على أزمة عميقة تمر بها. وهي تسجل الأحداث التاريخية والسياسية في فترة زمنية معينة من خلال أشكال أدبية متنوعة تظهر نفسها كظاهرة أدبية. لقد لاقى هذه الأدبية اهتمامًا وإقبالًا كبيرين، سواء من قبل الشعراء أو من قبل النقاد والدارسين. ولابد أن هناك مجموعة من الأسباب التي ساهمت في ظهور هذا النوع من الأدب، وقد خصصت "فاطمة مسلماني" أربعة أسباب رئيسية هي: العامل النفسي، التجربة الشخصية، السياق التاريخي، والمعارضة والرفض.⁷³

العذاب والضغط النفسي: الحياة القاسية في السجن يولدان داخل السجين المبدع نار الإبداع. تكون معاناته مصدر طاقة مكبوتة يستخدمها للتعبير عن آلامه والهروب منها عبر الكلمات والأقلام. إضافة إلى رغبته في الحرية ووعيه بحقيقته، تتيح لروحه التحليق في فضاءات الخيال اللامحدودة، معبرًا عن حزنه وتحديه للسجن والسجان داخل أسوار الزنازين والأقفال المغلقة. يُعتبر الأدب تعويضًا للعديد من الاحتياجات المفقودة والمحرومة في حياة السجين، كما يعكس

⁷² د. حمدونة، رأفت، مقالة: أدب السجون/التعريف والمميزات، الموقع الإلكتروني: <https://alwatanvoice.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٤/٠١/٢٠٢٤ م.

⁷³ فاطمة، مقالة: أدب السجون، الموقع الإلكتروني: <http://dspace.centre-univ->، تاريخ الاسترجاع: ٢٣/١٠/٢٠٢٠ م.

القمع والإرهاب الذي عاشه، حيث تصبح الكلمة هي وسيلته الوحيدة للتعبير والهروب في نفس الوقت⁷⁴.

التجربة الشخصية: لم يكن أدب السجون محصوراً لفئة معينة من الأدباء، بل كان متاحاً لكل من كان لديه الرغبة في استكشاف تجربة السجن وتصورها. يُميز الشاعر بحسه الحساس وروحه الرقيقة وعواطفه القوية التي تتألم مع معاناة الآخرين وتشعر بحزنهم. لذا، عاشوا تجربة السجن على الصعيدين النفسي والإبداعي من خلال ما رأوا من وقائع داخل السجون أو ما سمعوا من قصص، وقاموا بنسجها في خيالهم. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك أدباء وشعراء قرروا مواجهة هذه التجربة بشكل شخصي وعاشوا آلام ومعاناة السجن بهدف نقل ما رصدوه خارج أسوار السجن فيما بعد.⁷⁵

السياق التاريخي: ظهرت بعض الأعمال الأدبية بهدف توثيق حقبة زمنية معينة أو حدث معين، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالاعتقالات السياسية. يكمن السبب وراء ذلك في أن هذه الأعمال تعكس القوانين والأنظمة السياسية الفاسدة في بلد معين، والأحداث التي جرت في فترة زمنية محددة، وتأثيرات ذلك على جميع الجوانب الاجتماعية والفكرية والاقتصادية⁷⁶.

المعارضة والرفض: الأديب يقف بفخر وثبات أمام الفساد والظلم، ويعتبر قلمه أداة قوية يستخدمها للدفاع عن وطنه ومواقفه وآرائه. يتحدث أمام الجماهير ويسعى جاهداً لنقل الحقيقة بأمانة وصدق، دون تلوين أو تضليل. بهذه الطريقة، يعبر عن انزعاجه ورفضه

⁷⁴ مسلماني، فاطمة، مقالة: أدب السجون، الموقع الإلكتروني: <http://dspace.centre-univ-> تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/١٠/١٢ م.

⁷⁵ مسلماني، فاطمة، مقالة: أدب السجون، الموقع الإلكتروني: <http://dspace.centre-univ-> تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/١٠/١٢ م.

⁷⁶ مسلماني، فاطمة، مقالة: أدب السجون، الموقع الإلكتروني: <http://dspace.centre-univ-> تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/١٠/١٢ م.

للأوضاع التي يشهدها مجتمعه، وخاصة في العصر الحديث والمعاصر، حيث ازدادت قوة الحركة الوطنية وتطور الوعي والفكر.⁷⁷

موضوعات أدب السجون وخصائصه

إذا كانت معظم مواضيع أدب السجون في الماضي تتعلق بالاعتذار، العتاب، الأمل واليأس، الحنين، والخوف من الموت، الصبر، والتوبة... فإن موضوعاته في العصر الحديث اتخذت منحى مختلفاً بسبب تغير الوعي الفكري والتغيرات في الأوضاع السياسية والاجتماعية. حيث بدأ الكتاب يستخدمون أدب السجون لاستنتاج الظلم والمعاناة، معبرين عن رفضهم القاطع لكل أشكال الفساد. ويمكن تلخيص ذلك بهذه الكلمات التالية.

وسيطرت ظاهرة الوصف والتحليل على أدب السجون، إذ وثق السجين الحياة اليومية وعبر عن مشاعره وأفكاره. تجلّى السجن كمصدر للموت البطيء، مع تجدد الصباحات المروعة والمعاناة المستمرة. الأدباء وصفوا هذه التجربة المؤلمة، وجعلوها جزءاً من فهمهم ولغتهم وحياتهم، سواء بالوصف التفصيلي أو التحليل النقدي. نقلوا حياة السجن وشخصياته، ومعاملة السجناء والسجانين، وأنماط الحياة داخل السجن، والأنظمة الظالمة التي تحكمه. هناك كثير من الكتاب والأدباء السجناء الذين كتبوا عن مشاعرهم وهم كانوا في الزنزانة، منهم الأديب الأردني أيمن العتوم، وهو قال:

"زِنْرَاتِي حَيْرَمٌ صَاحَبْتُ فِي زَمَنِ الْحَاكِمُونَ بِهِ أَحْفَادُ هَامَانَ"⁷⁸

يقول الشاعر إن زنزانته أفضل من الأشخاص الذين تواجدوا معه في هذا الزمن. ويشير إلى أن الحكام في هذا الزمن يشبهون أحفاد هامان، وهامان هو شخصية من القصة القرآنية

⁷⁷ مسلماني، فاطمة، مقالة: أدب السجون، الموقع الإلكتروني: <http://dspace.centre-univ-> تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/١٠/١٢ م.

⁷⁸ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٢ م، ص ٢٢٢.

والتوراة والإنجيل يُعتقد أنه كان مساعد فرعون أو مسؤولاً في الإمبراطورية الفارسية وأحد الأعداء التاريخيين لليهود كما ورد في سورة غافر "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ آبْنِي لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كُذِبًا وَكَذَلِكَ زُينَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾" ⁷⁹

وبالإشارة إلى زنانيته كونها "خير" يفضل الكاتب العزلة على التواجد مع هؤلاء الأشخاص أو أنه يجد في زنانيته مأوى مناسباً أفضل من العالم الخارجي الذي يحكمهم فيه الأشخاص الفاسدين والظالمين.

ويصف العسكري الكاتب المغربي أحمد المرزوقي زنانيته التي قضى فيها عشرين عاماً "باب الزنانة من الحديد السميك، لونه رمادي غامق، يحمل فوقه رقماً أعوج ... في وسط الزنانة نويضة مستطيلة تطل على الدهليز وتغلق من الخارج بمزلاق" ⁸⁰ يشرح هنا أحمد المرزوقي الزنانة بدقة، حيث يصف الباب بلونه الرمادي الداكن ومادته السميكة، ووجود رقم معوج مثبت عليه. ويذكر وجود نافذة مستطيلة في وسط الزنانة تطل على الدهليز الذين يتم إغلاقهم من الخارج باستخدام مزلاق. هذا الوصف يُظهر صورة لزنانة صعبة ومعزولة مع اهتمام خاص بتفاصيل الباب والنافذة والسيطرة الخارجية على الزنانة.

يصف محمد عادل فارس السوري عمال السجن بناء على تجربته وتفاعله مع العديد منهم في مختلف السجون في سوريا. "الصفة العامة لمعظم ضباط المخابرات والمحققين الذين عرفتهم أنهم قليلو الذكاء، وضعيفو الضمير، محدودو الثقافة، جفاة الطبع، منحדרو الأخلاق

⁷⁹ سورة غافر، القرآن الكريم، رقم الآية ٣٦-٣٧.

⁸⁰ المرزوقي، أحمد، كتاب في سيرة ذاتية: تنمازت الزنانة رقم ١٠، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٢م، ص ٨٧.

أما السجانون والجلادون فيتسمون عادة بالغباء والمحدودية وبضعف الثقافة بل الأمية أحياناً".⁸¹ موضوعات أدب السجون مختلفة يبيتها الباحث أدناه مع الأمثلة موجزا.

وضع السجن والسجين: يصوّر أدب السجون بوصف حيات السجين اليومية ومشاعره وهو جسده وأفكاره. ويظهر الحياة في السجن كشبح يهدد بالموت البطيء، حيث يتجدد مع كل صباح موحش ومع كل لحظة من المعاناة. الأديب يصوّر هذه التجربة المريرة ويتجسّد في فكره ولغته وحياته بكل تفاصيلها الدقيقة. يقوم بالوصف في بعض الأحيان والتحليل والنقد في أحيان أخرى، وينقل حياة السجن وكل ما يتعلق به من سجناء وسجانين، ونمط الحياة داخل السجن، والقوانين الجائرة التي تحكمه. ويقول أيمن العتوم وهو يصف معاناته في الزنزانة:

"يَا ظَلَامَ السَّجْنِ خَيِّمِ

إِنَّنَا نَهْوَا الظَّلَامَا

لَيْسَ بَعْضَ اللَّيْلِ إِلَّا

نُورٌ فَجَرٍ يَسَامَى"⁸²

في هذه الأبيات يعبر الشاعر أيمن العتوم عن تجربته في السجن ومشاعره خلال هذه الفترة. يبدأ أيمن بالإشارة إلى الظلام في السجن وكأنه خيمة تغلفهم. وبعده يعبر عن رغبتهم في نفي الظلام والبحث عن النور ويربط بين الليل والفجر، ويعني أن الليل ليس سوى فترة مؤقتة وبعدها يأتي نور الفجر الذي يرمز إلى الأمل والتغيير. القصيدة تعبر عن رغبة الشاعر في التغلب على الظروف الصعبة في السجن والبحث عن الأمل والضوء رغم الظلام الذي يحيط بهم.

لا يمكن وصف حياة السجن دون تجسيد السمة الرئيسية فيها، وهي المعاناة، لأنها تبدأ من أول لحظة لاعتقال السجين وتمتد حتى يتجاوز عتبات الزنزانة. في هذا السياق، يفقد الشخص

⁸¹ فارس، محمد عادل، كتاب في أدب السجون: لأنهم قالوا لا، ناشرون بلا حدود، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٢٣.

⁸² العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ١٢٣.

حياته، أهله، كرامته وحرية. وبداية هذا الألم والحزن والظلم، تسلسل الكآبة تدريجياً إلى روحه وتصاحبها. كما قال أحمد مختار البزرة: "كانت الحبوس ولا سيما المتأخرة على حال متناهية في السوء والإيذاء، يلقي فيها كثير من المحبوسين هلاكاً، لما فيها من الظلام والقذارة والوضع الصّحي المتدهور، وكانت الروائح الخبيثة مناخاً ملازماً لها، وترتع فيها الحشرات وهوام الطير، وتورث المرض العضال والموت".⁸³

الاضطهاد والظلم: كل الثورات والانتفاضات التي شهدناها في مختلف أنحاء العالم نتيجة للظلم وانتهاك حقوق الآخرين واستغلالهم، والشعور بالظلم نتيجة لقمع الحريات وإسكات الأصوات يجعل المظلومين يندمجون في التمرد ضد كل شيء، لأنهم فقدوا أعلى ما يملكون. الظلم يأتي بأشكال ومستويات مختلفة، بما في ذلك الظلم السياسي والاجتماعي والفكري. وكلما اشتدت درجة الظلم، زادت فرصة الثورة والانفجار بقوة أكبر. هذا لأن فكرة القضاء على الظلم وتحقيق الحرية والاستقرار متجذرة في قلوب المظلومين وعقولهم، وهي فكرة لا يمكن محوها أو تقليلها.

السجن يرمز إلى تغيير القيم، حيث يمكن للشخص المسجون أن يتحول إلى سجين ويعاني مثلما كان أشخاص آخرون يعانون في يوم من الأيام معه، "تحول البلديات وهم مساجين القضايا غير السياسية إلى جزائين وجلادين مثل العساكر، أعطتهم إدارة السجن سلطة الركل والشتم والضرب".⁸⁴ يصف هنا أيمن العتوم تحول البلديات الذين كانوا محتجزين في السجن بسبب قضايا غير سياسية إلى أشخاص يمارسون العنف والقمع في السجن، حيث منحهم إدارة السجن صلاحيات تنفيذ العقوبات بوحشية مماثلة لتصرفات العساكر.

⁸³ البزرة، أحمد مختار، كتاب في النقد: الأسر والسجون في شعر العرب: تاريخ ودراسة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط ١، ١٩٨٥م، ص ١٢٣.

⁸⁴ العتوم، أيمن، رواية: يسمعون حسيها، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٢م، ص ١٣٤.

"إن موضوع الظلم ليس مقتصرًا على الشعراء والأدباء المسجونين فقط، بل إنه كان موضوعًا عامًا تناوله معظم الشعراء. أما الذين تم سجنهم، فكان وقع الظلم عليهم شديدًا إلى الحد الذي جعل معاناتهم تتجاوز أي معاناة"⁸⁵.

هذا النص يشير إلى أن موضوع الظلم ليس مقتصرًا على الشعراء والأدباء الذين تم سجنهم، بل إنه كان موضوعًا يهم ويشغل بال معظم الشعراء بشكل عام. ويُشير إلى أن الأشخاص الذين تعرضوا للسجن عانوا من آثار الظلم بشدة، حيث بلغت معاناتهم مستوى يتجاوز أي معاناة أخرى، مما يظهر أن الأدباء المسجونين يتأثرون بشكل خاص بظلم السجون.

الصمود والتحديات (في سياق السياسة): ارتبط موضوع الظلم بموضوع التحدي والتحريض السياسي، فكل ما تعايشه الدول العربية من تقهقروشتات وفساد وظلم يجب أن يُقضى عليه عن طريق تكاتف الجهود والوقوف وقفة رجل واحد صامد في وجه الموجات العاتية، لأن مصير الشعب مرتبط بمصير الوطن. إن الذي يؤمن بمبدأ العدالة الإلهية في زمن الفساد، ويؤمن بمبدأ التضحية في سبيل الوطن، يدرك جيدًا أن السجن قد يكون قدره المحتوم في يوم من الأيام، ولكن الأجدر به الصمود لرفع كل مظاهر الطغيان والاستبداد.

بالنسبة للفكرة المشتركة بين الأفراد الواعين الذين يسعون لخدمة وطنهم، فهي القضاء على الظلم في النهاية وتبديد ليل السجن مهما طالته مدته، ورفع راية النصر وتحقيق العدالة. وبناءً على ذلك، يجب عليهم اختيار وسائل النضال المناسبة وفقًا لعمل كل فرد واتجاهه. يستخدم هذا الكاتب الناشط أدبه كوسيلة لتحفيز شعبه المتوتر والمرهق، ويمنحهم الأمل وروح المقاومة والواجب. يوفر لهم العزيمة والقوة اللازمة للمضي قدمًا، ويثبت أن السجن لا يزيدهم

⁸⁵ المعوش، سالم، كتاب في النقد: شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٥٤.

إلا عزمًا وصمودًا ومقاومة. فالصمود هو اختبار الصمود الأصعب داخل السجون. كما يقول أيمن العتوم في قصيدته *مشاعري هوى الأردن*، حيث يظهر إصراره على موقف الحق بغض النظر عن الثمن.

"وألهبوا النار في صدري فصيرني
أفر من برد نيران لنيران
لأنني عشت لا أرضى بطاغية
ولا أذل لسمسار وخوان
ولست أقبل صمتا سوف ينقذني
من بطش منتقم، أو ظلم سجان
لقد خلقت لأعلمها مـدوية
براءتي من طواغيت وطـغيان"⁸⁶

حبّ الوطن والرغبة للحرية: تعتبر مفاهيم حب الوطن والحرية من أعظم القيم والمفاهيم التي تميز أي مجتمع أو أمة. حينما يُجسد هذا الحب وهذه الحرية في سياق السجن، تأخذ أبعادًا خاصة وتصبح رمزًا للتضحية والصمود. يستكشف الباحث هنا أهمية حب الوطن والحرية في سياق السجن وكيف يتجلى ذلك من خلال تجارب السجناء الذين تحولوا إلى رموز للنضال والصمود.

عندما كانت السجون تشتهر بالعنف البدني والنفسي، جعل السجناء من الحرية الهدف المنشود والغاية المأمولة "لأنهم في زنازانتهم غذاء للسجن، يتاجر بهم الظالم ويغذي جبروته على العباد، فيصبح السجن بذلك ليس مجرد جدران وسلاسل، بل أداة لخنق الحرية".⁸⁷

⁸⁶ العتوم، أيمن، ديوان الشعر: نبوءات/ الجائعين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٣٧.
⁸⁷ المعوش، سالم، كتاب في النقد: شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٥٠٤.

والكاتب أيمن العتوم يعبر عن حبه الشديد لوطنه بكلمات مؤثرة في روايته *يا صاحبي السجن*، حيث يصف لحظة عودته إلى وطنه بالفرح والاعتزاز: "كان يوم الأربعاء وها أنا يا وطني آتيك على قدر، وأقبل ترابك الطاهر، وأنزوي ذرة في ثراك، وأعود إليك بكامل عنفواني، وبزهو شبابي الذي قضيت منه شطرا في السجن لأجلك... وطني يا أكبر من كل الأشياء، ويا أطول من كل القامات ويا أبقى من كل الجلادين ويا أنصع من كل التهم".⁸⁸

يقدم أيمن توصيفا قويا لوطنه، ويصفه بأنه الأكبر والأطول والأبقى والأنقى من كل شيء، مما يظهر امتنانه العميق واعتزازه الكبير بوجوده في هذا الوطن. يُظهر هذا النص مشاعره الصادقة تجاه وطنه. والبحث عن الاستقلال والرغبة في التحرر هما طلب كل مقاتل، ويجب أن يتم نزعهما من متاعب العدو باستخدام إرادة قوية وعزم صلب من أجل تحقيقهما وتحرير الوطن. هذه الأفكار هي ما يلهم به الأدباء والشعراء لإرضاء قرائهم وتشجيعهم على التألق، وذلك خصوصًا في أصعب محطات حياتهم.

ويشير توفيق زياد في قصيدته *المستحيل* إلى منهج المقاومة الذي يتبناه الشعب الفلسطيني في الحفاظ على أرضه وجذوره، واستنكاره للعدوان الصهيوني وتحديه له رغم التحديات. ورغم ما يتعرضون له من معاناة وصعوبة، إلا أنهم يستمدون قوتهم وصبرهم من ارتباطهم العميق في أرض فلسطين المقدسة ومن الزيتون المباركة التي ترمز لوحدهم رغم التنوع. إنهم مستعدون للتضحية من أجل أرضهم الغالي بأرواحهم النقية ودمائهم الزكية.

"أهون ألف مرة

من أن تميتوا وميض فكرة وتحرفونا عن طريقنا الذي اخترناه

قيد شعرة

⁸⁸ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٣٣٤.

كأننا عشرون مستحيل
في اللد والرملة والجليل
إننا هنا باقون
نحرس ظلّ التين والزيتون
إذا عطشنا نعصر الصخرا
ونأكل التراب إن جعنا
ولا نرحل
وبالدم الزكي لا نبخل".⁸⁹

يتجلى حب الوطن من خلال الاحتفاظ به ورفض أي محاولة للطرد أو التهجير. يعبر الشاعر محمود درويش عن هذه الفكرة مشجعاً شعبه على الالتصاق بوطنه:

"لويذكر الزيتون غارسه
لصار الزيت دمعاً
سنظلّ في الزيتون خضرته
وحول الأرض درعاً
إننا نحبّ الورد
لكننا نحبّ القمح أكثر"⁹⁰

يعبر الشاعر في هذه الأبيات عن روح الانتماء وحب الوطن والالتصاق به. الزيتون هو رمز للثبات والتمسك بالأصول والأرض الوطنية، وإذا تمت الإشارة إلى زراعتها، فإن الزيت الناتج سيكون مملوءاً بالدموع، مما يشير إلى تضحيات وصمود الشعب. الشاعر محمود درويش يشجع شعبه على الاستمرار في الالتصاق بأرضهم والدفاع عنها. وبالنسبة للجزء الثاني من

⁸⁹ مصاروة، إيمان، مقالة: أدب الأسجون في فلسطين: دراسة توثيقية، شبكة محررون، إصدار إلكتروني، رقم ١٣٦، ٢٠٢٠م، الموقع الإلكتروني: <http://dspace.univ>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٢/١٢م.

⁹⁰ درويش، محمود، قصيدة: آخر الليل، مطبعة الجليل، فلسطين، ١٩٦٧م.

الأبيات، الشاعر يعبر عن حبه للورد ولكنه يعلن أن حبه للقمح أكبر، وهذا يشير إلى الفقر الذي يواجهه الوطن.

الوحدة والحنين إلى الأهل: يعيش المسجون في واقع جديد، حيث يحمل عبء الألم والجروح نتيجة لحدوث كارثة كبيرة. على الرغم من وجود زملاء في السجن معه، إلا أن الوحدة تسيطر على حياته، ما يجعله يعيش في حالة من الخوف والقلق، ويفقد الثقة بأي شخص. هذا الإحساس يؤدي إلى ظهور شعور بالغربة، حيث يبدأ المسجون بتدريج التعرف على جوانب ذاته الجديدة التي لم يتعامل معها من قبل.

أفكار السجين تدور في دائرة من الضياع، الارتباك، تمزق الذات، والاضطراب العاطفي. هذا الاحباط يغمره في عالم مليء بالحزن والكآبة، حيث يستحضر ذكرياته السابقة التي تظهر أمامه كفساتين متناغمة، تشحن عقله وتحكي قلبه المكسور. يقول أيمن العتوم في روايته يا صاحبي السجن وهو الذي يذوب شوقاً لأهله خاصة، وعندما تم القبض عليه بغدر، ترك أمه تنتظر عودته في البيت، يقول: "بعثوا بي إلى الطبيب في إحدى الليالي... لم أدر لماذا يفعلون ذلك؟ لا أشكو من شيء إذا سلمت من رماح الذكرى، ومن سكاكين الشوق فأنا بألف خير، ولا طبيب يدعي معالجي منهما...".⁹¹ ويذوب أيمن شوقاً إلى أمه، حيث لم يستطع أن يصبر على فراقها، وقد بعث إليها بهذه القصيدة المعنونة بـ "أحنّ إليك"، حيث عبّر فيها عن أشواقه وأحزانه بسبب بعده عنها، إذ قال:

"إلى الغالية الغالية... القريبة على بعد... أمي... أمي

أحنّ إليك

وأعلم أن المزار بعيد ... بعيد

⁹¹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٨٥.

وَأَنْ اللَّيَالِي طَوَالَ عَلَيْكَ
أَحَبُّكَ هَا أَنَا أَنْقَشُ مَهْمَا يَطُولُ الْبَعَادُ
أَحَبُّكَ ... فَوْقَ النَّبِيِّ شَتَّتَ أَنْ أَكْتُبَهُ
أَحَبُّكَ يَا بِهِجَةَ الرُّوحِ....
أَحْنُ إِلَيْكَ...
وَأَشْتَاقُ تَقَبِيلَ كَفِّكَ يَا رَائِعَةً".⁹²

الخصائص والمميزات لأدب السجون

يتميز أدب السجون بعدة سمات وخصائص تفرده عن الأنواع الأدبية الأخرى. منها:
التعبير الصادق والخالص: عندما يكون الكاتب أو البطل مسجوناً ويروي ما يحدث داخل السجون، يجب عليه أن يكون صادقاً ومخلصاً في كتاباته، لأنه يحكي أحداثاً مرتبطة بالواقع وتعكس ما عاشه. كما أن أدبه يمثل نافذة نطل من خلالها على عالم مرعب يعاني سكانه من النيران من أجل البقاء. صدق الإحساس يستلزم فهماً عميقاً للنفس وقدرة على التعبير المؤثر.
الكتابة الصادقة تأتي من داخل وتصل إلى دواخل الآخرين، توثق الواقع بحقائقه وتعكس جماليات الحياة ومرارتها. الأدباء يرون العالم بعيون مفتوحة ويسجلون تجاربهم بأسلوب يستند إلى المشاعر والتأمل، ما يجعل أعمالهم أبدية وتعكس تجاربهم الشخصية والجماعية.⁹³
تصوّر الموت والحنين إلى الحرية: الموت يُعتبر حالة أساسية للإنسان في كل زمان ومكان، حيث يُقبل عليه ويتوقعه، ولكنه لا يُفضل وصوله بسرعة. يُعترف بحتميته ولكنه يُنسى أو يُهمل في وسط أحداث الحياة. وبالتأكيد، أن رائحة الموت كانت ولا تزال تشع من الزنازين والأدبيات السجنية بشكل خاص. فصورة الموت لا تترك السجناء منذ دخولهم أروقة السجن للمرة

⁹² العتوم، أيمن، قصيدة: نبوءات الجائعين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٢م، ص ٥١-٥٢.

⁹³ شيرين، محمد حسن سليمان، رسالة ماجستير: دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون، جامعة القدس، فلسطين، ٢٠١٨م، ص ٩٩.

الأولى. يتعرضون لتعذيب جسدي، ويحرمون من الطعام والشراب، ويواجهون الأوبئة والأمراض الخطيرة، ويواجهون حتى الإعدام. لذا، كان الموت يشغل مكانة كبيرة في أفكارهم، وتباین مشاعرهم تجاهه بين القلق والخوف والفرح في بعض الأحيان، وبين الحزن والفرح في أحيان أخرى.

تَحُولُ حياة السجين المظلوم بشكل مفاجئ يجعله يشعر بقرب الموت تدريجياً، حيث يعتبر الموت ببطء يثير في نفسه شعوراً حاداً بالألم والاكتئاب إلا من آمن بقضاء الله وقدرته على كل شيء. يرون السجناء الحرية كشيء غير قابل للتحقيق نظراً للظروف الصعبة التي يعيشونها، حيث لا يمكنهم الهروب من الزنانات التي صممت خصيصاً لهم. يجدون أنفسهم أمام خيارين فقط: إما الصبر والصمود وتحمل مصيبتهم، أو الرغبة في الموت لأنهم سيتحررون من القهر والمأساة والواقع المر الذي يعيشونه.

المأساة والمعاناة: المأساة والمعاناة هي ذروة الحزن والألم، وهذا ما يعيشه السجين بشكل عام. يتعرض لأقصى أنواع العذابات التي لا يمكن تصورها، ويعيش كل أشكال المعاناة والحرمان. بالإضافة إلى فقدان حريته وأملائه، يفقد هويته، وكرامته، وإنسانيته، ويعيش في عالم جديد غريب بالنسبة لطبيعته السابقة. يتعرض السجين لأقصى أنواع التعذيب اللفظي والنفسي، ويُتقن هذا التعذيب من قبل السجناء لمدة طويلة حتى ينسى السجين إنسانيته. يفاجأ السجين حينما يتأكد من هوية السجناء، حيث يراه كوحش من عالم آخر لا يشبه العالم الذي كان ينتمي إليه. أدب السجون يسلط الضوء أيضاً على العلاقات الإنسانية والتضامن بين السجناء، وعلى الروابط القوية التي قد تتشكل بينهم رغم قسوة الظروف. المأساة والمعاناة تعتبر جزءاً أساسياً من أدب السجون، حيث يعكس هذا النوع من الأدب الواقع القاسي الذي يعيشه السجناء، ويبرز الصراعات الداخلية والخارجية التي يواجهونها. يتناول أدب السجون

قصص الظلم والقهر، والحرمان من الحرية، والتعذيب الجسدي والنفسي، والشعور بالعزلة والضياع. كما يسلط الضوء على الصمود والتحدي والأمل الذي يحافظ عليه السجناء رغم الظروف الصعبة التي يعيشونها.

التعاطف: الأساليب القمعية وقمع الحريات ساهمت في تأجيج الشعور الإنساني، وظهر هذا بوضوح في الإبداع الأدبي للسجناء الأدباء الذين كتبوا بمنهج إنساني. الفنان المبدع هو الذي يستطيع استكشاف أعماق النفس البشرية، التي تشكل أساس الحياة. تكشف صور أدباء السجون عن ضعف التعاطف الإنساني لدى بعض السجناء والسجّانين، بل وحتى بين السجناء أنفسهم، إذ كان كثير منهم منشغلاً بتحقيق مصالحه الشخصية ومحاولة الهروب من الواقع المؤلم، دون اهتمام كبير بمعاناة الآخرين. ومع ذلك، فقد تحدّثوا أيضاً عن العلاقات الإنسانية التي نشأت بينهم، واستمرت حتى بعد الخروج من السجن وانتهاء فترة الاعتقال.

في رواية *سنة أولى سجن* لمصطفى أمين يقول عن اللفتة الإنسانية من السجان التي واجهها أثناء تجربته في السجن: "كان من بين وسائل التعذيب التي لجأوا إليها أن صدر قرار بمنعي عن الأكل والشرب، والحرمان من الأكل مؤلم ولكنّه محتمل، ولكنّ العطش عذاب لا يحتمل، وخاصة أننا في أواخر شهر يوليو الحرارة شديدة قاسية وأنا مريض بالسكر... الجوع لمدة ثلاثة أيام أمر محتمل أما العطش فهو عذاب مثل ضرب السياط كنت أسير في زنزاني كالمجنون... وبينما أنا أترنّح رأيت باب الزنزانة يفتح في هدوء، ورأيت يدا تمتد في ظلام الزنزانة تحمل كوب ماء مثلج... ورأيت حامل الكوب يضع إصبعه على فمه وكأنه يقول لا تتكلم"⁹⁴

⁹⁴ أمين، مصطفى، رواية: *سنة أولى سجن*، دار أخبار اليوم، مصر، ١٩٩١م، ط ٩، ص ١٦.

الفصل الرابع: أدب السجون في الأدب العربي

فكرة السجون تجذب اهتماما واسعا في التاريخ العربي، حيث تمتد جذورها في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية. وقد عاش الأدباء تجربة السجن عبر العصور والحقب التاريخية المختلفة، فقد اعتبرت تجربة الأسر والاعتقال جزءا من تراث الأدب العربي. وقد أنتج المبدعون العرب العديد من الأعمال الرائعة في أروقة السجون، حيث عبّروا عن مرارة السجن وقسوة الحياة داخله، وتحدثوا عن الظلم والاضطهاد والتعذيب الذي تعرضوا له. وأعربوا أيضا عن حنينهم لأحبائهم ورغبتهم الشديدة في الحرية. سيقوم الباحث فيما يلي بتسليط الضوء على بعض المقتطفات الأدبية التي تعد بداية أدب السجون في مختلف العصور العربية، بدءا من العصر الجاهلي وصولا إلى العصر المعاصر.

في العصر الجاهلي

البيئة العربية في العصر الجاهلي كانت مميزة بالتجزؤ إلى قبائل، حيث كانت لكل قبيلة سيدها الذي يدير شؤونها وينصب القوانين المحلية. وكان أيضا من المعتاد أن يعتبر أي شخص يخالف هذا السيد صاحب القبيلة كانت مخالفته صغيرة أو كبيرة، صاحبًا يعيش خارج نطاق القانون وأعلنه عدو القبيلة. وكانت الحياة في هذا العصر مميزة بنظام التغايز والغارات اللصوصية والنهب والحروب. كانت هذه الظروف تجعل الأسر والسجون واقعا حيث يتم احتجاز المنتصرين. فجاء السجن نتيجة للعلاقات والأنظمة السائدة في تلك الحقبة وتطبيق نظام البقاء للأقوى.⁹⁵

وكان الشاعر في تلك الفترة جزءا أساسيا من البنية الاجتماعية، إذ كان يمثل لسان قبيلته وسفيرهم بين القبائل الأخرى. كان هو وأفراد قبيلته عرضة للسجن والاعتقال، ولم نجد أحدا

⁹⁵ المعوش، سالم، كتاب في النقد: شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٤٦.

يعبر عن مأساة ومعاناة السجن بشكل أفضل منه، بالإضافة إلى شوقه الشديد للحرية. أول النصوص التي ورثت من أدب السجن كانت قصائد شعرية للشاعر الجاهلي النصراني عدي بن زيد العبادي من أهل الحيرة، عاش في القرن السادس الميلادي وهو كان من دهاة الجاهلية، سُجن عدي بأمر عمّه النعمان بن المنذر بعد أن اتُّهم بمكاتبة كسرى وخيانتة، فحبسه ثم أمر بقتله لاحقاً. فيكتب العديد من قصائده الشعرية ليعبر عن معاناته ويقدم شكاويه إلى عمه النعمان في إحدى هذه القصائد، توضيحاً لبراءته من اتهامات الوشاة وتأكيداً على ولاءه للملك،⁹⁶ يعبر في هذه القصيدة قائلاً:

ألا من مبلغ النعمان عني	وقد تهدي النصيحة بالمغيب
أحظي كان سلسلة وقيدا	وغلا والبيان لدى الطبيب
أتاك بأنني قد طال حبسي	ولم تسأم بمسجون حريب
وبيتي مقفراً لا نساء	أرا مل قد هلكن من النحيب
يبادرن الدموع على عدي	كشّن خانه خرز الربيب
فإن أظلم فقد عاقبتموني	وأن أظلم فذلك من نصيبي
فإني قد وكلت اليوم أمري	إلى رب قريب مستجيب " ⁹⁷

نجد أن ألم الحزن سيطر على شعره واستسلم في النهاية بثقته في الله تعالى. وفي قصيدة أخرى، بينما امتد ليله طويلاً وتجمعت عليه الهموم، انتظر بفارغ الصبر فجرًا جديدًا. إذا كان ليل السجن يبدو طويلاً للغاية، محملاً بالحزن والتعب والسهاد في انتظار لحظة صباح جديدة. إنه وقت طويل من الشقاء والشدة، وكأنه قتل النوم في عيونه وجعله معزولاً نفسياً في سجن مظلم ومخيف. يقول:

"طال ذا الليل علينا واعتكر	وكأنني ناذر الصبح سمر
إذ أتاني نبأ من منع	لم أخنه والذي أعطى الشبر

⁹⁶ الموقع الإلكتروني: https://www.aladab.com/wiki/ألا_من_مبلغ_النعمان_عني

⁹⁷ الصمد، واضح، كتاب في أدب السجن: السجن وأثارها في الأدب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ص ١٠٩-١١٠.

من نحي الهم عندي ثاويًا فوق ما أعلن منه وأسر
وكأن الليل فيه مثله ولقد ما ظن بالليل القصر
لم أغمض طوله حتى انقضى أتمنى لو أرى الصبح شجر⁹⁸

وعندما قبض على الشاعر الجاهلي والفارس الشجاع عنتر بن شداد العبسي خلال المناذرة وأوقفوه في السجن، فقال:

"ترى علمت عبيلة ما ألاقى من الأهوال في أرض العراق
طفاني بالربا والمكر عمي وجار علي في طلب الصداق"⁹⁹

في العصر الإسلامي

تغيرت الظروف في هذا العصر مع مجيء الإسلام وظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن الكريم الذي أحرم قتل النفس بغير حق. وهذا الوقت شهد تحولاً في التعامل مع السجن والأسر، حيث أصبحت هذه الممارسات تعيق الأمور اليومية مثل الصلاة من المسجد.¹⁰⁰ لذا تأثر هذا المفهوم بالإنسانية والرحمة التي تنبع من تعاليم الدين الحنيف. يوماً أسجن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشاعر الحطيئة كوسيلة لتأديبه بسبب هجائه للناس، إذ كان يتصف بالشر والسفه، وكان يجيد فن المدح والهجاء. وفي أحد الأوقات أثناء فترة اعتقاله، قدم الحطيئة اعتذاراً وتوسلاً للخليفة بكلمات معتذرة ومستعطفة:

"ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
أهلي فداؤك كم بيني وبينهم من عرض داوية يعمي بها الخير
ألقيت كاسهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

⁹⁸ الصمد، واضح، كتاب في أدب السجون: السجون وأثارها في الأدب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ص ١١٠.

⁹⁹ الصمد، واضح، كتاب في أدب السجون: السجون وأثارها في الأدب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ص ١٦.

¹⁰⁰ الصمد، واضح، كتاب في أدب السجون: السجون وأثارها في الأدب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٣٩.

الشاعر ضابئ بن الحارث بن أرتاة التميمي البرجمي كان يعاني من ضعف في بصره. تم سجنه على يد عثمان بن عفان (ر) بسبب قتله لصبي باستخدام دابته، ورغم محاولته الاعتذار بسبب ضعف بصره، إلا أنه لم يتم الإفراج عنه. وعندما قام بالهجوم على بعض أفراد قبيلة بني نهمشل بكلماته الجارحة، تم إعادته إلى السجن مرة أخرى. في إحدى المرات، تم عرض السجناء واكتشفوا أن ضابئ قد قام بإخفاء سكين في نعله بهدف ارتكاب جريمة قتل ضد عثمان بن عفان (ر) ولم يتم الإفراج عنه من السجن حتى وفاته. فقال ضابئ عن هذا الأمر حيث كان في سجنه:

"من يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب
وما عجالات الطير تدني من الفتى رشادا ولا عن ريئن يخيب¹⁰²

في العصر الأموي

انتهى عصر الخلفاء الراشدين بوفاة الخليفة علي بن أبي طالب (ر)، فانتقلت الخلافة إلى الأمويين. بدأت الأمور تتفرع وتتعدد في العالم الإسلامي في هذه المرحلة، حيث انقسم المسلمون إلى تيارات وأحزاب متعددة، بعضها مؤيد للخلافة الأموية والبعض الآخر معارض لها. ويُعتبر هذا الفترة هي الأكثر وحشية ودموية في تاريخ العرب نظرا للصراع المحتدم حول السلطة. وأصبح القتل والسجن والتعذيب والتنكيل أمورا شائعة تمارسها السلطة الحاكمة ضد خصومها السياسيين¹⁰³.

¹⁰¹ الصمد، واضح، كتاب في أدب السجون: السجون وأثارها في الأدب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٣٢.

¹⁰² الصمد، واضح، كتاب في أدب السجون: السجون وأثارها في الأدب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٣٤.

¹⁰³ الصمد، واضح، كتاب في أدب السجون: السجون وأثارها في الأدب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٣٩.

من بين الشعراء الذين تعرضوا للسجن كان الشاعر يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري، من أصل يمني من قبيلة يحصب، كانت أسرته في حلف مع قريش. ولد في البصرة، ونشأ بها، كان يعرف العربية والفارسية، بدأ اتصاله بالبلاط نديما لسعيد بن عثمان بن عفان، وأصبح بعد ذلك من شعراء البلاط. وله شعر في المدح والغزل،¹⁰⁴ ولديه بعض الأبيات الشعرية التي تعبّر عن تجربته في السجن، وقد قال في إحدى قصائده:

"دار سلمى بالخبت ذي الأطلال	كيف نوم الأسير ذي الأغلال
أين مني السلام من بعد	نأي فارجمي لي تحيتي وسلامي
أين لا أين جنتي وسلاحي	ومطايا سيرتها لارتحالي ¹⁰⁵

من خلال هذه القطعة الشعرية، يعبر الشاعر معاناته في السجن حيث لا يمكنه الحركة بحرية ولا يمكنه النوم براحة وسكينة. وفي أبيات أخرى، يحاول الشاعر التخفيف من وطأة مصيبتة في السجن من خلال التذكير بعذاب الآخرة، ويُعبر عن تحدٍ من نوع خاص بقوله إنما يبقى ما نظمته في هجاء خصومه، في حين يعتقد أن عذابه في السجن سينتهي يوما ما بالضرورة.

أيها الملك المرهب بالقتل	بلغت النكال كل النكال
فاخش نارا تشوي الوجوه يوما	يقذف الناس بالدواهي الثقال
قد تعدّيت في القصاص وأدر	كت دخولا لمعشر أقتال
وكسرت السين الصحيحة مني	لا تذلني فمكر إذ لالي
وقرنتم مع الخنازير هرا	ويميني مغلولة وشمالي
وأطلتم مع العقوبة سجننا	فكم السجن؟ ومتى إرسالي؟
يغسل الماء ما صنعت وقولي	راسخ منك في العظام البوالي ¹⁰⁶

¹⁰⁴ مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://poetsgate.com/poet.php?pt=901>. تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٤/١٠/١٢ م.

¹⁰⁵ الصمد، واضح، كتاب في أدب السجون: السجون وأثارها في الأدب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥ م، ص ٤٣.

¹⁰⁶ الصمد، واضح، كتاب في أدب السجون: السجون وأثارها في الأدب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥ م، ص ٤٥.

في العصر العباسي

شهد هذا العصر تطورا كبيرا في الحياة، ومع هذا التطور، تقدم الجانب السياسي عموما والمؤسسة العقابية بشكل خاص. مع انفتاح الحضارة العباسية على الثقافات الأخرى وتدفق الشعوب من مختلف أنحاء العالم وتبادل الثقافات بين العرب والهنود والفرس والأتراك، كان من الضروري وضع مزيد من القوانين والضوابط لتنظيم الحياة في تلك الفترة. وكانت الدولة العباسية، طوال تاريخها، تطلب الولاء والانتماء، وكان لأي شخص يتعارض معها أو يرتد عنها أو يعارض سياستها الحق في السجن..

سُجلت حالات كثيرة في الحركة الشعرية خصوصا حينما دخل الأدباء السجن بسبب خروجهم عن القوانين والآداب العامة. ومن بين هؤلاء الشعراء، يذكر علي بن الجهم الذي اقترب منه الخليفة المتوكل ثم انفصل عنه بسبب سعايته المفرطة في المراسلة وتقديم الشكاوى والتذمر منهم. وعندما كشف الخليفة حقيقة سلوكه، تم سجنه ونفيه إلى خرسان، حيث قبل مصيره وألف رسالة يعبر فيها عن رضاه بمصيره، بعض الأبيات منها:

"توكلنا على رب السماء وسألنا لأسباب القضاء
ووطننا على غير الليالي نفوسا سامحت بعد الإباء"¹⁰⁷

أيضا في سجنه، أبدع في قصيدة تعبّر عن تحدّيه، حيث وصف نفسه بأنه كسيف لم يفقد حدّته ولا قوته، وبقي حادا وقويا دون أي عيب. وكانت تجربة السجن بالنسبة له تحفيزا للعناد، وكان يعتبرها مناسبة للفخر والتباهي، خاصة إذا كان الشخص لم يرتكب أي ذنب. وقال في هذا السياق:

"توكلنا على رب السماء وسألنا لأسباب القضاء

¹⁰⁷ نعيمة، حسن سليم، كتاب في أدب السجن: شعراء وراء القضبان، دار الحقائق للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٦م، ص ١٠٨.

ووطننا على غير الليالي نفوسا سامحت بعد الإباء¹⁰⁸

كما أشار في سجنه إلى شعوره بالتحدي من خلال قصيدته، حيث وصف نفسه بمثل سيف لا يزال حادا وقويا دون أي شائبة. تجربة السجن بالنسبة له لم تزيده إلا عزيمة، واعتبرها سبباً للفخر والتباهي بأنه لم يرتكب ذنباً، وأعرب عن ذلك قائلاً:

"قالوا حبست قلت ليس بضائري حبسي وأي مهتد لا يغمد¹⁰⁹

شهدت تاريخ الأدب العربي شهرة كبيرة لشاعري عبر عن تجربته في مجال النفي والسجن، وهذا الشاعر هو أبو فراس الحمداني. في روميته، نقل معاناة الأسر والشوق ونار الوحدة والغربة بشكل عاطفي ومؤثر. حيث تم أسره من قبل الروم أثناء مشاركته في رحلة صيد مع حاشيته. وبالرغم من تباطؤ جهود سيف الدولة في إفراجه، إلا أنه لم يستسلم وبدأ يكتب قصائد تعبّر عن تجربته ويطلب الرحمة والشفقة. ومن بين ما قاله:

"مصابي جليل والعزاء جميل	وظني بأن الله سوف يديل
جراح وأسر واشتياق وغربة	أحمل إنني بعدها لحمول
جراح تحامها الأساة مخافة	وسقمان باد منهما ودخيل
وأسر أقاسيه وليل نـجـومه	أدى كل شيء غيرهن يزول
تطول بي الساعات وهي قصيرة	وفي كل دهر لا يسرك طول ¹¹⁰

وأيضاً، يعبر معاتباً سيف الدولة الذي لم يستجب لنداء أمه، ويوضح الفرق بين حياة الخليفة الرفاهية والوسطية وحياة السجن البائسة والمريرة.

"بأي عندرددت والهة	عليك دون الورى معولها
جاءتك تمتاح ردّ واحد	ينتظر الناس كيف تقفلها
تلك المودات كيف تهملها	تلك المواعيد كيف تغفلها

¹⁰⁸ نعيصة، حسن سليم، كتاب في أدب السجن: شعراء وراء القضبان، دار الحقائق للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٦م، ص ١٠٩.

¹⁰⁹ نعيصة، حسن سليم، كتاب في أدب السجن: شعراء وراء القضبان، دار الحقائق للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٦م، ص ١٢٩.

¹¹⁰ الحمداني، أبو فراس، ديوان الشعر: الديوان، مكتبة الدكتور مروان العطية، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٣٢٥.

يا واسع الدار كيف توسعها ونحن في صخرة نزلزلها
يا ناعم الثوب كي ف تبدله ثيابنا الصوف ما نبذلها؟
يا راكب الخيل لو بصرت بنا نحمل أقيادنا وننقلها" ¹¹¹

وعندما ينفرد الشاعر بذاته ويتأمل وضعه في السجن وحالته ووحدته، يبتكر أشعارا جميلة وعاطفية، تنتاب النفوس والقلوب وتثير المشاعر. ومن الممكن أن تكون أجمل قصيدة قالها الشاعر في السجن هي قصيدة عن الحمامة التي استمع إلى هديلها في إحدى الليالي، حيث قال:

"أقول وقد ناحت بورقي حمامة أيا جارتا هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النور ولا خطرت منك الهموم ببالي
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي
أيضح لك مأسور وتبكي طليقة ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعي في الحوادث غال" ¹¹²

ومن المستحيل أن يحدث عن العصر العباسي دون ذكر واحد من أبرز الشعراء فيه، وهو الشاعر أبو الطيب المتنبي الذي اشتهر بكبريائه وفخره بنفسه. وقد أبدى تلك الكبرياء والاستخفاف تجاه السجن قائلا:

"كن أيها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف" ¹¹³

وفي بيت آخر، يعبر عن فخره بالسجن ويقول إنه مأوى للعظماء:

"لو كان سكناي فيك منقصة لم يكن الدار ساكن الصدف" ¹¹⁴

¹¹¹ الحمداني، أبو فراس، مجموعة القصائد: الديوان، مكتبة الدكتور مروان العطية، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٣٣٢.

¹¹² الحمداني، أبو فراس، مجموعة القصائد: الديوان، مكتبة الدكتور مروان العطية، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٣١٣.

¹¹³ نعيمة، حسن سليم، كتاب في السجن: شعراء وراء القضبان، دار الحقائق للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٦م، ص ١٥٣.

¹¹⁴ نعيمة، حسن سليم، كتاب في السجن: شعراء وراء القضبان، دار الحقائق للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٦م، ص ١٥٤.

في العصر الأندلسي

انتشرت السجون في الأندلس بشكل مشابه لما حدث في غيرها من الأماكن، حيث تم سجن الأمراء والشعراء والجنود، وعاشوا حياة صعبة داخل هذه السجون. وكان لأولئك الذين استطاعوا الكتابة والتعبير عن آلامهم وأحزانهم ومعاناتهم دوراً مهماً داخل السجن، حيث تمكنوا من اختراق الجدران والقضبان وتخفيف العبء الذي كانوا يحملونه على أكتافهم. وقد تركوا أثراً قيمة تستحق دراستها وتأملها.

من بين هؤلاء الشعراء كان هناك ابن زيدون الذي سُجن بسبب رسالة هزلية أرسلها إلى الوزير أبي عامر بن عبدوس وفي سجنه، عبر عن آلامه واكتفى بالتأكيد على أمل في تحسن حاله.

"إن قسا الدهر فللما	ء من الصخر انبجاس
ولئن أمسيت محبو	سا فللغيث احتباس
فتأمل كيف يغشى	مقلة المجد النعاس
واغتتم صفو الليالي	إنما العيش اختلاس
وعسى أن يمسح الدهر	فقد طال الشمس ¹¹⁵

وفي قصيدة أخرى، عبّر عن شوقه وحزنه وطول ليله بالقول:

"تنشق من عرف الصبا ما تنشقا	وعاوده ذكر الصبا فتشوقا
وما زال لمع البرق لما تألقا	يهيب بدمع العين حتى تدفقا
رمني الليالي عن قسيّ النوائب	فما أخطأتني مرسلات المصائب
أقضي نهاري بالأمان الكواذب	وأوي إلى ليل بطيء الكواكب ¹¹⁶

الأمير، الملقب بمعتمد بن عباد أسهم بشكل كبير في شعر السجون من خلال أسلوبه الذي يعبر عن مشاعره وآلامه بعمق وبأبعاد وجدانية. من خلال قصائده، نقل تجربته الصعبة في

¹¹⁵ نعيصة، حسن سليم، كتاب في أدب السجن: شعراء وراء القضبان، دار الحقائق للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٦ م، ص ١٥٤.

¹¹⁶ مصاورة، إيمان، كتاب في أدب السجن: أدب السجون في فلسطين: دراسة توثيقية، ٢٠٢٠ م، ص ٢٨.

السجن والمعاناة التي عاشها هناك. في بعض الأحيان، وصف الوضع بأمانة وبإحساس عميق، وفي أوقات أخرى، استخدم التشبيهات لتوصيل فكرة القيود والعذاب في السجن، حيث أنه وصف القيد بالثعبان ويقول:

"وقد كان كالثعبان رمحك في الوغى فغدا عليك القيد كالثعبان
متمدد بحذاءك كلّ تمدد متعطفا لا رحمة للعاني"¹¹⁷

يعبر في رده على من اتهمه بالخضوع والاستسلام:

"قالوا الخضوع سياسة فليبد منك لهم خضوع
وَأَلَدَ من طعم الخضوع على فهي السّمّ النَّقيع"¹¹⁸

قام الباحث في هذا الفصل بتسليط الضوء على محطات تاريخية موجزة حول تطور أدب السجون في التاريخ العربي. لوصف السجن وتاريخه تناول الباحث في هذا الفصل عن بعض أبرز الشعراء الذين عاشوا تجربة السجن، والذين عبّروا عن مشاعرهم المتنوعة بين الاشتياق والحزن والمعاناة والرجاء. وسنواصل في النص القادم استكشاف أدب السجون في العصر الحديث والمعاصر.

في العصر الحديث

تتميز روايات أدب السجون في هذه الفترة بقدرتها على توثيق التجارب السجنية الواقعية وتحليل أثر القمع على الفرد والمجتمع، ما يجعلها مرجعا مهما لدراسة الأبعاد النفسية والسياسية للاضطهاد. منها:

رواية شرق/المتوسط لعبد الرحمن منيف تكشف قسوة السجون السياسية في العالم العربي. تحكي اعتقال الطبيب الشاب وما يتعرض له السجناء من تعذيب وإذلال وعزل. وتبرز الرواية

¹¹⁷ نعيمة، حسن سليم، كتاب في أدب السجن: شعراء وراء القضبان، دار الحقائق للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٦م، ص ١٥٩.

¹¹⁸ مصاورة، إيمان، كتاب في أدب السجن: أدب السجون في فلسطين: دراسة توثيقية، ٢٠٢٠م، ص ٢٤.

أثر القمع في تدمير إنسانية الفرد، مما جعلها من أبرز أعمال أدب السجون العربي.¹¹⁹ رواية كاملية: سيرة إيرانية تحكي حياة الصحفية كاميليا انتخابي فرد، وتعرض سجنها وملاحقتها بسبب عملها الصحفي في إيران، مسلطة الضوء على شجاعتها وصراعها من أجل الحرية.¹²⁰ ورواية أيام الأسر لنجيب محفوظ هي تسرد تجربة السجن السياسي خلال فترة معينة في مصر، مع التركيز على الحياة اليومية للسجناء. تظهر الرواية التحديات النفسية والاجتماعية داخل الزنازين، وصمود الإنسان أمام الظلم.¹²¹

ويُجسّد كتاب محمد شكري *الخبر الخافي* معاناة الطفولة الفقيرة والسجن المبكر وآثاره النفسية، كاشفا قسوة الفقر والظلم الاجتماعي. وقد حظي باهتمام عالمي رغم جدله لجراته وصراحته.¹²² رواية سآخون وطني لمحمد الماغوط تسرد صراع الكاتب مع الواقع السياسي والاجتماعي في سوريا تحت القمع. تستخدم الرواية السخرية والمرارة لتسليط الضوء على الظلم والقيود المفروضة على الفرد والمجتمع. تُعتبر الرواية شهادة أدبية على تأثير الأنظمة القمعية على الإنسان والصراع الداخلي بين الانتماء والرفض.¹²³

رواية شرف لصنع الله إبراهيم تحكي قصة أشرف عبد العزيز سليمان ودخوله السجن بعد قتله لسائح حاول الاعتداء عليه. تعرض الرواية فساد النظام والقمع داخل السجون، وتسليط الضوء على الانتهاكات والظلم الاجتماعي والسياسي. تُظهر الرواية التناقض بين القيم الشكلية للمجتمع وواقع السجناء، مما يجعلها من أبرز أعمال أدب السجون العربي.¹²⁴

119 منيف، عبد الرحمن، رواية: *شرق المتوسط*، دار التنوير، مصر، ١٩٧٥ م.

120 فرد، كاميليا انتخابي، رواية: *كاميليا: سيرة إيرانية*، دار الساق، بيروت، ١٩٧٩ م.

121 محفوظ، نجيب، رواية: *أيام الأسر*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠ م.

122 شكري، محمد، رواية: *الخبر الخافي*، دار الساق للطباعة والنشر، لندن، ١٩٨٢ م.

123 الماغوط، محمد، رواية: *سآخون وطني*، دار المدى للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٨٧ م.

124 إبراهيم، صنع الله، رواية: *شرف*، دار الهلال، مصر، ١٩٩٧ م.

رواية *السجينة* لمليكة أوفقير تحكي قصة اعتقالها وعائلتها لمدة ١٩ عاما بعد مقتل والدها الجنرال محمد أوفقير إثر محاولة انقلاب. تستعرض الرواية معاناتهم داخل السجن وظروف القمع السياسي في المغرب خلال السبعينيات والثمانينيات. تعد الرواية شهادة حية على الظلم والانتهاكات، ومزيجاً من السيرة الذاتية والتاريخ السياسي.¹²⁵ ورواية *أيام من حياتي* لزينب الغزالي تحكي تجربتها في سجون مصر، مع تعرضها للتعذيب، وتبرز صمودها وإيمانها في مواجهة القمع السياسي.¹²⁶

رواية *حيونة الإنسان* لممدوح عدوان تتناول كيف يحوّل القهر والاستبداد الإنسان إلى كائن فاقد للقيم، وتدعو للتمسك بالحرية والكرامة للحفاظ على إنسانيته.¹²⁷ ورواية *القوقعة* للكاتب السوري مصطفى خليفة تحكي تجربة السجن الطويلة التي عاشها المؤلف في سوريا، مسلطة الضوء على التعذيب النفسي والجسدي والعزلة القاسية. تُظهر الرواية أثر القمع على الإنسان وكيف يمكن للانعزال أن يصبح مساحة للتفكير والنمو الشخصي رغم الظروف الصعبة.¹²⁸ ورواية *سرنامة لخيري الحلاق* التي تدور حول سجين محكوم بالإعدام يواجه أيامه الأخيرة وهو يعيد تقييم حياته وقراراته. تكشف الرواية صراعه الداخلي ومحاولاته لمواجهة الخوف والظلم قبل تنفيذ الحكم عليه.¹²⁹

¹²⁵ أوفقير، مليكة، رواية: *السجينة*، دارورد للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩م.

¹²⁶ الغزالي، زينب، رواية: *أيام من حياتي*، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ١٩٩٩م.

¹²⁷ عدوان، ممدوح، رواية: *حيونة الإنسان*، دارقدمس للنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.

¹²⁸ خليفة، مصطفى، رواية: *القوقعة*، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٨م.

¹²⁹ الحلاق، خيري، رواية: *سرنامة*، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٢٣م.

أدب السجون في الأردن

النشأة والتطور

شهد الأردن، منذ تأسيسه كإمارة عام ١٩٢١م ثم كدولة مستقلة عام ١٩٤٦م، تطورا ملحوظا في النظام القضائي ومؤسسات العقاب. وقد أنشئت السجون كجزء من النظام الأمني، لكنها سرعان ما تحولت إلى أدوات لقمع المعارضين السياسيين، لا سيما في فترات التوتر الداخلي، مثل:

- فترة الأحكام العرفية (١٩٦٧ - ١٩٨٩): كانت واحدة من أكثر الفترات قمعا، حيث مُنعت الأحزاب السياسية، وأُغلقت الصحف، واعتُقل المئات من السياسيين والناشطين، خصوصا من الشيوعيين والإسلاميين.¹³⁰ يعد سجن الجفر الصحراوي هو من أشهر السجون السياسية في الأردن، وقد استُخدم كثيرا لاحتجاز المعارضين، وغالبا ما ارتبط اسمه بانتهاكات حقوق الإنسان، مثل التعذيب والعزل الطويل.

- التحول الديمقراطي (١٩٩٠ - ٢٠٠٠): شهد انفراجا نسبيا بعد رفع الأحكام العرفية، لكن بقيت بعض الانتهاكات مستمرة تحت غطاء "أمن الدولة".¹³¹

- مرحلة ما بعد الربيع العربي (٢٠١١ - حتى الآن): ازدادت وتيرة الاعتقالات السياسية، خاصة بعد مظاهرات تطالب بالإصلاح، وكان من أبرز ما أثير هو اعتقال ناشطين ومفكرين بسبب آرائهم.¹³²

130 مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://pulpit.alwatanvoice.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٤/١٠/١١م.

131 مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://pulpit.alwatanvoice.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٤/١٠/١١م.

132 مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://pulpit.alwatanvoice.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٤/١٠/١١م.

الأعمال الأردنية في أدب السجون

على الرغم من أن أدب السجون في الأردن يحضر في الرواية بشكل واضح، فإنّ حضور أنواعه الأخرى فيه يظل محدوداً. ولعبت تجربة السجن دوراً مركزياً في تشكيل وجدان كثير من الأدباء الأردنيين، وخصوصاً الذين خاضوا تجربة الاعتقال السياسي. "شهد أدب السجون في الأردن حضوراً قوياً منذ تسعينات القرن العشرين، خاصة بعد فترات القمع السياسي التي عاشتها البلاد في العقود السابقة.

رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم تتحدث عن تجربته الشخصية في السجن والمعاناة النفسية والجسدية للمعتقلين. تبرز الرواية الصراع الداخلي للسجين وإرادته في مواجهة التعذيب والقمع. وتعد الرواية شهادة على تأثير القمع على حرية الإنسان وإنسانيته في العالم العربي. استعمل لغة أدبية عالية توظف التناسل مع القرآن والشعر والتراث العربي لإضفاء عمق رمزي واجتماعي على النص.¹³³

وروايته الثانية في هذا النوع هي *يسمعون حسيبها*، تحكي تجربته الشخصية في سجن مستعرضة معاناة السجناء السياسيين. تعكس الرواية ظروف السجن القاسية، بما في ذلك الرعب، الجنون، والموت¹³⁴. ورأيته الثالثة حديث *الجنود* توثق أحداث انتفاضة طلاب جامعة اليرموك عام ١٩٨٦ م، كاشفة المواجهة بين الطلبة والأمن وما رافقها من قمع واعتقالات. وتبرز الرواية العنف السياسي وآثاره، باعتبارها شهادة أدبية تجمع بين السرد الروائي والتأريخ في إطار أدب السجون.¹³⁵

¹³³ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢ م.

¹³⁴ العتوم، أيمن، رواية: *يسمعون حسيبها*، عصير الكتب، القاهرة، ٢٠١٤ م.

¹³⁵ العتوم، أيمن، رواية: *حديث الجنود*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٢ م.

"رواية ليلة في السجن كألف ليلة لهشام غرايبة، يستعرض فيها تجربة الاعتقال السياسي بأسلوب يجمع بين السرد الواقعي والتأمل الذاتي، ويصور قهر السجن كواقع ورمز.¹³⁶" كما ساهم سعود القبيلات بأدوار فكرية وأدبية مهمة في هذا المجال من خلال مقالاته وشهاداته حول الاعتقال السياسي في سجون الجفر والمحطة خلال السبعينات، والتي كتب عنها باعتبارها تجربة إنسانية ومراجعة للذات. وبدوره كتب يعقوب زيادين سيرته الذاتية في كتابه *البدليات.. أربعون عاماً من مسيرة الحركة الوطنية الأردنية*، موثقاً فيها نضاله وتجربته في السجن ضمن سياق الحركة الشيوعية الأردنية.¹³⁷

"أما في مجال الشعر، فقد كتب محمد بهار الحسناوي ديوان *في غيابة الحب*، وهو عملٌ حبسي يعبر عن المعاناة النفسية والأمل داخل السجن، كما نقل أبو محمد المقدسي تجربته داخل سجن سواقة في رسائل حبسية تعكس الثبات والصبر العقائدي.¹³⁸" ويُذكر أيضاً التأثير الفلسطيني البارز في أدب السجن الأردني، من خلال أعمال وليد الهودلي مثل *وهكذا أصبح جاسوساً*¹³⁹ "وكامل أبو حنيش في روايته *مريم... مريم*، وكلاهما كتباً من داخل السجن الإسرائيلية، وعكست كتابتهما بعداً فلسفياً حول الأسر والحرية والإنسان.¹⁴⁰

أعدّ السجن في الأردن أكثر من مؤسسة عقابية، فهو شاهد على طبيعة العلاقة بين المواطن والسلطة، وبين حرية التعبير وأدوات القمع. وقد استطاع الأدب الأردني، خاصة رواية السجن، أن يحوّل الألم الشخصي إلى شهادة فنية وإنسانية خالدة. كما أن دراسة تجربة السجن تكشف عن تحولات الدولة الأردنية السياسية والاجتماعية، وتعكس صراع الإنسان مع الاستبداد من أجل الكرامة والحرية. لم يعثر الباحث إلا على معلومات محدودة حول أدب

136 غرايبة، هشام، مقالة: *الكتابة في الزنزانة امتداد داخلي للحرية*، صحيفة العربي الجديد، ١٢ حزيران ٢٠١٧م.

137 هشام غرايبة، مقالة: *الكتابة في الزنزانة امتداد داخلي للحرية*، صحيفة العربي الجديد، ١٢ حزيران ٢٠١٧م.

138 الحسناوي، محمد بهار، ديوان: *في غيابة الحب*، دار المأمون، دمشق، ٢٠٠٥م.

139 الهودلي، وليد، رواية: *وهكذا أصبح جاسوساً*، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، رام الله، ٢٠٠٩م.

140 أبو حنيش، كامل، رواية: *مريم... مريم*، دار الجندي للنشر والتوزيع، نابلس، ٢٠٢٠م.

السجون في الأردن، ورغم توافر بعض الروايات في هذا المجال، فإن حضور الشعر فيه يبدو ضعيفا، وهو ما خلص إليه الباحث في استنتاجه.

خاتمة الباب

خلص الباحث في هذا الباب إلى أن السجن ليس مجرد مكان للحبس الجسدي، بل هو مفهوم متعدد الأبعاد يعكس القهر والحرمان على المستويين الفردي والاجتماعي. وتوصل الباحث إلى أن أصول كلمة "السجن" تعود إلى اللغة اللاتينية، بمعنى حبس، وفي الاصطلاح حالة يمنع فيها الإنسان من ممارسة حريته الطبيعية، سواء بشكل جسدي أو نفسي أو سياسي أو اجتماعي. وأن حضور السجن في الأدب العربي تطور عبر العصور، فكان في الفترات السابقة أكثر وضوحا في الشعر، بينما أصبح في العصر الحديث أكثر تجليا في الرواية، في حين بقيت بقية الأجناس الأدبية أقل حضورا. أما في السياق الأردني، فقد كان أدب السجون قليلا في الشعر وكثيرا في الروايات، التي لفتت انتباه الأدب العربي بتصويرها للتجارب الواقعية والخيالية للسجناء، خاصة السياسيين والكتاب الذين اعتُقلوا لأسباب سياسية، مما يعكس خصوصية الرواية الأردنية وغناها بهذا الموضوع.

الباب الثاني

الحياة الشخصية والأدبية لأيمن العتوم

مقدمة الباب

يعالج هذا الباب الحياة الشخصية والأدبية للكاتب الأردني أيمن العتوم، حيث يسعى الباحث إلى دراسة خلفيته العلمية وربط تجربته الشخصية بمضامين أعماله. وقُسم الباب إلى خمسة فصول. فالفصل الأول: الحياة الشخصية لأيمن العتوم، يتناول سيرته ومساره العلمي منذ مولده وتعليمه حتى الجامعة، مع أثر الاعتقال على مساره وتحوله من الهندسة إلى العربية وآدابها، وصولاً إلى الماجستير والدكتوراه، إضافة إلى مناصبه العلمية وأعماله الثقافية. والفصل الثاني: موضوع الأعمال الأدبية لأيمن العتوم، يتناول دراسة أعماله وتحليل موضوعاتها وعلاقتها بالقضايا الإنسانية والاجتماعية. وفي الفصل الثالث: المقابلة المباشرة مع الكاتب أيمن العتوم، التي أجراها الباحث أثناء زيارته للهند، متناولاً أسئلة حول الرواية وأسلوبه في الكتابة وتجربته في السجن وآرائه المختلفة. أما الفصل الرابع: عبقرية العناوين ودقتها في روايات أيمن العتوم، فيسلط الضوء على دقة العناوين ووظائفها في توجيه القارئ وتفسير النص. ويختتم الباب بالفصل الخامس: أدب السجن عند أيمن العتوم، موضحة رواياته الأربع: *يا صاحبي السجن*، *يسمعون حسيدها*، *ذائقة الموت*، و*اسمه أحمد*، التي تعكس تجربة السجن ومعاناة الإنسان أمام القهر، لتشكّل صلة بين الواقع والنص الأدبي. ويهدف الباحث من خلال هذا الباب إلى تقديم رؤية شاملة لشخصية أيمن العتوم العلمية والأدبية، وفهم أساليبه الفنية، مع التركيز على انعكاس التجربة الشخصية والاجتماعية في نصوصه الأدبية.

الفصل الأول: الحياة الشخصية لأيمن العتوم

اسمه ومولده

أيمن بن علي حسين العتوم روائي وشاعر أردني الجنسية، ولد في قرية سوف من قرى محافظة جرش في الأردن، في مارس ٢ سنة ١٩٧٢ م.¹⁴¹

تعليمه

تلقى الكاتب جزء من تعليمه الابتدائي في القاهرة، لأنّ عائلته كانت في مصر خلال طفولته حيث كان والده علي حسين باحثاً في الدكتوراه بجامعة القاهرة، وجزء منه في سوف ثمّ أكمله في محافظة إربد¹⁴². وبعده تلقى تعليمه الثانوي في إمارة عجمان بدولة الإمارات المتحدة، وثمّ التحق بجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية سنة ١٩٩٧ م ليحصل على البكالوريوس في الهندسة المدنية. أثناء دراسته الجامعية تعرض للاعتقال السياسي خلال عامي ١٩٩٦ م- ١٩٩٧ م وتعبّر أيمن العتوم في رواياته تجاربه المؤلمة التي واجهها في السجن¹⁴³. وبعد خروجه من السجن استمر وأكمل دراسته الهندسة. وغيّر اتجاه مسيرته الأكاديمية من مجال الهندسة إلى اللغة العربية. التحق بجامعة اليرموك لبكالوريوس في اللغة العربية وتخرج منها في عام ١٩٩٩ م، ثمّ التحق بالجامعة الأردنية لإكمال مرحلة الدراسات العليا في اللغة العربية حيث حصل على درجة الماجستير في الآداب من هذه الجامعة في عام ٢٠٠٤ م.¹⁴⁴ وبعده الدكتوراه في ٢٠٠٧ م في عنوان تناوب معاني الأبنية الصرفية في لغة القرآن.¹⁴⁵

¹⁴¹ العتوم، أيمن، مجموعة الشعر: هندسة الكلمات: مهندسون شعراء، منشورات اللجنة الثقافية، عمان، الأردن، ٢٠٠٥ م، ص ١١.

¹⁴² هي مدينة أردنية تقع في جانب الشمال، على بُعد ٧٢ كم من شمال عمان.

¹⁴³ هناء، لعشي، أطروحة الدكتوراه: استدعاء الرمزي في ديوان قلبي عليك حبيبتني، جامعة سوق أهراس، الجزائر، ٢٠٢٠ م، ص ١٨.

¹⁴⁴ د. شنقار، أسماء إبراهيم، مقالة: عتبة العنوان في روايات أيمن العتوم، مجلة سرديات، ج ٧، ع ٢٣، مارس ٢٠١٧ م، ص ٥٥.

¹⁴⁵ الأسود، أريج، أطروحة الدكتوراه: التشكيل الجمالي في الخطاب الروائي عند أيمن العتوم، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠٢٠ م.

مناصبه العلمية

بعد حصوله على العديد من الدرجات العالية العلمية، بدأ حياته المهنية بتخصصه الأول الهندسة المدنية عمل مهندسا تنفيذيا في عامي ١٩٩٧م- ١٩٩٨م.¹⁴⁶ "حيث صار عضوا في هيئة الأدباء المهندسين".¹⁴⁷ وبعد ذلك اتجه بتخصصه الثاني للعمل مدرسا للغة العربية على خطى والده في العديد من المدارس الأردنية. كان والده الدكتور علي حسين العتوم مدرسا في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك وجامعة عجمان، وله دور بليغ في تحبيب اللغة العربية وآدابها إليه، وكان شاعرا وكاتبا أيضا، له أكثر من عشرة مؤلفات، وكان عضوا من أعضاء الحركة الإسلامية في الأردن. وعمل أيمن العتوم مدرسا للغة العربية في العديد من المدارس في الأردن كالتالي:

- في مدرسة الرائد العربي من ١٩٩٩م-٢٠٠٣م
- في مدرسة عمّان الوطنية من ٢٠٠٢م-٢٠٠٣م
- في أكاديمية عمّان من ٢٠٠٦م-٢٠١٠م
- في مدارس الرضوان في ٢٠٠٣م
- في مدرسة اليوبيل من ٢٠١٣م-٢٠١٥م¹⁴⁸

الأنشطة والأعمال الثقافية

- مؤسس اللجنة الأدبية الأندية المختصة بالكتاب في جامعة العلوم والتكنولوجيا

الأردنية وجامعة اليرموك والجامعة الأردنية بين الأعوام ١٩٩٤م و ١٩٩٩م.¹⁴⁹

¹⁴⁶ د. شنفار، أسماء إبراهيم، مقالة: عتبة العنوان في روايات أيمن العتوم، مجلة سرديات، ج ٧، ع ٢٣، مارس ٢٠١٧م، ص ٥٥.

¹⁴⁷ د. فارساني، عباس يد الله، مقالة: استدعاء الرموز في شعر أيمن العتوم، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسية بن بوعلي الشلف، الجزائر، المجلد ١١، العدد ٠٠٢، ٢٠١٩م، ص ٦٢-٧٠.

¹⁴⁸ د. فارساني، عباس يد الله، مقالة: استدعاء الرموز في شعر أيمن العتوم، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسية بن بوعلي الشلف، الجزائر، المجلد ١١، العدد ٠٠٢، ٢٠١٩م، ص ٦٢-٧٠.

¹⁴⁹ طاهر، لرقط، أطروحة الدكتوراة: الأخرى رواية كلمة الله لأيمن العتوم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المركز الجامعي صالح أحمد، النعامة، الجزائر، ٢٠٢١م، ص ١٦٦.

- مشارك في كثير من الأمسيات الشعرية في الأردن، العراق، الإمارات، السودان، قطر، مصر.¹⁵⁰

الروايات

- يا وجه ميسون: ١٩٩٩ م (غير منشورة)
- يا صاحبي السجن - ٢٠١٢ م.
- يسمعون حسيبها - ٢٠١٢ م.
- ذائقة الموت - ٢٠١٣ م.
- حديث الجنود - ٢٠١٤ م.
- نفر من الجن - ٢٠١٤ م.
- كلمة الله - ٢٠١٥ م.
- خاوية - ٢٠١٦ م.
- اسمه أحمد - ٢٠١٧ م.
- طريق جهنم - ٢٠١٨ م.
- تسعة عشر - ٢٠١٨ م.
- يوم مشهود - ٢٠١٩ م.
- أنا يوسف - ٢٠١٩ م.
- مسغبة - ٢٠٢٠ م.

¹⁵⁰ طاهر، لرقط، أطروحة الدكتوراة: الأخر في رواية كلمة الله لأمين العتوم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المركز الجامعي صالحي أحمد، النعامة، الجزائر، ٢٠٢١ م، ص ١٦٦.

- ستة - ٢٠٢٠ م.
- رؤوس الشياطين - ٢٠٢٠ م.
- أرض الله - ٢٠٢١ م.
- هذه سبيلي - ٢٠٢١ م.
- صوت الحمير - ٢٠٢١ م.
- ساحر أو مجنون - ٢٠٢٣ م.
- عيسى بن مريم - ٢٠٢٣ م.
- الحواريون - ٢٠٢٤ م.
- رعب - ٢٠٢٤ م.

دواوين الشعر

- خذني إلى المسجد الأقصى - ٢٠١٣ م.
- نبوءات الجائعين - ٢٠١٢ م.
- قلبي عليك حبيبي - ٢٠١٣ م.
- الزنابق - ٢٠١٥ م.
- طيور القدس - ٢٠١٦ م.

المسرحيات

- مسرحية المشردون، ١٩٨٩ م (غير منشورة).
- مسرحية مملكة الشعر، ٢٠٠٢ م (غير منشورة).

الفصل الثاني: موضوع الأعمال الأدبية لأيمن العتوم

كتابات أيمن العتوم ذات طابع إسلامي تتميز بالقيم والثقافة الإسلامية، وغنية بالفكر الفلسفي وأسلوب العرض العاطفي "كما يصف الشاعر ديوانه بأنه يجمع بين التصوف والفلسفة، والحب والحرية محاولات صوفية في عالم تصنع بالمادية صراعا بين الروح والجسد في التعبير الشعري، الانحياز إلى المرأة وعالمها المسحور أكثر"¹⁵¹. وعناوين رواياته تؤكد ذلك حيث يقتبس أسماءها من آيات القرآن الكريم كما يعبر عن ذلك في عديد من قصائده. وهو يحاول توظيف الثوابت الدينية والأسس العقائدية عبر رواياته لإقامة الصلابة والتواصل مع التراث الديني. وأيقن له عبر رواياته بالتراث الديني تفاعلا وتأثيرا بالغاً في نفس القراء والشعب. وقد اتخذ من هذه الرموز الدينية كوسيلة لعرض مواقفه في الاضطرابات الاجتماعية والتطلعات المستقبلية لخدمة التراث الديني. استخدامه لهذه الطريقة هو تعبير عن اضطرابه وأزمته الروحية والفكرية. وتنوعت الرموز التاريخية الإسلامية في مؤلفاته كالشخصيات والأحداث والأماكن والأفكار، منها: طارق بن زياد، وصالح الدين الأيوبي، ومسجد الأقصى، واليهود، وكربلاء، ومعركة الصفين وغيرها.

وله انتاجات أدبية قيمة تجنح إلى فكرة المقاومة وتصوّر حالات المظلومين المساوية، وكما تسعى إلى تجسيد ما حلّ بالبلدان الإسلامية، ولا سيّما فلسطين المحتلة من نكبات وثورات ومجازر بشعة، إذ يُعدّ أيمن واحداً من الكتّاب الأردنيين المعاصرين الذين تفاعلوا تفاعلاً خلاّقا مع القضية الفلسطينية، وينعكس في نتاجه الأدبي بالهاجس الفلسطيني والهَمّ الوطني وتذويب الهَمّ الفردي في التجربة الإنسانية حتى يقول الكاتب عن مهمته الأدبية: "رسالة الأدب هي المقاومة، ويجب على كل مثقف عربي أن يحملها ويتبناها. فالمثقفون العرب مطالبون بأن تكون

¹⁵¹ هناء، لعثي، أطروحة الدكتوراة: استدعاء الرموز في ديوان قلبي عليك حبيبتي، جامعة سوق أهراس، الجزائر، ٢٠٢٠م، ص ١٨.

قصائدهم وكتابتهم موجهة ضد الاحتلال وضدّ التطبيع، ومع المقاومة ورسالة المقاومة".¹⁵² يعتبر الكاتب من أبرز المؤلفين المعاصرين الذين صوروا المشكلة الفلسطينية بأفضل صورة وصور المؤامرات والدسائس التي حلت بهذا الشعب.

ونوع الكاتب في استعراض هذه الشخصيات والأحداث والتاريخ للتعبير عن معارضته فجاءت هذه الشخصيات أحيانا دينية وأحيانا تاريخية قيادية. ووظف هذه الشخصيات للتوضيح عن المضامين والمفاهيم التي قصدها في شعره المتسم بالرفض ليصف قضايا عدّة حسب منظوره، فبعض هذه المضامين تحمل الهداية والقيادة، وبعضها تحمل الحزن والألم، وبعضها تلمح إلى الكبت والفساد والظلم حيث بالإمكان تقسيمها إلى مفاهيم سلبية مثل الحزن والظلم والكبت والاستبداد، ومضامين إيجابية مثل الهداية والقيادة والنصر والجهد والمقاومة.

المضمون والأفكار لأعماله الأدبية موجزا:

رواياته:

يا وجه ميسون (١٩٩٩): كتبها عام ١٩٩٩م، وفكرتها فلسفة الحب. كانت هذه الرواية أول محاولاته في فن الرواية ولكنه لم يقم بنشرها لاعتقاده أنها ليست عملا فنيا مثاليا كاملا للنشر إلا إذا أعيدت صياغتها.¹⁵³

حديث الجنود (٢٠١٤): هي روايته التي أثارت كثيرا من الجدل السياسي في جميع أنحاء الأردن، عدد صفحاتها ٤٧٢، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ٢٠١٤م. روايته حديث الجنود تتحدث عن أحداث جامعة اليرموك عام ١٩٨٦م. تتكون الرواية من ٦٣

¹⁵² د. فارساني، عباس يد اللهي، مقالة: استدعاء الرموز في شعر أيمن العتوم، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد ١١، العدد ٢، ٢٠١٩م، ص ٦٤.

¹⁵³ طاهر، لرقط، أطروحة الدكتوراة: الأخر في رواية كلمة الله لأيمن العتوم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المركز الجامعي صالحي أحمد، النعامة، الجزائر، ٢٠٢١م، ص ١٦٧.

فصلاً و ٤٧٠ صفحة. بعد وصول الطبعة الثانية للحدود الأردنية من دارنشر خاصة في بيروت، منعت دائرة النشر الأردنية تداول الرواية. وقد صدرت الرواية حتى الآن في ثلاث طبعات ويحاكم المؤلف أيمن العتوم أمام القضاء جرّاء قرار المنع الذي تعرضت له الرواية.¹⁵⁴

وتتناول الرواية أحداث عام ١٩٨٦م عندما اقتحمت قوات الأمن الأردنية جامعة اليرموك إثر احتجاج طلابي غير مسبوق في الجامعة، يلقي المؤلف الضوء على أسباب ونتائج تلك الاحتجاجات في ظل الأحكام العرفية المفروضة في الأردن في روايته. في الوقت نفسه، يشرح المؤلف دور القوى اليسارية وتيار الإخوان المسلمين في القضية المذكورة.¹⁵⁵

منعت السلطات الأردنية توزيع وتداول الطبعة الثانية من رواية حديث الجنود إلى أن تصدر محكمة أردنية متخصصة في قضايا النشر حكماً قضائياً في هذا الشأن. وقال رئيس هيئة الإعلام أمجد القاضي إن إدارة المطبوعات بالهيئة لم تحظر الرواية لكنها طلبت من الناشرين عدم توزيع الطبعة الثانية حتى يفصل القضاء في مخالفتها. واستمر في حديثه قائلاً: "بحسب نص القانون لم يعط الناشر للدارنة نسخاً من الطبعة الأولى المطبوعة في الأردن، وعندما وصلت الطبعة الثانية من بيروت طلب عدم توزيعها. وقرر القضاء منع الرواية من مخالقات دائرة النشر، ولاحظ القاضي أن أجزاء من الرواية تصف أحداث جامعة اليرموك و "إهانة الأجهزة الأمنية" تدخل في نطاق القانون. ويقول أيمن العتوم ما يجري بأنه منع لرواية أدبية من البيع، منها إلى أن الطبعة الأولى نفدت من المتجر، مما يقصد أن الرواية ممنوعة في الأردن حالياً رغم السماح بتداولها في الدول العربية."¹⁵⁶

¹⁵⁴ العتوم، أيمن، رواية: حديث الجنود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٢م.

¹⁵⁵ العتوم، أيمن، رواية: حديث الجنود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٢م.

¹⁵⁶ الخميسة، تسنيم، مقالة: مراجعة رواية حديث الجنود، الموقع الإلكتروني: <https://a5dr.com/wiki/رواية-حديث-الجنود/>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٠٢/٨م.

نفر من الجنّ (٢٠١٤): هي روايته التي تدور عن النهايات الكبرى للكون بناء على المرجعيات الدينية والتاريخية في المفاضلة بين الجنّ والإنس، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ٢٠١٤م، عدد صفحاتها ٣٩٢، وتعد هذه الرواية من أروع أعمال الكاتب الأدبية، وتدور قصتها في صحراء الدهماء، أي في "قرية طينية"، يحكمها الشيخ عايد، وتتمحور حول الشخصية الرئيسة يدعى برضا، هو الذي يعيش ويرى ما لا يراه الآخرون أو يعيشه.¹⁵⁷

من أبرز شخصيات الرواية ما يأتي، رضا: هو الشخصية الرئيسية في الرواية التي تدور حوله الأحداث والقصّة، هو فقير معدم، توفي والداه وترعاه بعده خالته أم سليم، وتظهر علامات الذكاء على البطل رضا، وسرعة الذهن، البديهة والملاحظة، ولديه قدرات خارقة لا تحصى ثمنه. والشيخ عايد: هو من الشخصيات الرئيسية في هذه الرواية، شخص يمكن وصفه بالجشع والاحتكار ونحو ذلك، لكنه "تأرجح وابتهج بلذّة حتى فقدها، نزل وشرب بالرفاهية والثروة حتى جف ماء الوفرة وكان قلبه جاحدا. المقرئ (المعلم) علام: هو أول معلم يتحصل الأولاد عليه بالقرية، وإنّه من أهل المدينة وليس بدويّاً، عادل في معاملته مع التلاميذ، ولا يحسب حساباً لأحد حتى لابن الشيخ. أم سليم: خالة رضا، التي ترباه منذ صغره، يصفها الروائي بأنها "أحنّ عليه من الأم على فطيمها". سرمد: ابن الشيخ المدلل الذي يحسب له الآخرون حساباً بسبب والده، لا يبدو ذكياً. سرحان: هو من طلاب الكتاتيب الذين يعرفهم رضا. قطرب: "ذو الظهر العاري" من الشخصيات التي يراها رضا وهو في حالة الاختفاء والغيبه، وهو نصف جن ونصف بشر، ركوب النعامة، لديها قدرات خارقة للطبيعة، مثل: قراءة الأفكار، ويعتبره رضا صديقاً.¹⁵⁸

¹⁵⁷ طاهر، لرقط، أطروحة الدكتوراة: *الآخر في رواية كلمة الله لأيمن العتوم*، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المركز الجامعي صالح أحمد، النعامة، الجزائر، ٢٠٢١م، ص ١٧٠.

¹⁵⁸ العتوم، أيمن، رواية: *نفر من الجنّ*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٤م.

تجري أحداث الرواية في عوالم مختلفة وتواريخ متعددة، لذا فهي تبدأ حيث الدهماء وتنتهي حيث المعركة النهائية بين الحق والباطل. رضى ومسعود شخصيتان رئيستان في الرواية؛ ففي حين كان رضى يمثل الخير المطلق، مثل مسعود دور المحارب عن الباطل وحامي عن الحق¹⁵⁹.

وكان للجن والشياطين دور كبير ومحوري في أحداث هذه الرواية، كانت كالإنسان تماماً، تتصارع كل منهما آخر، فريق شر وفريق خير، أراد الكاتب في الرواية كسر الحواجز بين الإنسان والجن، قائلاً إن القتال ليس بين مختلف الأجناس والأمم، بل بين الخير والشر. في نهاية القصة يستذكر المؤلف المعتقد الإسلامي في نزول السيد المسيح عيسى ابن مريم، مما يوحي بأن الصراع بين الخير والشر هو سنه كونية، لكن الرواية تنتهي بتذكيرنا أنه النصر في النهاية سيكون للصالحين ولأهل الخير.¹⁶⁰

كلمة الله (٢٠١٥): صدرت هذه الرواية عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ٢٠١٥م، عدد صفحاتها ٢٤٥. وكالعادة اقتبس الكاتب أيمن العتوم في رواياته عنوان القرآن الكريم. وتناقش الرواية في أعظمها الأكبر الاختلاف بين المسيحية والإسلام من وجهة نظر الشخصية المركزية للمسيح في كليهما حيث أراد الكاتب إثبات خطأ الاعتقاد الكنيسي بالمسيح ولم يكن المسيح إلهاً كما وصفته. كما تتناول الرواية ظواهر الإلحاد والخرافات. والجدير بالذكر أن الرواية أثارت ضجة في الأوساط المسيحية حيث حاولت بعض الأطراف منعها.¹⁶¹

وهناك من يربط الرواية بحادثة واقعية وقعت في الأردن لفتاة مسيحية اسمها بتول حداد تحولت أدركت الإسلام في محاضرة لأحد الدعاة المعروفين المشهورين كما أنّها تحمل اسم

¹⁵⁹ العتوم، أيمن، رواية: نضرم من الجن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٤م.

¹⁶⁰ الغني، وائل عبد، مقالة: تحليل رواية نضرم من الجن، الموقع الإلكتروني: <https://mawdoo3.com/تحليل-رواية-نضرم-من-الجن>، تاريخ الاسترجاع: ١٧/١٠/٢٠٢١م.

¹⁶¹ العتوم، أيمن، رواية: كلمة الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٥م.

بطلة الرواية أيضاً، وهي قُتلت على يد والدها بطريقة تشابه إلى حد كبير كموت البطلة في الرواية. تبدأ الرواية في إحدى القرى المسيحية في الأردن، حيث توجد كنيسة قديمة في أعلى نقطة فيها يشرف عليها الأسقف المطران أبرام ومساعداه دانيال وزئيف وعدد من الراهبات.¹⁶²

تعيش مريم وزوجها وهيب في القرية مع أبنائهما سلوى وبتول ووائل الذين "كرّسوا أنفسهم للرب"، والذين لم يكونوا في الواقع أبناءهم وإنما قاموا بتربيته حتى أصبح ابنهما، حيث كان رضيعاً في قبل كنف الكنيسة ترعاه راهبة تسمى هيلينا والتي وجدت ميتاً بعد أن رفض أخذ منها وائل.¹⁶³

وصار فيما بعد تحت حماية وهيب ومريم اللذان تبناه ابناً لهما. تبدأ العقدة في الظهور بعد أن أصبحت بتول طالبةً جامعية في المدينة؛ عندما تضطر للعيش هناك بسبب المسافة بين القرية والمدينة، وفي الجامعة تقابل عن صالح المسلم زميلها في الكلية وأصبح عشيقها في الجامعة. وقد كان لعبت النقاشات بينها وبين زميلها الملحد مراد الدور الأبرز في تحولها من دينها إلى الإسلام. وعلى الأسف كانت نهاية هذا الثلاث مأساوية. تعرضت بتول فبتول للتعذيب من جانب الكنيسة بأبشع الوسائل قبل أن يقتلها والدها بسبب اختيارها، وكان دائماً أكثر المحبوبين في بتول. وصالح خطفته جماعة من الإرهابيين، فقد خشي البعض من ابتعاد بتول عن دينها كما كان الارهابيون ينتقمون منه ما يعتقدونه لينا وإعطاء للدين من الدين؛ فاجتمع عليه النقيضان اللذان وافقا على دمه، أما بالنسبة لمراد، فقد تم حرقه حتى الموت على يد

¹⁶² العتوم، أيمن، رواية: كلمة الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٥م.

¹⁶³ العتوم، أيمن، رواية: كلمة الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٥م.

مجموعة من المتعصبين، ولم يستطيعوا أن يقابلوه كما فعل صالح؛ إذ قارع الحجة بالحجة.¹⁶⁴

خاوية (٢٠١٦): هي روايته التي تدور قصتين مختلفتين، وصدرت عن دار المعرفة للنشر والتوزيع في مصر عام ٢٠١٦م. عدد صفحاتها ٣٨٥، في الرواية عمل الروائي على الجمع بين قصتين معاً، بين دمار المدينة بعد الحرب وانهايار قلبيين بعد أن ازدهر حيهما واختارها رفيقة دربه، لكن حدث ظرف ما وأثر على مجرى حياتهما، حيث قدمت الرواية موضوعات التوحيد والأطفال ضحايا الحرب السورية.¹⁶⁵

تجري أحداث الجزء الأول في جبل الحسين عمان في الأردن، ما بين الطبيب جلال وزوجته سلوى وطفلهما بدرن. أما بالنسبة للجزء الثاني من الرواية، أحداثه تجري في حمص في سوريا بين الشاب زياد وشقيقته ليلاس وزوجته، أما الجزء الثالث من الرواية، ففيه يغطي الكاتب حبكة الرواية حيث اجتمع جميع الشخصيات في مخيم الزعتري في الأردن، بعد الحرب السورية.¹⁶⁶

تدور أحداث الرواية حول جلال الشاب الذي درس تخصص الطب، ويلتقي زوجته سلوى في مكان عمله في الطب المدرسي، جلال هو انعكاس للإنسان الذي يجمع بين العلم والإيمان، أما زوجته سلوى فهي متقلبة المزاج، دائمة الغضب، الصراخ والانفعال سلاحها في ضدّ النقاشات والخلافات، فهذا النوع من النساء غالبا ما يخرج غضبها غير مدروس.¹⁶⁷

¹⁶⁴ طعمة، تمام، مقالة: تلخيص رواية كلمة الله، الموقع الإلكتروني: <https://mawdoo3.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٧/١١/٢٠٢٢م.

¹⁶⁵ العتوم، أيمن، رواية: خاوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٦م.

¹⁶⁶ العتوم، أيمن، رواية: خاوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٦م.

¹⁶⁷ العتوم، أيمن، رواية: خاوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٦م.

لم يتجاهل الكاتب عن وصف أماكن العديد من المناطق الأردنية الجميلة، سواء كانت مدناً أو آثراً في الأردن، حيث شرح الكاتب في هذه الرواية عالم التوحد بكل تفاصيله وشرح حياة الطفل الذي يعاني منه، من يعيش في عالم مختلف عن العالم الواقعي، ولكن من خلال شخصية بدر (ابن جلال)، الطفل الذي يجد في الرسم طرقاً للتعبير عن نفسه يشعر ويفكر ويخلق مثل أي شخص آخر.¹⁶⁸

وفي الجزء الثاني من الرواية تدور قصة جديدة تختلف عن القصة التي سبقتها في الجزء الأول، تدور أحداثها حول رجل يدعى أبو زياد، كان يعمل نجاراً في سوريا، يغادر حياً الذي يسكن ويبحث فيه رزقه مع زوجته وأولاده زياد وليلاس، شخصية زياد في هذه الرواية شاب طائش ليس عنده أي أهداف وأحلام في الحياة، لذا يترك مدرسته قبل أن يكمل تعليمه، ويرفض العمل مع أبيه وينكح المرأة التي أحبها في الحي القديم، ويرهن عيشته للحب وللعمل، ورعاية شقيقته الصغيرة ليلاس.¹⁶⁹

تبدأ الحرب في سوريا بعد زواجه بعدة سنوات، فيموت أبوه وزوجته في هذا الحرب، حينئذ يصبح هدفه الوحيد هو الانتقام لموت زوجته التي أحبها أكثر من نفسه. ويجد هدفاً يقاتل من أجله ولكنه يفقده بسبب عقله الغير مدرك، والذي يتعامل مع الأمور بإهمال شديد، وتبدأ مرحلة الأحداث المأساوية التي تعرض صوراً غير إنسانية من خلال زياد، وكيف تنشر الحرب في سوريا القتل والقمع والاعتصام وفقدان أي شكل من أشكال الإنسانية من خلال مجموعة من الشعارات الكاذبة. فتصبح الحرب عملاً تجارياً من خلال تجار الحرب في سوريا، الذين

¹⁶⁸ العتوم، أيمن، رواية: خاوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٦ م.

¹⁶⁹ العتوم، أيمن، رواية: خاوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٦ م.

يسيطرون على الناس، مثل أبو القعقاع الذي ينضم إليه زياد، فيصبح مجرماً لا يختلف عن غيره من المجرمين في سوريا.¹⁷⁰

وفي جزء الأخير من نهاية الرواية تتشابك قصة الطبيب جلال مع ليلاس وأمها، بحيث يصبح هذا الارتباط تقاطعاً وتكاملاً لأقدارهم معاً، فيصبح الطبيب في مخيم الزعتري، عندما يدخل المهجرين من سوريا إلى الأردن ويتعرف على ليلاس ويتابع حالتها النفسية.¹⁷¹

تسعة عشر (٢٠١٨): هي رواية خيالية لأيمن العتوم التي يصف فيها رحلة شخص الذي يموت وهو بين كتبه واستيقاظه بعد وضعه في القبر ومسيرته في البرزخ، عدد صفحاتها ٣٠٣، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ٢٠١٨م، تتصدر قائمة الروايات الأكثر مبيعاً في الجزيرة العربية.¹⁷²

فكرة هذه الرواية هي رحلة شخص من قبره بعد وضعه فيه، فينتقل بين أراضٍ مختلفة في البرزخ، والبرزخ هو مرحلة التي يعيشها الإنسان بعد الموت إلى يوم القيامة، لذا هذه الرواية رواية فانتازيا كوميدية وإلهية.¹⁷³ تتحدث الرواية عن بطلها الذي يموت وهو يقرأ بين كتبه، ولا يُعرف كم يقضي في القبر، لينهض بعدها من ذلك القبر ويواجه حياة البرزخ، لذلك فهو يعيش في الفراغ لمئات السنين قبل أن يمر طائر العنقاء في السماء حيث تسقط منه ريشة، ليكتشف البطل أن الريشة هي تسقط على الأرض لتنبت شجرة في مكان سقوطها، ويكون عدد الريشات المسقطة هو تسع عشرة ريشة فتنبت تسع عشرة شجرة متنوعة، وتحت كل شجرة يجد بعض من العلماء والشعراء والأدباء والمفكرين والفلاسفة والزُّهاد والقادة، ويبدأ

¹⁷⁰ العتوم، أيمن، رواية: خاوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٦م.

¹⁷¹ العتوم، أيمن، رواية: خاوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٦م.

¹⁷² العتوم، أيمن، رواية: تسعة عشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٨م.

¹⁷³ العتوم، أيمن، رواية: تسعة عشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٨م.

بالمناقشات معهم. ثم ينتقل من مرحلة الأشجار إلى مكتبة أسطورية تتكون من تسعة عشر طابقاً في كل طابق علم من العلوم.¹⁷⁴

وتتضمن المكتبة كل ما كتبه الإنسان منذ بداية الخلق إلى انتهائهم على وجه الأرض. ثم بعدها ينتقل إلى المرحلة التالية الثالثة من مراحل إيقاظ الموتى، وبالريشات التسع عشرة التي جمعها البطل من تحت الأشجار السابقة يكون بإمكانه أن يوقظ من يريد من الشخصيات التي قرأ عنها وسمع عنها أو أحبها، لكن معظم من هذه الريشات يضع ليكتشف البطل أن الأشرار والسقّاحين والسفّاكين قد استيقظوا من قبورهم، لتقترب النهاية، ويسوق مَلَكُ الناس الخارجين من القبور وهم يسمعون صوته لكن لا يرونه، فيسوقهم إلى الموقف أمام الله بقوله: "الآن تُعرَضون على الله". وهكذا تنتهي الرواية مع حسابهم.¹⁷⁵

هذا الكتاب ومحتوياته ستجعل القارئ مجهولاً، في هذا الكتاب شخصيات نادرة وشهيرة من مجال شتى، وحكمة تروى وأبيات شعرية تنشد وعوالم وشعراء وأدباء وقادة مختلفة، قد يعرف القارئ قليلاً منهم وتجهل كثيراً منهم، ويقوم البطل بمحاورة الشخصيات التي يقابلها يستفزها بأسئلته، ويستفز الكاتب القارئ أيضاً في نفس الوقت، ويثير فضوله لمعرفة قصة هذا السؤال تاركاً القارئ في حيرته من أجل دون الإجابة، ولا سبيل لمعرفة هذا الأمر إلا بالبحث عنها.¹⁷⁶

أثناء قراءة هذه الرواية لن ينسى القارئ أبداً شخصية فيها تدعى "فتى الكلمات"، وبالتأكيد سيشعر القارئ بالندم على أن هذه الحياة الفانية بعيدة عن تلك الكلمات والقراءة، خاصة

174 العتوم، أيمن، رواية: تسعة عشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٨ م.

175 العتوم، أيمن، رواية: تسعة عشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٨ م.

176 العتوم، أيمن، رواية: تسعة عشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٨ م.

حلاوة الكلمات في هذه الرواية، وبلاغة عباراتها، وجمالية سردها، وأناقة الكلمات، والإيضاح الجيد، كل ذلك يبرز مع اختلاف المحتوى والمواضيع.¹⁷⁷

في بعض الأحيان تبدو هذه الرواية رواية فانتازيا، وفي أحيان أخرى تبدو فلسفية للغاية، وفي بعض الأحيان تبدو كأنه خيطاً رفيعاً من الواقع يمتد بين هذا الاثنين، مما يمنح القارئ مجموعة متنوعة من التجارب الفكرية العقلية. بعد القراءة تترك في ذهن القارئ أسئلة كثيرة تضايقه وتجعله يشعر بالنعاس.¹⁷⁸

طريق جهنم (٢٠١٨): هي رواية مشهورة، عدد صفحاتها ٥٠١، صدرت عن دار عصير الكتب للنشر والتوزيع في مصر عام ٢٠١٨م. هذه الرواية قسّمت بين بطلين، البطل الطاغية الذي يتكلم بلسانه وهو القذافي، والبطل المسجون الذي يروي ملاحظاته عن ثلاثين عاماً قضاها في التعذيب التي لا يمكن لأي إنسان أن يتخيّلها، ويشير الكاتب في كلمة الغلاف الخلفي: الأمل ليس وهماً كما يعتقد اليائسين، الأمل حالة؛ انظر حولك فستجد كلّ شيء يحتفي بالأمل، وكلّ شيء يتغير إليه، وكلّ شيء يريد أن يكونه. في النهاية يجعل الكاتب القارئ يسأل نفسه "تخيّل... أن الكون والكائنات مئوس منها بلا أمل؛ وكيف يُمكن أن تكون هناك عيشة سلامة، وكيف يمكن أن يعبد الله؟! الآخرة هي أمل الدنيا. الفوز أمل المُعذّبين. النهاية هي أمل المُتعبين. الحقيقة هي رجاء الخائفين. والعدل أمل المظلومين". ويمكن للقارئ أن يقسّم مجازيا أحداث هذه الرواية المأساوية إلى قسمين، في الجزء الأول يقوم فيه الروائي برواية أهم الأحداث عهد

¹⁷⁷ العتوم، أيمن، رواية: تسعة عشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٨م.

¹⁷⁸ محمد، ريم، مقالة: ملخص رواية تسعة عشر، الموقع الإلكتروني: <https://www.almsal.com/post/1054528>، تاريخ الاسترجاع: ١٠/٥/٢٠٢٢م.

حكومة القذافي على لسانه حتى تمت اغتياله، وقام القذافي خلال روايته تلك بتوضيح طريقة نظرتة لنفسه وموقفه كأنه يتحدث عن نفسه بهذه الطريق السردية¹⁷⁹.

وبعده يأتي الجزء الثاني من الرواية على لسان الشخصية المركزية يدعى علي، المعتقل في أحد السجون الليبية التي أسّسه القذافي، حكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما، ١٨ منها قضى في سجن أبو سليم، كان هذا السجن أصعب للغاية للعيش فيه، وأسوأ جرائم القتل. ويمكن القول بلا شكّ إنّ من أسوأ السجون في العالم على الإطلاق. وأنّه أبرز ما يميز هذه الرواية أنها وصف تفصيلي مبني على الحقائق الواقعية لحياة المعتقلين السياسيين، فهو يصف كل جزء من أجزاء السجن بدقة شديدة ومؤكّد أنه سيعطي القارئ تجربة جديدة أنه يشعر كأنه يمر بها ويتجوّل معهم.¹⁸⁰

وكأنه يستمع إلى أهات المعذبين وأنينهم، هذا السجن من الأماكن التي يمنع الحديث عنها أو ذكرها دائما، ومكان فظيع لا حرية فيه، لكن هنا أسلوب الكاتب أيمن العتوم واقعي لدرجة أن القارئ يشعر بكل قطرة من الألم والمعاناة التي يمرون المعتقلين بها.. لذلك يمكن للقارئ أن يقيس عبقرية الكاتب من خلال هذه الرواية المنفردة.¹⁸¹

أنا يوسف (٢٠١٩): يتناول الكاتب في روايته أنا يوسف قصة النبي يوسف، صدرت عن دار المعرفة للنشر والتوزيع في مصر عام ٢٠١٩م، عدد صفحاتها ٣٥١، تعتبر هذه الرواية واحدة من أشهر أعمال أيمن العتوم، وحقت مبيعات كبيرة، ولاقت شهرة كثيرة وحقت رواجا واسعا أيضا، مما جعل من هذه روايته الصدارة هذه في قائمة الروايات الأكثر مبيعا في الوطن

179

محمد، ريم، مقالة: ملخص رواية طريق جهنم، الموقع الإلكتروني: <https://www.almrsal.com/post/1054528>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٢/٠٥/١٠م.

180

محمد، ريم، مقالة: ملخص رواية تسعة عشر، الموقع الإلكتروني: <https://www.almrsal.com/post/1054528>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٢/٠٥/٢٢م.

181

محمد، ريم، مقالة: ملخص رواية تسعة عشر، الموقع الإلكتروني: <https://www.almrsal.com/post/1054528>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٢/٠٥/١٠م.

العربي. تتعامل هذه الرواية الساحرة معها بشكل فني وأدبي، حيث يصور لنا المؤلف أحداثاً متكاملة ومفصلة ومتراصة وقصة لها بداية ونهاية دون الخروج عن نص القرآن الأصلي الإسلامي للقصة، وتحتوي على كل مقومات القصة الناجحة من تعدد شخصيات والحوار الموضوعي، كل هذا يجعل القارئ أن يكمل القصة إلى النهاية لمعرفة ماذا سيحدث بسلسلة وتشويق فريد، كل هذا بالرغم من حقيقة معرفتنا جميعاً بنهاية قصة النبي يوسف، وكل هذا بفضل سحر أسلوب الروائي أيمن وقدرته على الوصف، مما يجعل القارئ لا يقرأ القصة فقط بل يعيش معها بكل تفاصيلها.¹⁸²

يتميز أسلوب هذه الرواية بالحبكة الفريدة وسير الأحداث وتشويقها وأسلوب الكتابة التي وأسلوب الكتابة الذي سيجعلك تستمتع بكل لحظة تقضيها أمام هذا الكتاب، والحبكة اللغوية والجودة مثيرة للإعجاب. ولقد تعدت فصاحته وأسلوبه الروائي، مما يميزه مميّزاً عن غيره ونادراً ما تجد كاتباً مثله. تبدأ القصة عندما كان سيدنا يوسف أصغر أبناء والده يعقوب بين أخوات أبيه، يراجع الكاتب القصة المذكورة في القرآن من خلال الحوارات المذكورة في سورة يوسف. وكذلك يجيبنا الكاتب على بعض الأسئلة التي تثار في أذهان العارفين بهذه القصة، قصة النبي يوسف عليه السلام. فهنا يحاول الكاتب الإجابة على بعض الأسئلة منها: كيف كان يقضي الصبي يوسف أيامه ولياليه الباردة المظلمة وحيداً في البئر؟ وبالمثل كيف شعر سيدنا يوسف عندما علم بدوافع اخوته وعزمهم على قتله؟ وكيف استطاع سيدنا يعقوب أن ينتظر بصبر جميل لأكثر من أربعين سنة على فراق ابنه يوسف؟ ووصف الكاتب العديد من الأسئلة الأخرى وإجاباتها.¹⁸³

¹⁸² العتوم، أيمن، رواية: أنا يوسف، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٩ م.

¹⁸³ العتوم، أيمن، رواية: أنا يوسف، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٩ م.

يوم مشهود (٢٠١٩): يسرد أيمن العتوم سيرته الشخصية الأردنية العسكرية، تدور حول شاب يعيش في أجواء سياسية مضطربة، فتقوده أفكاره ومواقفه إلى الاعتقال والسجن. صدرت عن دار المعرفة للنشر والتوزيع في مصر عام ٢٠١٩م، عدد صفحاتها ٣٦٨، كان الكاتب معاصرا لبداية الحكم البريطاني على فلسطين والأردن مرورا بالصراع العربي الإسرائيلي والمآسي والنكبات التي أتبعته ذلك. كان لها بعد سياسي وعبرت عن نفسها بطريقة تميل إلى جلد العرب بسبب الأخطاء التي ارتكبوها في تلك الفترة، والتي أدت إلى كل الإخفاقات التي مرّ بها العرب الواحدة تلو الأخرى، وأوقعتهم في وضع سياسي بئس. نعمة الفشل المبررة تتغلغل في الرواية مثل الليل، وهذا يجعلها رواية أساسية لأي شخص مهتم بمعرفة المزيد عن القضية الفلسطينية منذ شرارتها الأولى.

وفي الرواية نجد أن أيمن العتوم تجمع بين الحقائق التاريخية والحوارات الروائية، بحيث يختلط حبل الحوارات مع نابل الوقائع، حتى أنه محق في اقتباساته من كتاب اعترافات جولدا مائير، والتي أخذ منها بعض الأجزاء المعينة ليكتبها في الرواية في بضع فصول. يسخر أيمن نفسه قائلا "لدينا إذاعات بدلا من وطن، وزعامات بدلا من الحرية، ولدينا خرافات بدلا من الحقيقة. كنت أظن أن هزيمتنا في العدوان الأول عام ١٩٤٨م - ١٩٦٧م هو بسبب ضعفنا، وكنت أظن أن شجاعة الفاروق وقوة ابن الوليد لن تعود أبداً، كنت أظن أن مقولة "رجل عن ألف رجل" فقط خرافة، ولكن كل شيء تغير بعد هذه الرواية. أثبت الشهيد عبد الرحيم، الشهيد نائل بن حمد الحويطات، الشهيد عبد القادر الحسيني، الشهيد خضر شكري، والأبطال عبد الله التل ومشهور الجازي وغيرهم، اثبتوا العكس، أن هزيمتنا هو بالخيانة،

واثبتوا حقيقة رجل عن ألف رجل، أفهمونا معنى الشجاعة والتضحية، والأهم من هذا اثبتوا

معنى حب الوطن".¹⁸⁴

رؤوس الشياطين (٢٠٢٠): تحكي قصة طبيب الذي لم ينم منذ عشرة أعوام، صدرت الرواية عن دار المعرفة للنشر والتوزيع في مصر عام ٢٠٢٠م، عدد صفحاتها ٢٥٤، وهي رواية قصيرة نسبياً لكنها ثقيلة المحتوى، لأنها تركز على الأدب النفسي، وتُعطي رؤيةً من وجهة نظر المريض النفسي نفسه من خلال رؤيته للواقع والوهم. يحاول الكاتب تقديم رؤية فلسفية حول عديد من الموضوعات مثل الحياة والموت والفشل والنجاح وغيرها من خلال بطل الرواية الذي يلعب دور العالم النفسي المتميز في مجاله، حيث تمر بعدة حالات التي يحاول علاجها.¹⁸⁵

يطرح الروائي عدة تساؤلات حول الأمراض النفسية، من أهمها: هل يعرف المريض النفسي أنه مريض حقاً؟ إذ تبدأ الرواية بشقها الأول كئيبةً مُرهقةً بسبب الإجراءات الذهنية التي اتخذها الطبيب، لكن انخفضت حدة السواد فيها شيئاً فشيئاً مُنذ عودته إلى القرية بعد هجره. على الرغم من ذلك إلا أنه كان الجزء الأول الكئيب أقوى وأجمل من الجزء الثاني وأشدّ تأثيراً، إذ تدور أحداث الرواية تدور حول مريض يعاني من هلوسات مرض نفسي مُنذ صغره، ويدار صراع بينه وبين نفسه ما بين الخير والشر، وكان أحد أسباب مرضه النفسي والداه، وتأثر الولد فيما بعد بأفكار منافية للدين، التقاليد والعادات، وتحاول الدته جاهدة أن تسحبه للعودة إلى الإسلام والدين والعلم والفقه. أمّا الحادثة، هي حادثة الغرق، الشرارة التي أشعلت فتيل أزمته، لتشكل مُفارقة غريبة، فالضفدع الذي كان يسعى لإنقاذه، كان نقيقها الزر الذي

¹⁸⁴ مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://www.rofoks.com/2020/06/Download-novel-the-promised-day-PDF.html>. تاريخ الاسترجاع:

٢٠٢٥/٠١/١٠م.

¹⁸⁵ العتوم، أيمن، رواية: رؤوس الشياطين، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٢٠م.

أشعل جنونه، فنمو خلاله حتّى تجاوز العقل ليختلط وهمّه بواقعه حتى لا يعرف أيّهما حقيقة،
وأيّهما خيال أو هلوسة.¹⁸⁶

تحكي الرواية قصة الطبيب بأسلوب جميل رائع نادر، يوما في أحد الليالي كان في أحد الغرف
في فندق رخيص، البطل يشم رائحة كريهة، وفي نفس اللحظة خطرت حقيبتة الجلدية في
ذهنه، فراح يتفحص محتوياتها، فوجد كل شيء على حاله. ولهذا الطبيب أسماء متعددة مثل
حافظ ونديم وغيرها، ويبدأ نديم باستغراق في الذكريات الماضية، بكل ألمه ووجعه، فعندما
فقد والده الذي كان أثره تعلقًا شديدًا، عاش في صراع كبير لا تحصى قدره، وأنه ينكر موت
والده، وحفظ عظام الجثة، وبدأت الأهواء والهواجس والوساوس تلاحقه أينما ارتحل
وسافر.¹⁸⁷

فعانى الطبيب كثيرا بسبب تلك الهواجس والهموم، فقرر مغادرة المكان الذي عاش فيه خلال
طفولته وشبابه والعيش في مكان آخر على أمل أن يجد الراحة النفسية هناك، فيقرر العمل
بجد حتى يجمع المال ويسافر، ولكن عقله ومرضه النفسي والوسواس التي حكمه لا تمكنه
من القيام بذلك. ويحاول الهروب منها، ولكن يفشل في ذلك، وكان يغرق يومًا بعد يوم بمتاهات
جديدة، وأحلام وخيالات لا حصر لها، وتكون كل هذه على شكل رسائل تأتيه حتى يتخلص من
العذاب والهلاك الذي يعيشه، بعد كل هذه المعاناة، يعود الطبيب إلى قريته، يُدخل الطبيب
مستشفى، لكنه يحاول يائسًا الهروب منها، لكنه يفشل فشلاً ذريعًا، ويومًا بعد يوم يغمره
هالوس جديد، خيالات لا حصر لها، وتتكون كلها تأتيه في شكل رسائل نفسية، وبعد هذه
المحن، يعود الطبيب إلى قريته التي عاش فيها للتعافي من التعذيب النفسي والدمار، لعل

¹⁸⁶ العتوم، أيمن، رواية: رؤوس الشياطين، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٢٠م.

¹⁸⁷ العتوم، أيمن، رواية: رؤوس الشياطين، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٢٠م.

العودة إلى الديار تشفي كل ما يصيبه. فتنتهي الرواية بعد أحداثها الدرامية وتترك أسئلة بلا

إجابة.¹⁸⁸

أرض الله (٢٠٢٠): رواية أرض الله: صدرت الرواية عن الإبداع الفكري للنشر والتوزيع بالكويت عام ٢٠٢٠م، عدد صفحاتها ٥٣٠. يعرض أيمن في هذه الرواية "عُمريّة" ضد نظام العبودية في أمريكا وأوروبا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، إلا أنّ الرواية تتكشف عن موقف رجعي في حيثيات المرافعة، لا يدعو إلى إدانة العبودية من حيث المبدأ، بل يدعو إلى تجميلها

فحسب.¹⁸⁹

فكرة الرواية هي قصة عمر بن سعيد، هو رجل أفريقي يعيش والده ثرياً وأحد النبلاء والأشراف، وعاش سيّداً على شعبه، وورث أبناؤه العلم والتواضع. عندما اشتدّ عود بطل الرواية، انتقل أن يعيش من مدينته "فوتا تور" إلى "توبا"، مدينة الميردين الذين يقصدونها التقرب من الله. فقضى حياته حياة زهدية عدة سنوات وحصل على علوم التي تليق بعالم، ثمّ عاد إلى مسقط رأسه للزواج.¹⁹⁰

وفي حين انتظاره لمولوده الأوّل قصد منزلة الاستعمار الفرنسي فقتلوا والده وجروّوه أمامه عبداً ولا يعرف ما فعل بزوجته والدته ومولوده القادم. فتم القبض عليه وأسر من قبل تجار العبيد الفرنسيين والإنجليز، وشحنوه إلى أمريكا، ليمضي الشطر المعظم من حياته مستعبداً في مزارع القطن وقصب السكر والتبغ في ولايتيّ "كارولاينا الجنوبية" و"كارولاينا الشمالية" بأمريكا.¹⁹¹

188 العتوم، أيمن، رواية: رؤوس الشياطين، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٢٠م.

189 العتوم، أيمن، رواية: رؤوس الشياطين، دار الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٢٠م.

190 العتوم، أيمن، رواية: رؤوس الشياطين، دار الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٢٠م.

191 العتوم، أيمن، رواية: رؤوس الشياطين، دار الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٢٠م.

لقد عانى بؤسا شديدا لا يمكن وصفه في بيت العبيد حيث كان مائة شخص أو أكثر يعيشون معًا في غرفة صخرية طولها وعرضها ٨ أذرع! وعانى معه في قعر السفينة أثناء نقله إلى الولايات المتحدة لأنّ ليس لديها مكان للتغوط فيها. فكانوا يبولون يتغوطون على بعضهم البعض. عندما وصلوا إلى وجهتهم بدأ تعذيبهم اللامتناهي التي لم يواجهوا من قبل طوال حياتهم، عمل عشرين ساعة تقريبا في اليوم. جلدوهم أحياء وحرقوا أحياء من فشلوا في عملهم! هناك محطات كثيرة في حياة عمر بن السيد توصف باللم ونحن نعيش من خلالها. وتم بيعهم كالحوانات والبهايم وعمولوا بقسوة شديدة إذ كانوا يجلدونهم بالشوط ويحرقون من يقصر في عملهم أحياء! هناك محطات كثيرة في حياة عمر بن سيّد رسّمت بأسلوب مؤلّم والقراء أيضا يتعاش مع هذه القاسية أثناء قراءته.¹⁹²

تنقسم الرواية إلى أربعة، قسم الأول يدور عن طفولة البطل "عمر بن سيد" في القرية، الثاني شبابه في المدرسة الدينية، الثالث مرحلته الأسرية ورحلة السفينة، فالرابع مرحلة العبودية في أمريكا. تبرز في القسم الأول بضوء علاقة عمر بوالديه وأخته، في عائلة غنية من طبقة أشرف السنغال، وبمؤثرات البيئة الطبيعية والدينية والاجتماعية والعلمية، على تكوينه النفسي والفكري أيضا. وتبرز في القسم الثاني بوصف المرحلة الصوفية من حياة البطل عمر، يكرر القسم الثاني تفاصيل الحياة اليومية في المدرسة الإسلامية، ورغم أن هذا القسم لا يشير إلى التدريب العسكري، إلا أنه يؤكد على أهمية نشر التربية الدينية لحماية البلاد من خطر الاستعمار.¹⁹³

إلا أن الرواية تذكر في عدة أماكن أن المدرسة لعبت دورا في المقاومة العسكرية ضد المستعمرين، اعتاد الشيخ على إرسال مائة مجاهد كل عام لمحاربة الاستعمار الفرنسي. إلا أن

¹⁹² العتوم، أيمن، رواية: رؤوس الشياطين، دار الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٢٠م.

¹⁹³ العتوم، أيمن، رواية: رؤوس الشياطين، دار الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٢٠م.

الرواية تذكر في عدة موضع بأن المدرسة لعبت دوراً في المقاومة العسكرية للمستعمر وكان الشيخ اعتاد على إرسال مئة من المجاهدين كل عام، وهم يناضلون ضد الاستعمار الفرنسي، ويقول الشيخ له وهو يضمن به، ومستشارا إلى صدره: العلم الذي في صدرك أمضى من السلاح الذي في أيديهم". وتحاول الرواية في جزئها الثالث والرابع في إثبات قول الشيخ عن تفوق العلم على السلاح في انتزاع الحقوق، وفي مقاومة أشكال الظلم من استعباد واستعمار. وستحول الرواية في جزأها الأخيرين إلى القضية السياسية والأخلاقية والدينية ضد نظام العبودية الأمريكي، وضد أمريكا نفسها، على أساس هذه الحجة.¹⁹⁴

ومع ذلك، من نافلة القول إن الرواية تتجاهل حقيقة أن العبودية هي نظام قديم قدم الحضارات الإنسانية وبدائي وساد في جميع الحضارات كلها بغض النظر عن معتقداتهم لأسباب اقتصادية واجتماعية. وأنه لا يزال ممارساً في المجتمعات التقليدية والقبلية المغلقة، وأن نجاح البشرية في القضاء عليه في القرن العشرين لم يكن مرتبطاً بمعتقدات الأمم، وإنما بتطور التشريعات المتعلقة بالحقوق الإنساني.¹⁹⁵

مسغبة (٢٠٢١): هي رواية تاريخية تتحدث عن المخطوطة التي حصل عليها الكاتب وتعود لعام ٦٢٩م وتتحدث فيها عن الطاعون والزلازل في مصر. صدرت عن دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، عام ٢٠٢١م، عدد صفحاتها ٤٦٥. إنها مسغبة بالفعل التي حلت في أواخر القرن السادس الهجري بمصر، فترة غير معروفة ألقى عليها الكاتب أيمن العتوم الضوء بعد أن حصل على مخطوطة بخط يد بطل الرواية يدعى بعبد اللطيف البغدادي، عبد اللطيف البغدادي هو عراق الجنسية مولود عام ٥٥٧ للهجرة في بغداد، نشأ وأيفع فيها وتعلم القرآن والحديث واللغة والنحو والطب، كان محباً ومكبا للعلم والكتب، عندما كان شاباً قرر أن

¹⁹⁴ العتوم، أيمن، رواية: رؤوس الشياطين، دار الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٢٠م.

¹⁹⁵ العتوم، أيمن، رواية: رؤوس الشياطين، دار الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٢٠م.

يرتحل إلى مصر ليحصل على العلوم وأن يصبح طبيباً هناك، وليكون هو المنقذ لها في أيام الكوارث التي حلت به. في عام ٥٩٧ للهجرة حدث زلزال كبير في مصر، ثم زلزال متلاحقة دمرت منشآت مصر وهدمت البيوت وسقطت على ساكنيها ومات ناس كثير إحصاء عددهم مستحيل، وبدأ الطاعون بالانتشار في البلاد عام ٥٩٩ للهجرة. ولمدة ثلاث سنوات متتالية، قتل الطاعون وفتك بالنسل البشري الى أن جر ذيله وعاد بعد أن قضى على أكثر من نصف السكان،¹⁹⁶

أما النصف الثاني أصيبوا بالجوع وأخذوا يأكلون الحيوانات والقطط والخيول والحمير وحتى الكلاب بعد أن قضوا على المواشي والجواميس لم يكن هناك شيء آخر يأكلونه إلا هذه. بسبب الطاعون تم إغلاق البلاد وأوقفت السفن وتم حجرو عزل الناس بمنزلهم، كان هذا الأمر شبيهاً بكيفية تأثير كورونا على الناس خلال فترة ٢٠٢٠م- ٢٠١٩م. عندما وصف البغدادي بؤس هذا الطاعون الذي أصاب مصر، لم يكن مستغرباً أن يشعر القارئ بأن أهل العصر الحالي مروا بوباء كورونا بشكل خفيف للغاية. يجب أن يُقرأ بالإضافة إلى ذلك أنه إذا واجه العالم كله كورونا من خلال مشاركة التكنولوجيا معاً، فإن مصر كانت وحدها في مواجهة الطاعون آنئذٍ.¹⁹⁷

ثم بعده لم يجدوا شيء يأكلوه في مصر فبدأوا بأكل لحوم البشر. ويرى البغدادي بعينه امرأة تشويه طفلها وتعليقه من رقبته، وتأكله متى شاءت به، فيحكمون عليها بالحرق بعد أن صلبوها، مشاهد عديدة أخرى مذكورة في السرد تتحدى وتتعارض الإيمان في أول النظرة. بعد أن تعافت مصر قضى تسعة من كل عشرة من سكانه بسبب هذه الكوارث، مات من مات ونجا من نجا وبدأت حياة الباقين تعود لطبيعتها، فعندها قرر البغدادي للعودة إلى العراق

¹⁹⁶ العتوم، أيمن، رواية: مسغبة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، عام ٢٠٢١م.

¹⁹⁷ العتوم، أيمن، رواية: مسغبة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، عام ٢٠٢١م.

وأن يكتب ما عاشه وواجه من أهوال في هذا المخطوط، ولكن أصابته المرض وهو في ضواحي بغداد ومات، ودفن بالقرب قبر والده.¹⁹⁸

صوت الحمير (٢٠٢١): هي رواية فلسفية ساخرة بطلها حمار، وتحاول مقارنة بين حياة الحيوانات والإنسان، مسلطة الضوء على الطبيعة البشرية والسمات البشرية من خلال سردها. تسلط تحولات الحمار (أبو صابر) في الرواية وسير الأحداث على موقفه من المجتمع والحياة، حيث تعرض مفهوم صبر الحمير وقدراتهم الرائعة على التحمل والقدرة البالغة على الفهم والنظر الأمور. صدرت عن دار ديوان العرب للطباعة والنشر، بيروت، عام ٢٠٢١م، عدد صفحاتها ٢٦٩.¹⁹⁹

الحمار (أبو صابر) ينتقل بين عدة أشخاص في البداية حتى يستقر أخيراً مع الشيخ علي. يكتشف الشيخ علي أن الحمار يستطيع التحدث بلغة عربية فصيحة وواضحة. فيبدأ الشيخ علي بقراءة الكتب للحمار، ومن هناك تبدأ رحلة الحمار في عالم الشعر والفلسفة والتاريخ. خلال جولاته مع الشيخ، يتعلم الكثير ويساعد الشيخ في البحث عن ابنته الوحيدة التي تركها وعمرها عامان. خلال رحلة البحث هذه، يلتقي بعدد من الأقوام ويجري محادثات معهم، ويُظهر قصور تفكيرهم وجهلهم. يجوب الشيخ مع الحمار قرى الأردن من الشمال إلى الجنوب.²⁰⁰

عندما يعود مع الشيخ إلى قريته في الشمال، يجد نفسه مريضاً ويفارق الحياة عتبة قريته "سُوف" ويدفن فيها. بعد وفاة الشيخ، يأتي مالك جديد لكنه ذو طبع سيء، ويقرر الهروب منه ليبدأ حياة جديدة تماماً. هنا يقرر تأسيس حزب الحمير، الذي يصبح أكبر حزب في المنطقة

¹⁹⁸ العتوم، فاطمة، مقالة: قراءة في رواية مسغبة، الموقع الإلكتروني: <http://muslimaabdu.blogspot.com/2021/07/blog>، تاريخ الاسترجاع: ٢٤/٠٣/٢٠٢٤م.

¹⁹⁹ العتوم، أيمن، رواية: صوت الحمير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، عام ٢٠٢١م.

²⁰⁰ العتوم، أيمن، رواية: صوت الحمير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، عام ٢٠٢١م.

وأكثره تنظيماً. ثم ينشأ فرقة مسرحية، وبعد ذلك يبدأ في تقديم برنامج إذاعي يجذب المستمعين من جميع أنحاء العالم، يكشف فيه عن دور الحمير الخالدين في التاريخ والذين قدموا الحكمة للحكماء والفلسفة للفلاسفة. بعد ذلك، يقرر الحمار السفر إلى أمريكا ويتولى حملة الحملة الانتخابية للمرشح الديمقراطي. تنتهي الحملة بفوز الرئيس بفضل خطب الحمار البليغة.²⁰¹

بواسطة البطل الاستثنائي في الرواية، تُعرض قضايا مثل أكل لحم الحمير وبيع حليهم، الأمر الذي يهدد بانقراض هذا النوع. في النهاية، يلتقي بأحد تلاميذ الشيخ علي الذي يبث فيه فلسفته في الحياة. وعندما يصل إلى نهاية كتاب الفلسفة الحمارية، يكون قد أنهت رحلته، ويموت وهو راضٍ عن نفسه وعن الخدمات العظيمة التي قدمها للجنس البشري.²⁰²

هذه سبيلي (٢٠٢١): يتناول الكاتب فيها تجربته في كتابة الروايات، صدرت عن دار المعرفة للنشر والتوزيع في مصر عام ٢٠٢١م، عدد صفحاتها ٥٥٦، يرسم فيه عن تجربته الخاصة في مجال كتابة الروايات حيث أنه يؤمن بأنه ولد بنسخة ويصير في نسخة أخرى تماماً، حيث سيصطحب يأخذ الروائي القراء في جولة في تجارب حياته، متبعاً طريقته في اختيار المشاهد، وتكثيف السرد، وخلق المواقف.²⁰³

الكتاب هو دافع كبير ويساعد على تحدّي نفس القراء ومواجهة صعوباتهم. كما يدعو القارئ إلى رسم المسار الذي يريد اتباعه، بدلاً من اتباع خطة رسمها وتخطيطها من قبل الآخرين. من خلال هذه الرواية، يدّعي الروائي للقراء إذا عشنا هكذا، يمكننا أن نعيش حياتنا الخاصة،

²⁰¹ العتوم، أيمن، رواية: صوت الحمير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، عام ٢٠٢١م.

²⁰² العتوم، أيمن، رواية: صوت الحمير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، عام ٢٠٢١م.

²⁰³ العتوم، أيمن، رواية: هذه سبيلي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، عام ٢٠٢١م.

وإذا استمعنا إلى ما يقوله الآخرون، فالعيش الذي نعيشه عيشة حياتهم. ويُذكر هنا أن الكاتب لم ينسحب للحظة من اعتبار نفسه تلميذا مع أنّه قد يكون له شخصية أو خبرة معلم أو كاتب أو طبيعة من الناس، وهذه هي طريقة حياة الكاتب وأسلوب الكتابة.²⁰⁴ فكما يعتبر الكاتب التوقف عن التعلم موتاً كما أن انتظار آراء الآخرين حول ما يفعله المرء هو موت آخر، لذلك نرى أن الكاتب اختار أن يكون كما يريد نفسه، وكما يعلمنا الكاتب من خلال روايته أن نسير في الطريق بثقة نفسه، لا يهيمه الوصول إلى هدفه بقدر ما يهيمه الاستمرار في السير نحو تحقيق غايته واستمراره، طال ما يسير في طريقه فالطريق الذي يمشي به سيشكله ويقوم معه في أي حالة كان.²⁰⁵

قسم المؤلف هذه الرواية إلى اثني عشر فصلاً، يتحدث عن منهج حياته وأسلوبه وطريقته في الكتابة، ففي الفصل الأول يتحدث الكاتب عن طفولته، وفي الفصل الثاني يتحدث بالتفصيل عن عائلته وأهله ووالده وإخوته وزوجته وأبنائه وعلاقته بجده. أما الفصل الثالث فقد أجاب عن سؤال مهم وهو "لماذا تقرأ؟"، كيف كان يحب القراءة، وأسلوبه في القراءة، ومتى سيقراً، وآداب القراءة، وما الكتب التي يقرأها وكيف يختارها؟، وإنّه قد كتب في تسع صفحات عن أهمية قراءة الروايات.²⁰⁶

الفصل الرابع يتحدث به عن دراسته الابتدائية والثانوية والجامعية. فقد درس الهندسة المدنية في جامعة العلوم والتكنولوجيا، ثم خلف عن طريقه الدراسي بالتحاق بجامعة اليرموك

²⁰⁴ العتوم، أيمن، رواية: هذه سبيلي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، عام ٢٠٢١ م.

²⁰⁵ صلاح الدين، سوسن، مقالة: نبذة عن رواية هذه سبيلي، الموقع الإلكتروني: <https://mawdoo3.com/نبذة-عن-رواية-هذه-سبيلي> تاريخ

الاسترجاع: ٢٠٢٥/٠٢/١٠ م.

²⁰⁶ العتوم، أيمن، رواية: هذه سبيلي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، عام ٢٠٢١ م.

أن يدرس فيها بكالوريوس في اللغة العربية، والجامعة الأردنية حيث أكمل فيها دراساته العليا بعده.

أما الفصل الخامس، في عنوان "النشاطات والمرحلة العملية"، والسادس جاء بعنوان "كتب ومكتبات وترحال"، يتحدث عن المكتبات التي مر بها في حياته ابتداء من طفولته وحتى سنّ الرشد في مكتبته المنزلية التي تحتوي على أكثر من خمسين ألف كتاب. فالفصل السابع، الكتابة، وهو جوهر الكتاب كما وصفه الكاتب، يكشف أسرار الكتابة وأسبابها فيه.²⁰⁷

الفصل الثامن يتحدث به عن النشر وفلسفته، وعن بداياته بنشر قصائده في الصحف والمجلات، ثم عن دور النشر التي تعامل معها بنشر رواياته ودواوينه. أما الفصل التاسع، فقد جاء بعنوان: "علاقات ومراسلات" ذكر الرسائل التي كان يرسلها للصحف والمجلات، والتي تصله على مواقع التواصل الاجتماعي. يتحدث الفصل الثامن عن النشر وفلسفته، بداياته بنشر قصائده في الصحف والمجلات ولاحقاً في دور النشر التي أدارها عن طريق نشر الروايات والمجموعات. أما الفصل التاسع بعنوان "العلاقات والمراسلات" فيشير إلى الرسائل التي يرسلها إلى الصحف والمجلات الواردة على مواقع التواصل الاجتماعي.²⁰⁸

في الفصل العاشر، يتحدث عن العقبات التي واجهها وكيف تغلب عليها، بما في ذلك تعليقه عن دراسته لفصلين دراسيين متتاليين، ثم سجنه قبل تخرجه، ثم سجنه مرة ثانية بعد كتابته رواية حديث الجنود، ومنع نشرها. يأتي الفصل الحادي عشر على شكل نصيحة وهي ملخص الكتاب ومضمون ما كتبه المؤلف، عددها ١٦٠ نصيحة، إحداها لا تقل أهمية عن الأخرى، وكلها تستحق القراءة. ويحتوي الفصل الثاني عشر والأخير على رسائل من والده ووالدته

²⁰⁷ العتوم، أيمن، رواية: هذه سيلي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، عام ٢٠٢١ م.

²⁰⁸ العتوم، أيمن، رواية: هذه سيلي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، عام ٢٠٢١ م.

وزوجته بعد أن انتهى من تأليف هذا الكتاب، يخبر فيها بعض الكتاب العرب عن نفسه عندما التقى بهم، وأخيراً يكتب قصيدة تجعل والده فخوراً به ويحق له ذلك. هذا هو تضمين هذه الرواية.²⁰⁹

سنة (٢٠٢١): صدرت عن الإبداع الفكري للنشر والتوزيع في دولة الكويت عام ٢٠٢١ م. هذه رواية تدرج ضمن قصص البطولات الخفية أو المنسية، حيث ينتمي أبطالها إلى الفئة التي تحول أعمالها إلى أساطير. تحكي القصة عن ستة أبطال نجحوا في تحويل المستحيل إلى ممكن، وجعلوا الخيال واقعاً. هؤلاء الأبطال أثبتوا بأن الإرادة يمكن أن تخلق المعجزات، فخرجوا من أصعب السجون في العالم ولم يكونوا أبطالاً هوليووديين²¹⁰، بل جعلوا هوليوود تتعلم البطولة منهم. قاموا بحفر طريقهم نحو الحرية بأيديهم وانتزعوها من بين غابات القيود المتشابكة. قاموا بتحويل الليل إلى النهار وتغلبوا على ظلم السجان. فازوا في زمن مليء بالهزائم المتتالية. إنهم أبطال سجن جلبوع²¹¹ في شمال فلسطين. إن هذه القصة تجعل الخيال يتقاصر أمامها، وتجسد ببساطة حقيقة ناصعة.²¹²

ساحراً ومجنون (٢٠٢٣): من أهم روايات الكاتب الأردني أيمن العتوم. تحكي عن حياة الشاعر العربي الكبير المتنبي منذ طفولته حتى نهايته. في الرواية، نرى المتنبي شاعراً عظيماً، لكنه أيضاً إنسان يعيش صراعات كثيرة بين حلم المجد والخلود وبين واقع مليء بالوحدة والخذلان. تبدأ الرواية بمقدمة فيها أفكار فلسفية عن الغربة وأسئلة عن معنى الحياة. ثم يظهر المتنبي

²⁰⁹ العجاردة، لبني، مقالة: كتاب قراءته، الموقع الإلكتروني: <https://jubrariah.wordpress.com/2021/12/23/هذه-سيلي/>، تاريخ الاسترجاع:

٢٠٢١/٢٢/٢٣ م.

²¹⁰ هوليوود - Hollywood

²¹¹ هو سجن تابع لمصلحة السجون الإسرائيلية يقع في منطقة وادي جالود

²¹² العتوم، أيمن، رواية: سنة، الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، عام ٢٠٢١ م.

شخصية متناقضة: شاعر ساحر بكلماته، لكنه يعاني من الوحدة، فيطرح الكاتب سؤالاً: هل

المتنبي ساحر بكلامه أم مجنون يلاحق أحلاماً صعبة؟²¹³

تأخذنا الرواية في رحلة عبر مراحل حياة المتنبي: طفولته مع جدته التي علمته الكبرياء، شبابه وطموحه ليكون شخصية عظيمة، علاقته ب سيف الدولة الحمداني الذي دعمه ثم ابتعد عنه، وعلاقته بكافور الإخشيد الذي عامله بقسوة فخيّب آماله. في كل هذه المحطات، كان المتنبي يعيش بين النجاح والفشل، بين الأمل واليأس. تستمر الأحداث حتى نهايته المأساوية، حيث يقتل في ظروف صعبة، ليترك سؤالاً: هل يستحق المجد كل هذه المعاناة؟²¹⁴

الشخصيات المهمة في الرواية هي: المتنبي نفسه بطل القصة، سيف الدولة الذي دعمه ثم خاصمه، كافور الإخشيد الذي مثّل السلطة القاسية، وجدته التي أثرت في تربيته. وتركز الرواية على أفكار أساسية، مثل: الصراع بين العبقريّة والمجنون، الصراع مع الحكام والسلطة، الشعور بالغرابة والوحدة رغم الشهرة، ومعنى الخلود والمجد وما يترتب عليه من ثمن. وهكذا يقدم العتوم رواية تجمع بين التاريخ والأدب والفلسفة بأسلوب ممتع ومؤثر.²¹⁵

عيسى ن مريم (٢٠١٩): صدرت سنة ٢٠١٩ م عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، وتقع في ٧٦٨ صفحة. تعد من أبرز رواياته التاريخية التي تسرد بدايات المسيحية. تنقسم

الرواية إلى ثلاثة أجزاء.²¹⁶

²¹³ عادل، نسما، مقالة: ملخص رواية ساحر أو مجنون، الموقع الإلكتروني: <https://mulakhaskitab.com/ملخص-رواية-ساحر-أو-مجنون/>، تاريخ الاسترجاع: ٢٣/٥/٢٠٢٥ م.

²¹⁴ عادل، نسما، مقالة: ملخص رواية ساحر أو مجنون، الموقع الإلكتروني: <https://mulakhaskitab.com/ملخص-رواية-ساحر-أو-مجنون/>، تاريخ الاسترجاع: ٢٣/٥/٢٠٢٥ م.

²¹⁵ عادل، نسما، مقالة: ملخص رواية ساحر أو مجنون، الموقع الإلكتروني: <https://mulakhaskitab.com/ملخص-رواية-ساحر-أو-مجنون/>، تاريخ الاسترجاع: ٢٣/٥/٢٠٢٥ م.

²¹⁶ مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://www.noor-book.com/en/ebook-رواية-عيسى-ابن-مريم-pdf>، تاريخ الاسترجاع: ٢٣/٥/٢٠٢٥ م.

في الجزء الأول عيسى بن مريم، يعرض الكاتب ميلاد المسيح من مريم العذراء، وبداية دعوته ومعجزاته، وينتهي بمقتل النبي يحيى. أما الجزء الثاني الحواريون، فيتحدث عن تلاميذ المسيح، وعن المؤامرات اليهودية التي انتهت بمحاولة صلبه، ثم يبدأ التبشير بقيادة بطرس ومريم المجدلية. وفي الجزء الثالث، يركّز على بولس (شاؤول الطرسوسي) ودوره في إدخال عقائد جديدة إلى المسيحية، ورحلاته التبشيرية، ثم وفاة الحواريين واحداً بعد الآخر حتى موت يوحنا سنة ١٠٠م. الرواية لا تقتصر على السرد التاريخي، بل تكشف عن الصراع بين الدين والسياسة، وتبرز رسالة الأنبياء القائمة على الحق والحرية.²¹⁷

الرعب (٢٠١٤): صدرت عن دار الغوثاني للنشر والتوزيع بدمشق في طبعها الأولى سنة ٢٠٢٤م، وجاءت في نحو ٤١٦ صفحة. وتتناول أحداث الحرب على غزة التي بدأت في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م، وتجسّد عبر السرد الأدبي حجم المعاناة الإنسانية التي عاشها أهل القطاع.²¹⁸

تتمحور القصة حول شخصية فرج أبو العوف، وهو ممرض غزاوي فقد في الحرب أسرته كلها؛ زوجته وأطفاله ووالديه وإخوته، إضافة إلى منزله الذي دمر. يتحول من رجل عادي إلى شاهد حي على المأساة، يعيش الوحدة والعزلة، لكنه يعود ليجد نفسه في قلب الحدث وهو يشارك في إسعاف الجرحى وإنقاذ ما يمكن إنقاذه. إلى جانب فرج تظهر شخصية الصحفية سلام التي تمثل صورة المرأة الغزيّة الصامدة. كانت سلام تنقل للعالم تفاصيل المأساة، وتوثّق الدمار والقتل، محاولة أن تمنح صوتاً لأهل غزة وسط الرعب والظلام. الرواية لا تكتفي بسرد الأحداث، بل تبرز وجوه الحياة اليومية تحت القصف: الجوع، الخوف، تدمير البيوت والمدارس والمساجد، وفقدان الأحبة. ومع ذلك، فإنها تُظهر في الوقت نفسه صلابة الناس وإصرارهم على البقاء في أرضهم.²¹⁹ في النهاية، وعلى الرغم من أنّ الرواية تحمل اسم الرعب وتصف أهوال

217 مقالة: رواية عيسى بن مريم - أيمن العتوم، الموقع الإلكتروني: <https://8ghrb.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠/١٠/٢٠٢٥م.

218 العتوم، أيمن، رواية: الرعب، دار الغوثاني للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٢٤م.

219 العتوم، أيمن، رواية: الرعب، دار الغوثاني للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٢٤م.

الحرب، إلا أنها تحمل رسالة أمل، إذ توحى بأن الفجر لا بد أن يطلع مهما طال الليل، وأن الحياة أقوى من الموت.²²⁰

دواوينه الشعرية:

أيمن العتوم هو شاعر ماهر يتميز بإبداعه وعمق تعبيره الشعري، حيث يستطيع نقل مشاعر الإنسان بجمال وعاطفية. هذه الموهبة تجعل قصائده تترك تأثيراً عميقاً في نفوس القراء، ويستحق أيمن العتوم التقدير والاعتراف كواحد من أبرز شعراء جيله وصوت أدبي بارز في العالم العربي. وترد أدناه بعض التفاصيل عن قصائده:

نبوءات الجائعين (٢٠١٢): صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في لبنان عام ٢٠١٢م، عدد صفحاته ١١١، هو أول مجموعة شعرية قام بكتابتها الشاعر الأردني أيمن العتوم، وقد تمت كتابة معظم قصائده خلال العام الذي أمضاه في السجون. يروي العتوم في روايته *يا صاحبي السجن* قصة كتابته لهذا الديوان وكيف كان يقوم بهريب القصائد من داخل السجن.

خذني إلى المسجد الأقصى (٢٠١٣): صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في لبنان عام ٢٠١٣م، عدد صفحاته ١٣٨. في هذا الديوان الجميل يدهش الكاتب بجاذبية كلماته ووضوحها، يستعرض موضوعات تتعامل مع المسجد الأقصى، والأماكن المقدسة، ولبنان، والعراق، والأماكن الإسلامية التي تعاني من التهميش. يتنوع الديوان بين الشعر العمودي وشعر التفعيلة. وهذا الديوان هو الثالث من نوعه الذي صدر من قلم أيمن العتوم بعد ديواني *قلبي عليك حبيبتي* و*نبوءات الجائعين*. وعلى الرغم من العنوان الذي يشير إلى المسجد الأقصى، إلا أن قصائد الديوان لا تقتصر على مناقشة هذا الموضوع فقط. العتوم يأخذ القراء في جولة

²²⁰ العتوم، أيمن، رواية: *الرعب*، دار الغوثاني للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٢٤م.

شعرية تمتد من المسجد الأقصى إلى بغداد، ومن ثم إلى الأماكن المقدسة، وأخيرا يعود إلى جزيرة العرب.

يتجلى في هذا الديوان رقة الإحساس وصدق المشاعر، بالإضافة إلى التزام كبير بالمبادئ والإيمان بعدالة القضية، ويظهر بوضوح قوة الموقف والجرأة في التعبير عن الحقيقة. إنها لغة ترفع روح المثابرة وتحث على النضال، وتأسر القلوب وتحمل رسالة هامة وهوية فلسطينية. على الرغم من أن الديوان يركز بشكل كبير على قضية فلسطين ومأساتها، إلا أنه لا ينسى لبنان والعراق وعدداً من الدول العربية الأخرى.²²¹

يمكن للقارئ أن يلاحظ أن هذه القصائد ممتلئة بمشاعر الظلم والغضب وعدم الرضا عن الوضع. فقد كُتبت هذه القصائد أثناء وجود العتوم في سجون المخابرات وسجن سواقة وسجن جويده، وكان يتعرض فيها لأنواع مختلفة من التعذيب والمعاناة.²²² "وتنقسم قصائد الشاعر بين شعر عمودي وحر، وتتميز لغته بشاعريتها وعاطفتها الجميلة، يعد هذا الديوان من أشهر الدواوين الشعرية للكاتب حيث تم نشره بعد روايته يا صاحبي السجن".²²³

قلبي عليك حبيتي (٢٠١٣): صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في لبنان عام ٢٠١٣م، عدد صفحاتها ١٣٢. يصف الشاعر ديوانه على أنه يجمع بين التصوف الفلسفي والحب والحرية. إنه يقدم محاولات صوفية في عالم مليء بالمادية المغرقة ويمزج بين الروح والجسد في التعبير الشعري. ويتجلى انحيازه إلى المرأة وعالمها المسحور بشكل أكبر في هذا الديوان الشعري. يضمّ الديوان ٢٥ قصيدة، بدأت القصائد بـ (نصفان)، وانتهت بـ (احتفالية

²²¹ مقالة: الموقع الإلكتروني: نبذة عن ديوان خذني إلى المسجد الأقصى للكاتب الأردني أيمن العتوم <https://a5dr.com/wiki/ديوان-خذني-إلى-المسجد-الأقصى/> تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٥/١/٨م.

²²² مقالة: الموقع الإلكتروني: ديوان نبوءات الجائعين – أيمن العتوم، <https://a5dr.com/wiki/ديوان-نبوءات-الجائعين/> تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٥/٢/١٠م.

²²³ الخماسة، تسنيم، مراجعة ديوان نبوءات الجائعين، مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://a5dr.com/wiki/ديوان-نبوءات-الجائعين/> تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٥/٢/١٠م.

الموت)، والقصائد الواردة في هذا الديوان مكتوبة بين الأعوام ١٩٩٤م و٢٠٠٤م. أي أنه بدأ في كتابه قصائد هذا الديوان ولا يزال في الثانية والعشرين من عمره. هذا يعكس الإبداع والموهبة الشعرية الكبيرة التي كان يمتلكها في سن مبكرة وقدمها من خلال هذا العمل الأدبي الجميل²²⁴.

وصفته الصحافة الأردنية "يتميز الديوان بأنه جمع أطباقاً متعددة من الموضوعات والمضامين، فبينما احتلت المرأة نصفه الأرق، احتلّ تصوّف والوطن نصفه الأشفّ. وقد اعتمدت لغة الديوان على الشعرية المنسوجة من التراث والفكر الصوّفيّ والوشاح العشقّي".²²⁵

الزنباق (٢٠١٥): هو الديوان الشعري الرابع لأيمن العتوم، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في لبنان عام ٢٠١٣م، ويتكون من ١١٩ صفحة. يحتوي الديوان على خمسة وعشرين قصيدة، بدءاً من قصيدة "حبيتي... كيف أنسى؟!" وانتهاءً بقصيدة "سأشرب لو ملأت الكأس سما". تمت كتابة قصائد الديوان في الفترة ما بين عامي ١٩٩٥م و٢٠٠٣م. موضوع الديوان يدور بشكل رئيسي حول مفهوم الحب، واستخدم الشاعر الحبيبة كرمز في العديد من قصائد الديوان. ومن ثم، ينتقل الديوان إلى مواضيع تتعامل مع التحدي والوطنية. الشاعر يقدم في هذا الديوان قصائد تعبيرية عن مشاعر الحب والذكريات، ثم ينتقل إلى قضايا أخرى تتعلق بالتحدي والوطن. يُعتبر الديوان خالصاً للغزل العذري والعفيف، حيث يعتني الشاعر بعدم تحويل جسد المرأة إلى وسيلة للتعبير عن المشاعر، بل يركز على المشاعر الصادقة والكلمات النقية. الديوان يُظهر احتراماً عميقاً للمرأة ويتجنب الفضفضة والإسفاف في التعبير عن الحب. وقد جاء هذا الديوان ليكون قائماً على فكرة النظرة المقدسة إلى المرأة

²²⁴ مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://a5dr.com/wiki/ديوان-قلي-عليك-حبيتي-أيمن-العتوم/> تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٥/٠٢/٠٢م.

²²⁵ مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://www.rwaiaty.com/ديوان-قلي-عليك-حبيتي/> تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٥/٠٣/١٢م.

ويظل في إطار أدبي نقي. يتنوع الديوان بين القصائد العمودية وقصائد التفعيلة، مما يضيف تنوعاً وعمقاً إلى محتواه.²²⁶

طيور القدس (٢٠١٦): هو الديوان الشعري الرابع لأيمن العتوم، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في لبنان عام ٢٠١٦م، ويتكون من ١٢٦ صفحة. يعتبر عملاً أدبياً يحمل رسالة وطنية قوية. يعكس هذا الديوان الحماسة الوطنية والاهتمام بقضية فلسطين والمسجد الأقصى. وهي قضايا تثير مشاعر الكثيرين في العالم العربي والإسلامي.²²⁷

تشابه بين طيور القدس وخذني إلى المسجد الأقصى يعكس تركيز الشاعر على هذين الموضوعين المهمين. يبدو أنه يستخدم الشعر كوسيلة للتعبير عن حبه وانتمائه للمسجد الأقصى ولقضية فلسطين بشكل عام. تحمل هذه القصائد رسالة وطنية تهدف إلى نشر الوعي بقضية فلسطين وأماكنها المقدسة بين القراء والمستمعين، مستخدمةً الشعر والألفاظ الشعرية لإيصال الرسالة بأسلوب فني وعاطفي يثير الشعور الوطني. ويعبّر الشاعر عن شوقه إلى زيارة المسجد الأقصى والوقوف إلى جانب فلسطين وشعبها. كما تسهم هذه الأعمال في تعزيز الوعي الوطني والثقافي، وتشجّع على التفكير في القضايا الوطنية والاجتماعية. وهي تعكس الدور الهام للأدب والشعر في تشكيل الوعي والتأثير على المجتمع.²²⁸

مسرحياته:

المشردون: عام ١٩٨٩م (غير منشورة)، هي مسرحية شعرية تتحدث عن المشردين المهجرين من فلسطين بسبب النكسة. وصوّر الكاتب في هذا معاناة الشعب الفلسطيني واللاجئين.²²⁹

²²⁶ مقالة: الموقع الإلكتروني: ديوان الزنايق-أيمن العتوم، الموقع: <https://a5dr.com/wiki/رواية-الزنايق/> تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٥/٠٢/١م.

²²⁷ العتوم، أيمن، ديوان: طيور القدس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٦م.

²²⁸ ديوان طيور القدس-أيمن العتوم، الموقع الإلكتروني: <https://a5dr.com/wiki/ديوان-طيور-القدس/> تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٥/٠٢/١٠م.

²²⁹ اتصال شخصي مع أيمن العتوم، واتساب، ٢٠٢٣/١/١٠م.

مملكة الشعر: عام ٢٠٠٢ م (غير منشورة)، تدور أحداثها في العصر العباسي تتحدث عن حياة المتنبي وعلاقته بالأمراء، وكيف واجه الحاسدين في بلاط سيف الدولة مثل ابن خلويه وأبي فراس الحمداني، وهي تلقي الضوء على جانب من حياة المتنبي.²³⁰

أعماله المخطوطة:

- بوراق الفجر (ديوان شعر)، عام ١٩٨٩ م.
- البيارق (ديوان شعر) قصائد في الحرية والمقاومة والوطنية، عام ١٩٩٥ م.
- الأقمار: (ديوان شعر) قصائد في الشهداء والراجلين، عام ١٩٩٨ م.
- مملكة الشعر: (مسرحية نثرية)، عام ٢٠٠٢ م.
- مدينة لا تموت (مسرحية نثرية)، عام ٢٠١١ م.

²³⁰ اتصال شخصي مع أيمن العتوم، واتساب، ١٠/١/٢٠٢٣ م.

الفصل الثالث: المقابلة المباشرة مع الكاتب أيمن العتوم

يتناول هذا الفصل تقرير المقابلة المباشرة التي أجراها الباحث مع الكاتب أيمن العتوم حول تجربته في السجن واستجلاء ملامح تجربته في الكتابة بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٠٦ م في الفترة الصباحية من الساعة ٧:٣٠ إلى ٩:٢٠ في منتجع راويس كاداوو بكالكوت. وقد كانت المناقشة مثمرة وغنية بالمعلومات والتحليل الأدبي والفكري، وجاءت في إطار دراسة الرواية وتجربة الكاتب السجنية.

يهدف هذا الفصل إلى تقديم تفاصيل الحوار بين الباحث والكاتب، حيث شمل أسئلة الباحث وإجابات أيمن العتوم حول روايته *يا صاحبي السجن*، وخلفية اعتقاله، وتجربته في السجن، والأثر الذي تركته هذه التجربة على أعماله الأدبية. كما يسلط الضوء على وجهة نظر الكاتب في قضايا السجن، والكتابة، والتأثيرات الثقافية والفكرية التي شكلت تجربته الإبداعية.

1. الباحث: إذا تنعى أيمن العتوم - الكاتب المشهور الذي فقد جزءا من شبابه ظلما خلف قضبان السجون الأردنية، وعانى الكثير، وسالت دموعه، وهو الوطني الذي سُجن بسبب كتاباته الداعمة للفقراء وشعره - عن كل أعماله الأدبية ورواياته وقصائده، فكيف تصف نفسك؟

الكاتب: أنا من يحب الفلاسفة والحكمة. ومواطن يهتم بمشاكل الناس، وينتصر للمستضعفين وضد الظلم. ولدي هدف واضح، أكتب لتحقيق هذا الهدف. مشروع يدرّس دور الإنسان، وأسعى من خلال كتاباتي إلى نشر القيم الإنسانية الجميلة باستخدام الكلمات.

2. الباحث: كيف بدأت رحلتك الأدبية؟ وما سبب شهرتك الواسعة؟

الكاتب: بدأت الكتابة من مكتبة والدي، فقد كنت أقرأ منذ أن كان عمري أربع سنوات. رغم أنني درست الهندسة، إلا أن القراءة ساعدتني على تنمية موهبتي. شهرتي جاءت لأن ما أكتبه يلامس قلوب الناس جميعاً، والقراءة هي التي عمّقت تجربتي في الكتابة.

3. الباحث: كيف انتقلت من مجال الهندسة إلى عالم الأدب والكتابة؟

الكاتب: صحيح أنني درست الهندسة، لكن قلبي كان دائماً مع اللغة والأدب. كنت شغوفاً بالقراءة، وهي التي شكّلت تجربتي الأدبية. لم أشعر يوماً أنني أنتهي لعالم الأرقام، بل كنت دائماً قريباً من الكلمة والمعنى، ولهذا وجدت نفسي في الأدب وتبعته.

4. الباحث: في مقالاتك، تحدثت عن سبب كتابتنا. لمن تكتب، وما هو الدافع وراء كتابتك؟

الكاتب: نكتب لنخفف الألم بداخلنا... الكتابة رسالة... وهي شفاء من أوجاع الذكريات... والكتابة خلود. أكتب لكل الناس، لا لفئة محددة... وإذا أردت أن تكتب كتاباً، فعليك أن تقرأ مئة كتاب.

5. الباحث: كيف انتقلت من الشعر إلى الرواية؟ وهل ترى فرقاً بينهما في الأسلوب والخيال والصورة؟

الكاتب: بدأت القراءة في سن مبكرة، وكتبت القصة القصيرة أولاً، ثم الشعر في سن الحادية عشرة. استمر عشقي للشعر ربع قرن حتى الأربعين، حين قررت كتابة تجربتي في السجن (١٩٩٦م-١٩٩٧م) في نص نثري. الناشر رآه رواية، فكانت *يا صاحبي السجن* بداية دخولي عالم الرواية عام ٢٠١٢م. الرواية انتشرت بسرعة، وتفوقت على شعري، فمال قلبي إليها. الشعر غضب مني، وابتعد عني أكثر من عشر سنوات، لم أكتب فيها إلا قليلاً، لكنه عاد إلي مؤخراً، عودة حذرة ومترقبة.

6. الباحث: لماذا تكتب؟ ولمن تكتب؟

الكاتب: أنا أكتب لأنني لا أستطيع أن أعيش دون الكتابة. هي ليست مجرد هواية عندي، بل هي جزء من روحي وقلبي. حين أكتب، أشعر أنني أتنفس بشكل مختلف، وأني أقترّب من نفسي أكثر. الكتابة بالنسبة لي وسيلة لفهم نفسي، وفهم هذا العالم الذي نعيش فيه، وهي طريقة للتعبير عمّا في داخلي من مشاعر وأفكار لا أستطيع أحياناً أن أشرحها بالكلام العادي. أكتب لأفرّغ الألم، أكتب لأحكي عن الفرح، عن الحزن، عن الخوف، عن الظلم، عن الحلم، عن الحياة. أما لمن أكتب؟ فأنا لا أوجّه كتابتي لفئة معينة، لا أكتب للنخبة فقط، ولا للقراء المتخصصين فقط. أكتب لكل إنسان يشعر أن ما يقرؤه يشبهه. أكتب لكل من يقرأ ويشعر أنني أتكلّم عنه، عن ألمه، عن قلقه، عن حياته. باختصار: أكتب للإنسان، كلّ إنسان.

7. الباحث: كيف يضمن الكاتب ألا يكرّر نفسه مع غزارة الإنتاج؟

الكاتب: بالتركيز على القيم الإنسانية الخالدة (كالحرية والعدالة والكرامة) التي تتجدد دائماً ولا تموت، إضافة إلى القراءة المستمرة والاطلاع على التجارب المختلفة التي تجدد فكر الكاتب وأسلوبه.

8. الباحث: كيف اكتسبت لغتك الثرية؟

الكاتب: حفظت أكثر من ١٥ ألف بيت شعري، إضافةً إلى القرآن والأحاديث والخطب. فكان لذلك أثرٌ كبيرٌ في ثراء لغتي وقوة تعبيرتي.

9. الباحث: هل تُفضّل القراءة الرواية على الشعر حقاً؟

الكاتب: نعم، فالرواية تمتاز بسهولة متابعتها من حيث السرد والإثارة، كما تتيح للقارئ أن ينعكس فيها من خلال الشخصيات والأحداث.

10. الباحث: هل أصبحت الرواية العربية عالمية، وماذا يلزم لتطويرها؟

الكاتب: يمكننا بلا شك الحديث عن الرواية العربية ككيان متميز. فالروائي العربي لا ينقصه شيء يميزه عن نظرائه عالمياً، سواء في الخيال الخصب، أو العاطفة الجياشة، أو اللغة الغنية

والشاعرية التي تتلاعب بالمشاعر، أو الأسلوب المتفرد كما شهدنا في أعمال نجيب محفوظ وعبد الرحمن منيف، ولا حتى التقنيات الروائية التي أصبحت متاحة للجميع. لتطويرها، يجب أن نأخذ عملنا بجدية أكبر، وأن نثق بقدراتنا على الإبداع. إننا نظلم أنفسنا عندما نقلل من شأن الروائي العربي. تقع المسؤولية علينا لتعزيز روايتنا، وهذا يتطلب أولاً الثقة بالنفس، وثانياً توطيد ثقافة قويا عبر النقد البناء والترجمة الاحترافية، وهو ما نفتقر إليه حالياً بشكل كبير.

11. الباحث: هل تكتب الرواية لكي ترضي الناس؟

الكاتب: ليس هدف كتابة الرواية أن نجعل الناس سعداء أو أن نحاول فعل ذلك، مع أن سعادة الناس أمر جيد ومحبوب، لكنها ليست الهدف الأساسي للكاتب الحقيقي. فالناس عادةً يتأثرون بالأشياء الحالية والمؤقتة، أما الكاتب الذي يحترم الفكرة ويؤمن بها، فإنه يكتب ما يبقى أثره، لأن الفكرة لا تموت بمرور الوقت وتغير الأجيال. فالمواضيع المهمة مثل الحرية والعدل والحق تبقى حية دائماً، ولهذا فإن النص الذي يتحدث عنها يعيش طويلاً ويبقى في الذاكرة.

12. الباحث: تستخدم الكثير من الاقتباسات من الآيات القرآنية في عناوين رواياتك ومحتواها- لماذا؟

الكاتب: القرآن الكريم نص يتعلق بالبشرية جمعاء... وقد نزل لكل الناس... فاللغة الإنسانية الشاملة في القرآن هداني... أرغب أن يكون لكتابي تأثير فريد، لأن القرآن نص خالد وذو إعجاز.

13. الباحث: ما هي أهم الأخطاء التي تفعلها نقاد الروايات العربية؟

الكاتب: في رأيي، أن كثيراً من نقاد الرواية العربية وهم أسقطوا كل ما جاء في الرواية الغربية على الرواية التي نكتبها، فصاروا يقولون إن أي رواية لا تسير على نهج الرواية الغربية هي رواية ضعيفة أو لا تنتمي إلى جنس الرواية، ويعتبرون أن أي مخالفة لقواعد الرواية الغربية

خطأ يُنتقد عليه الكاتب. أنا لا أعتز بهذا النوع من النقد، لأن هؤلاء النقاد انجروا تماما خلف الرواية الغربية، ولم يضيفوا شيئا خاصا أو جديدا للرواية العربية. وكأن الرواية الغربية أصبحت المقياس الوحيد للرواية. لكن أنا أقول: لا بد أن يكون عندنا قواعد خاصة بنا، لأن الرواية بنت اللغة التي تُكتب بها، وحين تكتب رواية بلغة معينة، فإن هذه اللغة تفرض عليك شكل الرواية وطريقتها. واللغة العربية مختلفة تماما عن اللغة الإنجليزية أو الفرنسية، لأنها غنية بالبيان والبلاغة والإيقاع، ولهذا الرواية العربية من حقها أن تكون مختلفة في الشكل والمضمون، ولا يجب أن تكون نسخة مكررة من الرواية الغربية.

14. الباحث: هناك العديد من الروائيين، بمن فيهم أنت، يصنف النقاد أعمالهم تحت تصنيفات

مثل "رواية إسلامية" أو "أدب السجون" بناءً على محتواها، ما هو رأيك في ذلك؟

الكاتب: التصنيف هو نوع من التعليب، والتعليب يعني التلف؛ الأمر أشبه بوضع الفكرة في علبة مغلقة، وإذا وضعت الفكرة داخل العلبة فإنها تختنق وتموت، وتموت معها الفكرة التي تحاول إيصالها. أنا بشكل عام ضد التصنيف؛ لأنه يقف عائقاً بيننا وبين الكتابة. عندما صُنفت بعض رواياتي على أنها "أدب السجون" لم يعجبني ذلك، لأن هذا التصنيف يُلقي بظلال من التحيزات على العمل، وسيقرأه القارئ من داخل أطر محددة سلفاً، وكذلك لم يعجبني تسمية "رواية إسلامية"، فهذا أيضاً تصنيف خاطئ، وقد يخلق عائقاً بيننا وبين القراء، فالرواية كائن حي حر، وإذا وضعنا هذا الكائن في قفص فسيصبح مقيداً.

15. الباحث: ما ردك على مَنْ يقول إنّ لغتك متشابهة ومكررة؟

الكاتب: لكل كاتب أسلوبه الخاص. لقد تأثرت بالنغمات القرآنية. هذا الأسلوب ربما بالغت في روايتي حديث الجنود، لكن هذا أفضل من أن يكون الإنسان بلا هوية متفردة. فكما أنك تعرف قصيدة لنزار قباني من أول بيتها، يجب أن يكون للكاتب بأسلوبه الذي يميزه.

16. الباحث: كيف تصف أسلوبك في الكتابة، وما مدى تأثيره على القراء وخاصة الشباب؟

الكاتب: أسلوبِي يمزج بين البلاغة والشعرية والوضوح. أحب أن تكون اللغة سهلة القراءة، لكنها في الوقت نفسه تُحدث العقل والقلب. أحيانًا أستخدم موسيقى اللغة وروح الشعر، لكن المقصود منها أن يتوقّف القارئ ويتأمل، لا أن يختبئ وراء كلمات معقدة لا يفهمها. وهذا الأسلوب يجعل الرواية قريبة من الشباب، الذين يريدون القراءة بلغة راقية وسهلة في الوقت نفسه.

17. الباحث: لماذا اخترت شخصية النبي يوسف (ع) في رواية *أنا يوسف*؟

الكاتب: اخترت النبي يوسف عليه السلام لأنه يمثل نموذجًا رائعًا للإنسان الذي يمرّ بابتلاءات شديدة، لكنه لا يفقد الأمل ولا ينهار. قصّته مليئة بالصبر والثقة بالله، وكنتُ أريد أن أظهر هذا الجانب الإنساني في الرواية. لم أركّز فقط على الأحداث الكبرى في حياته، بل حاولت أن أدخل القارئ إلى أعماق نفس يوسف، أن يعيش معه مشاعره، وأفكاره، وخوفه، وأمله. بالنسبة لي، كانت تجربة الكتابة عن النبي يوسف عليه السلام تجربة روحية وعاطفية عميقة، لأن فيها دروسًا كثيرة عن الحياة والابتلاء والصبر.

18. الباحث: كيف بدأت فكرة كتابة رواية *يا صاحبي السجن* التي تُعدّ من أبرز أعمالكم؟

الكاتب: في عام ٢٠١٢م، شعرت بأن تجربتي في السجن بين عامي ١٩٩٦م-١٩٩٧م لا بد أن تُروى. لم أكن أعرف تمامًا ما الذي أكتبه، كنت أكتب نصًا نثرًا فيه شيء من التأمّلات، والاعترافات، واليوميات، وربما شيئًا من السيرة الذاتية. لم أكن أظن أنه سيكون رواية. وحين عرضت النص على الناشر، قال لي: هذا نص سردي، يصلح أن يُنشر كرواية. فوافقت، وصدر بعنوان *يا صاحبي السجن*. ومن هناك بدأت رحلتي مع الرواية.

19. الباحث: ما أسباب اعتقالكم، وما الظروف التي رافقت ذلك؟

الكاتب: لقد تعرّضتُ للاعتقال أكثر من ست مرات بسبب كتاباتي، وكان أبرزها ما حدث بعد صدور روايتي حديث الجنود. عقب مشاركتي في برنامج "خارج النص" على قناة الجزيرة، أثير الجدل من جديد حول الرواية، واتُّهمت بالإساءة للشعور الديني ولمؤسسات الدولة. لم يتم إخباري مسبقاً بأي تهمة، بل تم إيقافني في الشارع وأُخذتُ إلى مركز أمني، وهناك عرفت أنني مُدان غيابياً من دون أن أُستدعى لأي جلسة قضائية. طُلب مني دفع غرامة ٥٠٠٠ دينار، وإلا سيتم سجنني. في ذلك الوقت، كتبت منشورا قلت فيه: أن تكون كاتباً في الوطن العربي يعني أن تُعامل كمجرم. ولم تكن هذه هي المرة الأولى، فقد تم اعتقالني سابقاً بسبب قصائدي، كما مُنعت من العمل في المؤسسات الحكومية والسفر خارج البلاد لأكثر من عشرين سنة، رغم أنني كنت الأول في جميع المراحل الأكاديمية. ومع ذلك، لم أتخلَّ عن الكتابة، لأنني أؤمن أن الكلمة الحرة تستحق أن ندفع ثمنها، ولو كان الثمن حريتنا.

20. الباحث: وما ردك على من يقول إنك اعتقلت لأنك "أطلت اللسان"؟

الكاتب: بدأت الرواية بحدوث الاعتقال مباشرة بعد حضوري ندوة شعرية، دخلوني السجن فجأة وبدون إنذار، بقيت فترة طويلة دون أن أعرف التهمة. حُكِّموا عليّ بحوالي ثمانية أشهر، وهي كانت بمثابة بداية الطريق لتجربة حياة قلبت حياتي.

21. الباحث: كيف أثر السجن في حياتك؟ وما هو الشيء الجيد الذي رأيته فيه؟

الكاتب: كان السجن وتجربته صعباً وفيه انتظار طويل ووجع، لكنني حاولت أن أنظر إليه بطريقة فيها فائدة، قرأت كتبا كثيرة لم أكن قرأتها من قبل، وتعرفت على ناس وأفكار جديدة. حولت السجن إلى تجربة جيدة وغيّرتني وكتابتي كثيراً.

22. الباحث: ما سبب اختيارك لعنوان يا صاحبي السجن؟

الكاتب: العنوان مأخوذ من الآية الكريمة على لسان يوسف عليه السلام: يا صاحبي السجن...، وقد وجدتُ فيه قرباً من الحالة النفسية التي كنا نعيشها في الزنزانة. كان لي أصحاب هناك، أنا وأصحابي كنّا نعيش في الوجد سويًا، فكان العنوان صادقاً ومناسباً.

23. الباحث: لماذا حولت تجربتك في السجن إلى رواية بعد أن كتبت عنها شعراً؟

الكاتب: في البداية كتبت عن السجن في ديوان شعري اسمه نبوءات/ الجائعين، لأنّ الشعر كان أقرب إليّ حينها، وكنت أعيش الألم وقتها. لكن بعد سنوات، شعرت أن الرواية يمكن أن تُعبّر أكثر، وتصل إلى عدد أكبر من القراء. الرواية تسمح لي بأن أشرح وأفصّل وأروي الحكايات كما عشتها. أما الشعر، فرغم جماله، فهو صعب أحياناً ولا يفهمه الجميع. لذلك كتبت يا صاحبي السجن بالنثر، لأنها تعبّر عن التجربة بشكل أوسع وأسهل.

24. الباحث: كيف أصبحت تجربة السجن مصدر إلهام لك؟

الكاتب: السجن مكان صعب ومؤلم، لكنّي لم أتركه يهزمي. بالعكس، استغلّيت الوقت هناك للقراءة والتعلّم. قرأت كتباً كثيرة، وتعرفت على أشخاص لديهم أفكار وتجارب مختلفة. رغم الألم، شعرت أنني أتعلّم وأتغيّر من الداخل. هذا ما جعلني أكتب الرواية، لأظهر أن الإنسان يمكنه أن يحوّل الألم إلى أمل، وأن يصنع من السجن فرصة للنمو بدل أن يكون نهاية الطريق.

25. الباحث: تستمر رواية يا صاحبي السجن محط نقاش حتى بعد صدورها بعدة سنوات-لم؟

الكاتب: عندما نُشرت الرواية، تم منعها في البداية، لكنها بعد ذلك لاقت إقبالاً كبيراً، ونفدت نسخها بسرعة. أعتقد أن السبب هو أنها تتكلم عن قضية قريبة من الناس، وهي الحرية. كتبها بلغة فيها شعروالم وصدق، لذلك شعر كثير من الناس أنها تمثّلهم. ولهذا السبب، بقيت الرواية محبوبة ويتكلم عنها الناس حتى اليوم.

26. الباحث: كيف غيّرتك تجربة السجن؟

الكاتب: السجن من أصعب التجارب التي مررت بها في حياتي. هو عذاب حقيقي، وموت بطيء، وانتظار لا نهاية له. فيه اشتياق كبير، وفيه دموع كثيرة، وفيه شعور مستمر بالوحدة والقلق. لكن رغم هذا، لم أترك السجن يكسرني. من اللحظة الأولى، قلت لنفسي: "إمّا أن أعيش هذه الأيام في الحزن والضيق، أو أستفيد منها". فاخترت أن أستفيد. بدأت أقرأ، قرأت مئات الكتب داخل الزنزانة، أكثر مما قرأته طوال عشر سنوات من حياتي. التقيت بأشخاص من أفكار وتيارات مختلفة، وتعلّمت منهم، وفهمت كثيرًا من الأمور التي كنت أجهلها. السجن لم يكن لي فقط مكانا للعقاب، بل صار مدرسة كبيرة، علّمتني الكثير عن الناس، وعن نفسي، وعن المجتمع. ولهذا حين خرجت، قررت أن أكتب "يا صاحبي السجن" لأروي للناس أن السجن يمكن أن يكون بداية، لا نهاية.

27. الباحث: لماذا كتبت عن شخصيات مختلفة في رواية يا صاحبي السجن؟

الكاتب: حين كنت في السجن، لم أكن وحدي. كنت واحدا من مئات، بل آلاف، ممن مرّوا بتجربة السجن، وكلّ واحد منهم كان يحمل في داخله قصة مؤلمة، وربما أغرب من الخيال. هناك من كان سجيناً بسبب فكر، وآخر بسبب موقف، وآخر بسبب خطأ لم يرتكبه. وجدت نفسي أمام تنوّع إنساني كبير: سلفيون، شباب من جماعات إسلامية، أشخاص من أحزاب سياسية، فقراء، مثقفون، أناس من كل أطراف المجتمع. ولم أشأ أن أكتب فقط عن نفسي، بل أردت أن أكتب عنهم أيضاً. لأن السجن ليس حكاية فردية فقط، بل هو حكاية جماعية، ولكلّ سجين فيه زاويته وصوته. لذلك، رواية يا صاحبي السجن لم تكن مجرد قصة واحدة، بل روايات كثيرة التقت في كتاب واحد، ووجوه كثيرة عاشت خلف الجدران نفسها.

28. الباحث: ما الذي يجعل رواية يا صاحبي السجن مميزة عن غيرها من روايات أدب السجون؟

الكاتب: ما يجعل رواية يا صاحبي السجن مختلفة هو أنها كتبت من قلب التجربة، ومن داخل الزنزانة. لم أكتبها كخيال، ولم أسمع الحكايات من غيري، بل عشتها يوماً بيوم، ووجعا بوجع.

ما كتبته هو ما شعرت به، وما رأيته، وما عشته بكل تفاصيله. استخدمت لغة قريبة من الشعر، لأنني في الأصل شاعر، ولأن اللغة الجميلة تساعدني في أن أوصل الإحساس للقارئ بشكل أعمق. لم تكن الرواية مجرد سرد لأحداث، بل كانت رحلة شعورية وروحية أيضاً. كما أنني لم أركز فقط على تجربتي، بل نقلت تجارب من كانوا معي، وهذا أعطاها عمقاً وتنوعاً. القارئ يجد فيها أكثر من شخصية، وأكثر من قصة، وكل واحدة تعبر عن وجه من وجوه السجن، ووجه من وجوه الحياة. لذلك أعتقد أن الرواية استطاعت أن تصل إلى قلوب القراء، لأنها صادقة وبسيطة، وفيها من الحقيقة ما يجعلها قريبة من الناس.

29. الباحث: أنت بدأت روايتك يا صاحبي السجن بذكر يوميات السجن-لم؟

الكاتب: في روايتي، بدأت الحديث من اليوم الأول لدخولي السجن، لأنني شعرت أن هذا هو المكان الصحيح الذي يجب أن يبدأ منه القارئ. السجن لا يشبه أي مكان آخر، والوقت فيه لا يمر بشكل طبيعي. الدقيقة هناك قد تبدو كأنها ساعة، والساعة كأنها يوم كامل. لذلك، حاولت أن أنقل هذا الإحساس للقارئ من البداية، ليعيش معي هذه التجربة بكل تفاصيلها. أردت أن أشعره أن كل يوم في الزنزانة هو حياة كاملة وحده، بما فيه من خوف وانتظار وتفكير وألم. فكان لا بد أن أبدأ من هناك، من اليوم الأول، من الزنزانة الأولى، ومن اللحظة التي أغلق فيها الباب عليّ. يوميات السجن ليست مجرد أحداث، بل هي مشاعر وإنسانية وثقلٌ داخلي لا يُنسى.

30. الباحث: كيف استطعت الحفاظ على كرامتك واحترامك لنفسك في السجن رغم القسوة؟

الكاتب: السجن مكان يحاول فيه البعض أن يسلب كرامتك، أن يجعلك تنسى أنك إنسان لك قيمة. كثير من السجناء، مع الوقت، ينهارون داخلياً ويقبلون الإهانة وكأنها شيء عادي. لكنني قررت منذ اللحظة الأولى ألا أفقد احترامي لنفسي، لأنني إن فقدته، فلن يبقى شيء مني. قلتم بوضوح: "أخطر ما في السجن أن تفقد احترامك لذاتك، وتقبل الصفعة على أنها قبلة."

كنتُ أذكر نفسي دائماً أنني لستُ أقل شأناً من أحد، وأن الكرامة لا تُؤخذ بالقوة وحدها، بل بالموقف، بالصبر، وبالإيمان بالحق. كنت أقاوم بصمتي أحياناً، وبكلمتي أحياناً أخرى، وأحاول أن أبقى رأسي مرفوعاً حتى عندما كنت أنام على الأرض. هذا ما أنقذني من الانهيار، وما جعلني أخرج من السجن بنفس النفس الذي دخلت به، بل ربما أقوى.

31. الباحث: هل وجدت في تجربة السجن فرصة للتأمل والقراءة والكتابة؟

الكاتب: نعم، رغم أن السجن كان في ظاهره مكاناً للقيود والضييق والمعاناة، لكنه من الداخل فتح أمامي أبواباً جديدة لم أكن أراها من قبل. كنت أملك الوقت، ولم يكن لدي شيء أفعله سوى أن أقرأ، وأن أكتب، وأن أفكر. اكتشفت أن القراءة تمنحني القوة، وأن الكتاب يحملني خارج الجدران، ويدخلني في عوالم أخرى، بعيدة عن العزلة والظلمة. كنت أقرأ كل ما يقع تحت يدي: فلسفة، تاريخ، أدب، روايات، كتب فكر. كنت أشعر أن القراءة تغذي، وتعيد تكويني. أما الكتابة، فقد كانت صوتي الداخلي، كنت أكتب لأبقى حيّاً، لأفهم نفسي، ولأقول للعالم إنني ما زلت موجوداً. السجن حرمني من أشياء كثيرة، لكنه منحني فرصة أن أرى ذاتي من الداخل، وأن أعبر عنها بطريقة لم أكن لأفعلها في الخارج.

32. الباحث: في رواية *يا صاحبي السجن*، التقيت بشخصيات بارزة مثل الشيخ عطا في نفس

الزنزانة - كيف أثر ذلك في تجربتك؟

الكاتب: أنا عشت تجربة فريدة أثناء وجودي في الزنزانة رقم ١٢، حيث التقيت بشخصيات لم أكن أتوقع أن أراها هناك. مثلاً، كان معي الشيخ عطا أبو الرشته، الذي كان زعيماً لحزب التحرير في الأردن. كان رجلاً محترماً، رائع الشخصية، يتعامل مع الجميع بحب وتواضع، ولم يكن يملك سوى كلمة صادقة ولباسه الهادي. ذكرى لهذه الوجوه لم يكن فقط لمشاركة القصة، بل لأنّ مشهدنا معا داخل القيد أعطاني معنى أعمق: السجن يلتقي فيه المختلفون، فلا تفرّق بين سياسي وآخر، بين إسلامي ويساري، بل يجتمعون كأشخاص يعيشون واحدة

من أصعب لحظات الحياة. حضور الشيخ عطا وسطنا علّمني معنى الأخوة الحقيقية، كيف ينخرط الجميع داخل الزنزانة في عوالم فكرية وثقافية. وعندما أذكر ذلك في الرواية، ليس لأمدّ اسمًا لأسجل تاريخًا، لكن لأقول: هذا المكان كان مدرسة إنسانية، لم نفقد فيها الكرامة أو الفهم، بل زرعنا فيها قيمة اللقاء والتعارف رغم الاختلاف.

33. الباحث: هل تعتبر يا صاحبي السجن رواية خيالية أم وثيقة شخصية؟

الكاتب: الرواية ليست خيالية بالكامل، ولا هي مذكرات شخصية بالمعنى الحرفي. هي مزيج بين الواقع والتخييل. كثير من أحداثها وشخصياتها حقيقية، عشتها بنفسني أو سمعتها داخل السجن، لكن طريقة سردها جاءت بروح أدبية. لم أكن أريد فقط أن أسجل وقائع، بل أن أقدم تجربة إنسانية تلمس القارئ، وتجعله يشعر بأنه جزء منها. لذلك، استخدمت أدوات الرواية في بناء المشاهد، وتقديم الشخصيات، وربط الأحداث. أعتقد أن الأدب الحقيقي لا ينقل فقط ما حدث، بل كيف حدث، ولماذا ترك هذا الأثر. «يا صاحبي السجن» هي في نظري شهادة روحية وفكرية عن عالم مظلّم، لكن فيها شعلة مضيئة، أرادت أن تصل إلى القارئ بكل صدق.

34. الباحث: ماذا تقول اليوم لكل من يعيش تجربة السجن، أو مرّ بها؟

الكاتب: أقول له أولاً: لا تفقد الأمل. السجن مؤلم، نعم، لكنه ليس نهاية الطريق. قد يقيد جسدك، لكن لا يستطيع أن يقيد عقلك، ولا قلبك، ولا أحلامك. استخدم هذا الوقت لتقرأ، لتكتب، لتفكر. لا تسمح لليأس أن يدخل قلبك، ولا تستسلم للضعف. اجعل من السجن فرصة لتتعلم شيئاً جديداً، لتعرف من أنت، ولتخرج منه إنساناً أقوى مما كنت. لا أحد يستطيع أن يقتل روحك ما لم تسمح له بذلك. أنا مثلك، مررت بكل ما تمرّ به، بكيت، وتألّمت، وخفت، لكنني اخترت أن أكون أقوى من سجنني، وأن أخرج من بين جدرانها كتاباً يتحدث عنّا

جميعاً. كن أنت صوتك، ودوّن تجربتك، حتى لو لم تنشرها، المهم أن تبقى صامداً، واعياً، وإنساناً.

35. الباحث: كيف تعتبر روايتك يا صاحبي السجن مذكرات أم رواية؟

الكاتب: أردت توضيح أن يا صاحبي السجن ليست مذكرات بالمعنى التقليدي، لكنها أيضاً ليست رواية خيالية. هي بينهما، قريبة من السيرة الذاتية، لكنها تنفتح على الآخرين. فيها جزء عن تجربتي الشخصية، لكنها تضم صوت السجناء الآخرين، وتدخل في عمق عوالمهم. أي أنها نوع أدبي يُسمّى "رواية تجربة"، وليست مؤسسة على حدث واحد أو سياق واحد.

36. الباحث: هل شعرت بنوع من الرقابة أو المنع في الأردن أو غيرها؟

الكاتب: «نعم، تعرّضت بعض أعمالي الأدبية للتضييق والمنع، خاصة رواية حديث الجنود التي أثارت جدلاً واسعاً في الأردن، كما واجهت بعض رواياتي الأخرى رقابة متفاوتة بسبب جرأتها السياسية والفكرية، مثل يا صاحبي السجن ويسمعون حسيها. لكنني أؤمن أن الرواية الصادقة لا يمكن أن تُمنع من الوصول إلى الناس. فقد تُصادر من معرض أو تُحجب فترة، لكنها تبقى حيّة في وعي القراء. الكاتب الحقيقي لا يكتب لإرضاء السلطة أو الرقابة، بل ليعبّر عن الإنسان وقضاياها، ولذلك فإن الكلمة الحرة لها ثمن في عالمنا العربي.

37. الباحث: ما هو المضمون العميق الذي أردت أن توصله من خلال روايتك يا صاحبي السجن؟

الكاتب: رواية يا صاحبي السجن ليست فقط حكاية عن الزنزانة، بل هي شهادة على الإنسان حين يُوضع في أقسى الظروف، كيف يحافظ على كرامته، وكيف يحوّل الضيق إلى فسحة داخلية من الفكر والإيمان. كتبت هذه الرواية لأقول إن الحرية لا تبدأ من بوابة السجن، بل تبدأ من داخل القلب والعقل. حين تُسلب منك الشمس والهواء، لا يزال لديك الحبر والورق، لا تزال تملك أن تحلم وتكتب وتقرأ. أنا لا أكتب لأشتكي، بل أكتب لأظهر أن الروح حين تُضيء، لا يستطيع السجّان أن يطفئها. كنت أرى في السجن لحظة اختبار كبرى: هل أكرس، أم أرتفع؟

فاخترت أن أرتفع. الرواية جاءت لتقول إن داخل كل جدار هناك قصة، وداخل كل سجين هناك فكر، وداخل كل لحظة قهر هناك ومضة أمل.

38. الباحث: لماذا استخدمت في رواية *يا صاحبي السجن* لغة الشعر رغم أنها رواية نثرية؟

الكاتب: أنا شاعر قبل أن أكون روائيًّا، واللغة الشعرية تسكنني، فهي جزء من إحساسي، وهي الوسيلة التي أعبرُ بها عن مشاعري العميقة. عندما بدأت كتابة *يا صاحبي السجن*، لم أضع في بالي أن أفصل بين النثر والشعر بشكل صارم. كنتُ أكتب ما أشعر به، وكانت اللغة تأتي من داخلي، بلونها الشعري وموسيقاها الخاصة. لم أقصد أن أزيّن النص أو أصعّبه، بل أردت أن تكون اللغة قوية ومعبرة وصادقة، تنقل الألم والمعاناة، وتصل إلى قلب القارئ وعقله. الشعر يمنح الكلمة طاقة شعورية، ويمنح الجملة روحًا، ولذلك جاءت كثير من المقاطع في الرواية محمولة على إيقاع داخلي يشبه الشعر. أوّمن أن الرواية ليست فقط سردًا للأحداث، بل هي أيضًا وسيلة للتأمل.

39. الباحث: سمعتُ أنّ أكثر قراء رواياتك شباب خاصة رواية *يا صاحبي السجن* ما سببه؟

الكاتب: أعتقد أن الشباب يقبلون على رواياتي لأنني أكتب بلغة قريبة منهم. لا أستخدم كلمات صعبة أو بعيدة عن واقعهم، بل أختار ألفاظًا بسيطة لكنها عميقة. أنا أحكي عن مشكلات حقيقية، وعن معاناة يشعرون بها، مثل الظلم، القمع، والسجن. هم يجدون أنفسهم في هذه القصص. وفي نفس الوقت، أحاول أن أشعل فيهم الأمل والقوة. الشباب يحبون أن يقرأوا ما يشبههم، وما يُشعرهم أن هناك من يفهمهم ويكتب عنهم. لذلك وصلت رواياتي إلى طبقات كثيرة، وأصبح لي جمهور كبير من القراء الشباب.

40. الباحث: هل تعرضت روايتك *يا صاحبي السجن* للمنع أو الرقابة بسبب ما جاء فيها من

شخصيات وأحداث سياسية؟

الكاتب: نعم، تعرّضت الرواية للمنع المؤقت في الأردن بعد صدورها. السبب الرئيسي كان أنها تتحدث عن شخصيات سياسية حقيقية ومعروفة، وذكرتها بأسمائها، كما تحدثت عن وقائع حقيقية عشتها بنفسني داخل السجن. هذه الأمور سببت حساسية لدى بعض الجهات، لأن الرواية ليست خيالاً صرفاً، بل هي وثيقة أدبية عن مرحلة مهمة من تاريخ البلد، خاصة مرحلة الاعتقالات السياسية. لكن بعد مدة، تم رفع المنع عن الرواية، وسرعان ما انتشرت بين الناس، وأقبل القراء على شرائها وقراءتها. أعتقد أن المنع أحياناً يجعل الناس أكثر فضولاً لقراءة العمل، ويعطيه زخماً غير متوقع. وأنا أعتقد بشدة بأن الرواية إذا كانت صادقة وقوية، فإنها ستصل إلى القارئ حتى لو أُغلقت الأبواب في وجهها مؤقتاً.

41. الباحث: ما العلاقة بين السجن والحرية في رواياتك؟

الكاتب: السجن يقيد الجسد، نعم، لكنه لا يستطيع أن يمنع العقل من التفكير، أو القلب من الحلم. في السجن، لم أكن حرّاً في الحركة، لكنني كنت أقرأ وأكتب، وكان هذا يمنحني حرية من نوع آخر. الكتب كانت صديقتي، والقراءة كانت طريقي في الهروب من الظلمة. لذلك، أنا أرى أن أدب السجون لا يعني فقط وصف الألم، بل هو طريق نحو التحرر الداخلي. عندما تكتب أو تقرأ وأنت في الزنزانة، تشعر أنك ما زلت حرّاً، وما زال لديك صوت.

42. الباحث: كيف استطعت أن تبث الأمل في الرواية التي تتحدث عن السجن والقمع؟

الكاتب: رغم أن السجن مكان للألم والعذاب، فإنني لم أشأ أن أكتب رواية سوداوية. لا أريد أن أزرع اليأس في قلب القارئ. بالعكس، كنت أريد أن أقول إن الإنسان، حتى وهو في أشد لحظات ضعفه، يستطيع أن يصنع شيئاً من النور. أنا داخل السجن، قرأت أكثر مما قرأت في سنواتي كلها، وكتبت، وتأمّلت، وتقربت إلى الله، وعرفت نفسي أكثر. كنت أرى كيف يساعد السجناء بعضهم، كيف نضحك رغم القيد، كيف نشارك رغيف الخبز والكلمة والدمعة. هذه التفاصيل البسيطة كانت تحمل بذور الأمل. لذلك، جعلت روايتي تعبّر عن هذا المعنى: أن

الإنسان لا يُهزم ما دام يفكر، ويحب، ويكتب، ويحلم. وهكذا أصبح *يا صاحبي السجن* نصًا ليس فقط عن القيد، بل عن الحرية التي تنبت من داخله.

43. الباحث: كيف أثرت تجربة السجن فيك، بعيدا عن كونها دافعا للكتابة؟

الكاتب: السجن كان نارا تمشي على صدري، لكنه كان أيضا نورا أضاء لي طرقا داخل نفسي. لم يكن مكانا للعقوبة فقط، بل كان امتحانا للوعي. في الزنزانة، لم أكن أملك إلا الوقت، والوقت هناك قاس، لكنه عادل. جعلني أرجع إلى نفسي، أفتش في داخلي، أقرأ، أكتب، أصمت كثيرا، وأتأمل كثيرا. قرأت في السجن كتباً أكثر مما قرأته في عشر سنوات خارجه، واستمعت لأفكار الناس، وتعرفت على عوالم لا تراها خارج القضبان. السجن جرّحني، نعم، لكنه علّمني كيف يكون الإنسان أقوى مما ظن، إذا تمسك بفكرته، وقرأ، وكتب، وصبر.

لم أكتب عن نفسي فقط، بل عن رفاقي في الزنزانة، عن الذين لا صوت لهم، عن الذين ما زالوا خلف القضبان. أردت أن أكتب وجعهم بلغة فيها شيء من الشعر، وفيها الكثير من الحقيقة. الرواية تحمل وجهي السجن: وجه الظلم، ووجه الصبر. وهي دعوة لأن نعيد التفكير بمعنى الحرية، لا كحركة الجسد، بل كسلام العقل.

44. الباحث: هل كنت تريد أن تكون روايتك *يا صاحبي السجن* كتابا سياسيا، أم كتابا إنسانيا، أم عملا أدبيا؟

الكاتب: عندما كتبت *يا صاحبي السجن* لم يكن هدفي أن أهاجم جهة معينة أو أرفع شعارات سياسية. ما أردته أولا هو أن أروي تجربة إنسان سُجن ظلما، وكيف حاول هذا الإنسان أن يحافظ على كرامته وأمله داخل الزنزانة. صحيح أن سبب السجن سياسي، لذا ستجد السياسة حاضرة في الرواية، لكنني ركّزت على الجانب الإنساني قبل كل شيء: شعور الخوف، وحدة الليل، لحظات الأمل الصغيرة، ومساندة السجناء لبعضهم. وكتبت القصة بأسلوب أدبي لكي تصل مشاعر السجنين إلى القارئ بوضوح وبساطة. أردت أن أقول: رغم القيد يمكن

للكلمة والصبر أن يمنح الإنسان قوة، وأن الحرية تبدأ من الداخل قبل أن تكون خارج الجدران. أما الرواية في جوهرها إنسانية، وفيها رسالة أدبية، وفي الخلفية بعض الأحداث السياسية لأنها جزء من الحقيقة التي عشتها

45. الباحث: هل جاءت رواية *يسمعون حسيّسها* ردّاً على ياسين الحاج صالح؟

الكاتب: الكاتب: نعم، جاءت رواية «يسمعون حسيّسها» ردّاً بالحجّة والحكاية على ما طرحه ياسين الحاج صالح حين رأى أن الإسلاميين، رغم ما تعرّضوا له من سجون وتعذيب، لم يقدّموا أدباً سجنياً قوياً يوثّق معاناتهم كما فعل غيرهم. لذلك أردتُ أن أقدم روايةً تُثبت أن لدى الإسلاميين أيضاً تجارب إنسانية عميقة تستحق أن تُروى أدبياً، فجاءت الرواية لتصوّر معاناة المعتقلين الإسلاميين في سجن تدمر السوري بلغة إنسانية وأدبية مؤثرة، لا بمجرد نقاشٍ نظري، بل من خلال الحكاية نفسها. وأنا استخدمت في الرواية اللغة العامية لصدق الفن، السجّان غير متعلّم ويتكلّم بالعامية، فيتوجّب أن يعكس الحوار مستواه.

46. الباحث: من هم أبرز الأدباء الذين أثروا في تكوينك؟

الكاتب: من الجاحظ وابن المقفع وأبي حيان إلى الماغوط؛ قائمةٌ طويلة يصفها بالنهر المتدفق.

47. الباحث: أكثر ما يفرحك في تفاعل القراء؟

الكاتب: أن يقول لي القارئ: "هذا ما كنت أريد قوله ولم أجد الكلمات".

48. الباحث: نصيحتك لروائي ناشئ في اللغة العربية؟

الكاتب: اقرأ حتى يشيب الغراب، افخر بلغتك، واكتب من تجربة حيّة بقلب متوهّج.

الفصل الرابع: عبقرية العناوين ودقتها في روايات أيمن العتوم

يبدأ كل فنان مبدع عمله الفني بعد أن ينشئ له بابا يرشده المتلقي إلى أعماق المحتوى، وهذا الباب هو العنوان الواسع الواقف على الغلاف الخارجي للنص يَغُصُّ النظر عن تنوع مجالات الإبداع، اهتمَّ الكتّاب اهتماما كبيرا في اختيار العناوين. يسعون إلى أن تكون هذه العناوين جميلة وجاذبة، ومناسبة في المعنى للمحتوى الذي تمثله وتعكسه. ذلك يسمح للقارئ بالانغماس في النص ويوفر له الإشارة التوجيهية للبقاء ضمن حدود مضمون العمل.

ومن الواضح كوضوح الشمس أنّ النص بدون عنوان يشبه البحر بدون مياه، أو الجسم بدون رأس، أو الهامة بدون عقل. لهذا السبب، يهتم الأدباء بشدة بانتقاء العناوين، وقد يستغرق وقتاً أطول من كتابة النص نفسه لاختيار العنوان المناسب. بناءً على الموضوع والسياق الذي يشملها. فهذا الفصل الوجيه يلمح باختصار إلى أهمية عنوان الرواية ووظائفها في روايات أيمن العتوم.

مفهوم العنوان ومكانته

التسمية هي جانب يُهمل بشكل كبير من قبل الباحثين في الأدب العربي والأدب الغربي. وقد اعتبروه عادة شيئاً لا يحمل قيمة كبيرة ولا يُسهم بشكل ملحوظ، إذ يُعتبر العنوان مجرد اسم يُرتبط بالعمل الأدبي دون أهمية كبيرة. ومع ذلك، أجريت بعض الدراسات المحدودة حول العنوان، وقدم الباحثون علماً جديداً ومستقلاً يُسمى "علم العنوان" (TITROLOGIE)، وأوضحوا "ليس العنوان الذي يتقدم النص ويفتح مسيرة نموه مجرد اسم يدل على العمل الأدبي: يحدد هويته، ويكرس انتماءه لأب ما. لقد صار أبعد من ذلك بكثير. وأوضحت علاقته بالنص باللغة التعقيد. إنه مدخل إلى عمارة النص، وإضاءة بارعة وغامضة لأبهائه وممراته

المتشابهة لقد أخذ العنوان يتمرد على إهماله فترات طويلة، وينهض ثانية من رماده الذي حجبته عن فاعليته، وأقصاه إلى ليل من النسيان. ولم يلتفت إلى وظيفة العنوان إلا مؤخرًا.²³¹

"تطورت استخدامات العنوان منذ بداية فترة التدوين الأولى. بدأ الأمر بالتركيبات التي اعتمدت على اللغة البديعية، وهذا أدى إلى تشتت في الهيكل اللغوي للعناوين لدى الكتّاب المقلدين. على سبيل المثال، في رحلته إلى فرنسا، اختار الطهطاوي عنوانًا طويلًا لعمله "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" بدلاً من اختصاره إلى مجرد "باريز". على العكس، رأينا أن الأدباء في العصر الحديث اتجهوا نحو تقليص العنوان إلى كلمتين أو ثلاث كلمات، مما يجعلها أكثر وضوحًا وتلخيصًا للمحتوى، قديمًا كان العنوان النصي واضحًا للغاية، مما يعني أن المتلقي لم يحتاج إلى تفكير كبير لفهم توجه النص ومضمونه. ولكن في الزمان الحالي، تطورت استخدامات العنوان ليصبح أكثر غموضًا في الشكل، وهذا يتطلب معرفة عميقة بالمفاهيم لفهم اتجاه المحتوى. يجب أن يكون الكتّاب واعين أن اختيار العنوان يلعب دورًا في جذب القراء، وليس فقط في إبلاغهم بالمضمون."²³²

وظائف العنوان

العنوان يشغل مكانة مهمة داخل العمل الإبداعي، حيث يؤدي مجموعة من الوظائف المتنوعة، من أبرزها الوظيفة التعيينية والدلالية والتأشيرية، إلى جانب الوظيفة الإشهارية والقانونية والإيديولوجية. كما يقوم بوظيفة التسمية والتعيين، ويؤدي دورًا أيقونيا بصريًا، إضافة إلى الوظيفة الموضوعاتية والتأثيرية والإيحائية، ويسهم في تحقيق الاتساق والانسجام، فضلًا عن الوظائف التأويلية واللسانية والسميائية وغيرها.

²³¹ العلاق، علي جعفر، كتاب في النقد: شعيرة الرواية- علامات في النقد، المجلد ٦، الجزء ٢٣، ١٩٩٧م، ص ١٠٠-١٠١.

²³² السراحين، راند، كتاب في النقد: آليات السرد وتشكيل الخطاب، دائرة المكتبة الوطنية المملكة الأردنية الهاشمية، الأردن، ٢٠٢٠م، ص ١٠.

العناوين في الرواية

العنوان يؤثر على القارئ ويوجهه نحو قراءة الرواية، كما يقدم له مفاهيم وأفكار جديدة بناء على ما يكشفه من معاني. إنه الأداة المفتاحية التي تفسر أحداث الرواية وتكشف عن إيقاعها وتشويقها السردي. ولا يقتصر دوره على ذلك، بل يتعداه إلى استخلاص البنية الدلالية للنص وتحديد موضوعات السرد وإلقاء الضوء عليها في بعض الأحيان، يعمل العنوان كمرآة صغيرة كما يقول دكتور شعيب حليفي "مرآة مصغرة لكل ذلك النسيج النصي".²³³ هي تعكس محتوى الرواية والمشكلات التي تناولها بشكل منهجي. يمكن للكاتب أن يختار العنوان من أسماء الشخصيات الرئيسية كما حدث في روايات زينب لمحمد حسين هيكل وسارة للعقاد والزيني بركات لجمال الغيطاني أو يمكن أن يشير العنوان إلى المكان الرئيسي للأحداث كما في *زقاق المدق والقاهرة الجديدة*. وقد يشير أيضاً إلى الزمن الذي يحدث فيه السرد، مثل *ليالي تركستان* لنجيب الكيلاني. وقد يكون دلالياً لمحتوى الرواية نفسه كما في *التجليات* لجمال الغيطاني ويسمعون حسيها لأيمن العتوم وغيرها.

والمقصود من المذكور أعلاه أن العناوين لا تكون دائماً على الدوام عبارة عن مرآة تعكس مضامين الرواية وأحداثها بشكل واضح. قد تكون بعض العناوين غامضة ومهمة ولا تنقل المحتوى المباشر للرواية. بدلاً من ذلك، يمكن للقارئ أحياناً أن يبحث عن العلاقة بين النص والعنوان ويستكشف الدلالات والأهداف والعلاقات اللاحائية والرمزية بينهما. وأحياناً يفشل المؤلف في اختيار عناوين تعبر بشكل فعال عن محتوى الرواية، هذا ما يلمح إليه الدكتور إدريس الناقوري: "شتات النص المعبر عنه ويلخص كل ماورد فيه من وقائع وأحداث وما تفاعل فيه من شخوص وأبطال في نطاق الزمان والمكان أي داخل فضاء معين أو فضاءات

²³³ د. خليفي، شعيب، مقالة: *النص الموازي للرواية: استراتيجية العنوان*، مجلة الكرمل، العدد ٤٦، ١٩٩٢م، ص ٨٤-٨٥.

مختلفة؛ فإن المؤلفين لا يفلحون دائما في اختيار العناوين المعبرة عن محتويات كتبهم أو الدالة على كل ما أرادوا قوله فيها، أو دالا على ما يراه المؤلف أساسيا، أو ذا قيمة خاصة بالنسبة إليه. وهذا ما يؤكد أن كل كتاب أو كل نص أدبي قابل لأن يحمل عنوانا مغايرا أو تسمية أخرى غير تلك التي اختارها المؤلف".²³⁴

من هذا يتبين أن الكاتب يحتاج إلى وقت كبير وتأمل وتفكير عميق لابتكار العنوان وتطويره حتى يصبح هيكلا دلاليا عاما يمتاز بالإشهار للنص الروائي. كما يقول الدكتور محمد أنقار: "لا شك أن المؤلف أفرغ فيه جهدا وتطلب منه اختياره؛ لأن صياغة عنوان أي عمل إبداعي جزء من الكتابة الفنية نظرا لما للعنوان من أهمية على المستوى الإعلامي (الإشهار) أولا، على المستوى الفكري ثانيا، وعلى المستوى الجمالي ثالثا، ونظرا إلى كل هذه الاعتبارات فإن العنوان ذو أهمية خاصة بالنسبة للمؤلف والمتلقي على السواء؛ لأنه جماع النص وملخصه".²³⁵

قال الصديق بشير نصر عن فلسفة العنوان "قد يسألني سائل: هل لعنوان الكتاب غواية؟ فأجيبه: نعم... العنوان يُغوي كما تغوي ضروب الغوايات الأخرى. عنوان الكتاب باب به الذي يولج إليه منه. وكلما كان الباب جذابا مثيرا دعا إلى قرعه، ومن ثم الدخول منه، ولو كان ما بداخله متواضعا لا تدلّ عليه فخامة الباب. وكم من كتاب قبيح المظهر زهد قارئه فيه مع أنه غني بالمعارف والعلوم، وكم من كتاب أغرى عنوانه الجميل بالولوج إليه مع أنه ليس بذاك. ولا يتفطن القارئ إلى ذلك حتى يبتلى بقراءته. ومن الطريف أن العنوان قد يبعث على النفور من مؤلف ما لسماعته، فيحكم القارئ على كلّ مصنفات ذلك المؤلف الأخرى الحكم عينه،

²³⁴ الناقوري، إدريس لعبة، كتاب في النقد: النسيان - دراسة تحليلية نقدية، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٤م، ص ٥١-٥٢.

²³⁵ د. أنقار، محمد، كتاب في النقد: بناء الصورة في الرواية الاستعمارية، مكتبة الإدريسي للنشر، تطوان، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٥١-٥٢.

وفي ذلك ظلم شديد. لقد كان العنوان علامة على الكتاب، وكان كثير من المصنفين والمؤلفين قديمًا وحديثًا يُعنون بإبداعه، وكان المتقدمون يتفننون في زخرفته.

باستخدام السجع والمبالغة فيه، فجاءت بعض العناوين آيةً في الجمال، وأخرى آية في القبح بسبب التصنع والتكلف وفي عصرنا هذا، التفت جمهور من الأدباء والكتاب إلى أهمية العنوان فأخذوا ينحتون عناوين جميلةً وطريفةً، تشد انتباه القارئ ولو لم تكن تعكس في بعض الأحيان حقيقة محتوى الكتاب²³⁶.

فلسفة العناوين في روايات أيمن العتوم

أمّا الروائي أيمن العتوم نحى منحى جديدا في توليد وخلق العناوين الروائية، فقد اتجه صوب القرآن الكريم، واجتزأ منه عناوينه، وذلك لأنه كتاب خالد، يقرأه المؤمنون كلهم، وتعلق معانيه في نفوسهم، ولأنّ هذا الكتاب سام بآثاره وبلاغته وقصه الجميل، والقرآن كتاب في المقام الأول الذي يؤثر قلوب الإنسان، وأدب أيمن العتوم كذلك، سابر لأغوار النفس وما يعتريها من ضوائق وحاجات يحاكي به هم الإنسان القديم والحديث على حدٍ سواء، وكذلك بسبب التنشئة الأسرية، فقد تربّى في بيئة دينية محافظة، فوالده أحد قيادات الإخوان المسلمين، مما جعل له خلفية دينية كبيرة متأثرا بنهج هذا التيار الذي كان له دور كبير في نشر وتعليم وتحفيظ الكتاب الشريف.

الكاتب أيمن العتوم اعتمد على اللفظ دون الخوض في المغزى، مما يعني أنه قام بتحجير المعنى من اللفظ. هذا يعني أن القارئ في البداية، عند رؤية العنوان، يفكر أن الكاتب سيتناول محتوى الآية القرآنية المعنية، ولكن الواقع مختلف. فالعتوم يتناول أفكارا إنسانية عامة

²³⁶ بشير، نصر الصديق، وهج القناديل - قراءات في أدب الشاعر الروائي أيمن العتوم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٩م، ص ١٥٢.

ويغلفها بمصطلحات قرآنية. هذا يظهر أهمية القرآن كمصدر يتناسب مع جميع العصور والأماكن، ويتناسب مع جميع ظروف الحياة عبر التاريخ.

كما قال الباحث من قبل أنّ أيمن العتوم يتميز برؤيته الفريدة في اختيار العناوين، إذ جاء بشيء فريد في عناوين رواياته العشر التي لم تُعرف من قبل، أو على الأقل نادرا ما تجدها مماثلة أو تجلب مثيلا لها. حيث قام بنسج المادة من اللغة القرآنية لتشكيل عناوينه. ويتجلى ذلك في كل عنوان عندما ينظر إليه القارئ الماهر، حيث يجد أنه يكشف عن أعماق الأفكار التي تتدفق بشكل متجدد بين تفاصيل الرواية، مشابهة للجريان الذي يجري في عروق النبات.

بلغ عدد روايات الكاتب أيمن العتوم المنشورة حتى عام ٢٠٢٤م، اثنتين وعشرين رواية، مستوحاة من آيات القرآن الكريم. تم ترتيب هذه الروايات حسب تواريخ إصدارها، مثل: يا صاحبي السجن في عام ٢٠١٢م، ويسمعون حسيها في عام ٢٠١٢م أيضا، وذئقة الموت في عام ٢٠١٣م، وحديث الجنود في عام ٢٠١٤م، ونصر من الجن في عام ٢٠١٤م أيضا، وكلمة الله في عام ٢٠١٥م، وخاوية في عام ٢٠١٦م، واسمه أحمد في عام ٢٠١٧م، وتسعة عشر في عام ٢٠١٨م، وطريق جهنم في عام ٢٠١٨م أيضا، وأنا يوسف في عام ٢٠١٩م، ويوم مشهود في عام ٢٠١٩م، رؤوس الشياطين في عام ٢٠٢٠م، أرض الله في عام ٢٠٢٠م أيضا، مسغبة في عام ٢٠٢١م، صوت الحمير في عام ٢٠٢١م أيضا، هذه سبيلي في عام ٢٠٢١م، ستّة في عام ٢٠٢٢م، وساحر أو مجنون في عام ٢٠٢٣م، وعيسى بن مريم في عام ٢٠٢٣، والحواريون في عام ٢٠٢٤، ورعب في عام ٢٠٢٤م.

رواياته تتميز بتناوله للقرآن الكريم بشكل متكرر في العناوين والمضامين، وهذا يعكس استخدامه لأسلوب فصيح في كتابته. يظهر أن الكاتب قد اعتمد استراتيجية موحدة في عنوانه رواياته حيث اقتبس العناوين من الآيات القرآنية، بما في ذلك الكلمات والجمل والتراكيب.

يعتبر الاستثمار في الآيات القرآنية أمراً جديدا نادرا في بناء النص السردى وتناصه. التناص بين نصوص القرآن والأدب الروائي هو ظاهرة عامة في رواياته، ويمكن أن يفكر للمتلقى عن هذا الإبداع والأسلوب أثناء قراءته، فيصل إلى إجابات كثيرة، وهو يفهم أنّ الكاتب قد يكون يستخدم هذا التناص لتوجيه اهتمام القارئ إلى مواضيع دينية أو فلسفية. قد يتيح للقارئ فهم أفضل للمضمون الروائي أو يعزز من الأثر الجمالي للنص، وقد يكون الكاتب مهتماً بمفاهيم دينية وثقافية ويرغب في دمجها بشكل إبداعي في أعماله الأدبية. بشكل عام، يمكن أن يكون التناص القرآني في رواياته وسيلة للكاتب للتعبير عن رؤيته الشخصية وإضافة بعد ديني وثقافي إلى أعماله الأدبية، وقد يكون لهذا التناص تأثير إيجابي على تجربة القارئ وفهمه للنصوص. وغني عن القول إن أسلوب أيمن العتوم هذا يعد تجربة قرائية جديدة للقراء والعالم الأدبي مهما حكم عليه النقاد. أيمن العتوم يجيب لهذا السؤال بنفسه في مقابلة مع صحفي، إنّه يقول: "النص القرآني نص إنساني، نص عالمي، صحيح أن القرآن يخاطب المسلمين لكنه يهم الإنسان قبل المسلم، أنا أيضا أسعى لأن تكون لغتي عالمية إنسانية، ومن أجل ذلك أكتب بهذه الطريقة".²³⁷

ويؤكد أيمن العتوم أيضا على استراتيجيات اختياره للعناوين في أعماله الإبداعية، حيث يقول: "على الكاتب أن يعتني بالعنوان اعتناء كبيرا، ولا يستعجل في أن يخطه على الغلاف الخارجي، بعض رواياتي أستغرق التفكير في عنوان لها واختياره أكثر مما استغرقته أربعة فصول أو خمسة من الكتابة. بعض هذه العناوين لأنه يقطر الرواية ولد قبلها، بل هو الذي جلبها إلى الورق، وبعضها نبت أثناء الكتابة، وبعضها استغرق أياما وأسابيع للوقوع عليه بعد الانتهاء من الكتابة، وبعضها الرابع سار معي إلى منتصف الرواية أو بقي إلى مشارف نهايتها لكنه تخطى

²³⁷ حوار في جريدة الدستور السبت، الموقع: www.dostore.org/print.aspx?204639، تاريخ الاسترجاع ٢٠٢١/٠٢/٣٠ م.

عنها وعن دوره لصالح اسم آخر، هذه الطرائق الأربعة عشتها كلها في اختيار عناويني العنوان باب الرواية، بل هو عتبتها، وكثير من الدراسات تذهب إلى دراسة العناوين دون المضامين تحت مسمى عتبات (النص) واحدة من هذه الدراسات فعلت ذلك مع العناوين التي أختارها يجب أن يتحلّى الكاتب بالذكاء والصبر وهو يُقدِّم على خطوة كبيرة وخطيرة مثل هذه؛ أقول كبيرة لأنّ العنوان الذي تختاره معناه أن تجمع عشرات الآلاف من الكلمات فتكتفها في كلمة أو كلمتين وخطيرة؛ لأنّ العنوان إذا كان غير مُلائم أو خادع فإنّه سيقود إلى غير الطريق الذي تذهب فيه قافلة القراءة، إنّ عنوانًا صحيحًا بالضرورة يقود إلى نهاية صحيحة، وموقع تتكشف - مع الوقت وعبور الفصول - دلالاته وإشاراته".²³⁸

كما يؤكد الباحث في الفقرات السابقة أن من بين استراتيجيات الكاتب في عنونة الرواية هو الاقتباس المقصود من القرآن الكريم ويعبر الكاتب عن فخره بمثل هذا الاختيار كما يقول: "لقد صدر لي حتى الآن بفضل الله خمس عشرة رواية، جميع عناوينها اقتبست من القرآن الكريم، وهي استراتيجية ألزمت نفسي بها، وستُصبح إحدى سمات ما أكتب، وأنا فخور بذلك؛ فلقد سار على ما سرت عليه وصنّع صنيعي، وقلّدي في ذلك كثيرون، منهم سياسيون وقادة عسكريون".²³⁹

يطرح الصحفي في مقابلة صحفية نفس السؤال: "لماذا قرر استخدام عناوين مستمدة من القرآن الكريم بدلا من اختيار عناوين أخرى؟ فيجيب أيمن العتوم: "إنّني مؤمن بخلود النصّ القرآني، ليس لآخر بشري سيعيش على سطح هذه الدرة التائهة المسماة كوكب الأرض فحسب، بل لما بعدَ فناء آخر بشريّ على سطحها، هل ستواصل هذه الدرة مسيرها الأبدي التائه لآلاف

²³⁸ مقالة: حوار في جريدة الدستور السبت، الموقع الإلكتروني: www.dostore.org/print.aspx?2046393، تاريخ الاسترجاع ٢٠١٨/٠٢/٣٠ م.
²³⁹ مقالة: حوار في جريدة الدستور السبت، الموقع الإلكتروني: www.dostore.org/print.aspx?2046393، تاريخ الاسترجاع ٢٠١٨/٠٢/٣٠ م.

أخرى من السنين أم لملايين؟ في هذه السنوات الطّوال جدا ستكون لغة القرآن هي اللغة الحية الوحيدة، وستكون عناوين رواياتي بإذن الله مثل شَجَرَةِ الْخُلْد ما زالت تُبرعم كأنما سُقيت بماء سماوي في صحراء العَدَم".²⁴⁰

فخلاصة القول أنّ العنوان يلعب دورا مهماً في تحديد مضمون النص وتكثيفه، حيث يختاره الكاتب بعناية ليعكس محتوى النص ويقدم إشارات وإيحاءات غير ظاهرة في العنوان نفسه. هذا يجعل لغة العنوان مقتصرة ومكثفة، لكنها تحمل معاني عميقة ومتنوعة.

ويقوم الباحث ببيان مجمل عن فلسفة الكاتب في عناوين رواياته، اختار أيمن عنوانا مميزا مناسبا لروايته الأولى *يا صاحبي السجن* استله من سورة يوسف. "يُصْحَبِي السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" ^(٣٩) ²⁴¹ والتي تحكي قصة السجن والفتنة والخيانة والانتصار والعفو والرحمة. وجمع هذه العناصر جميعها في هيكل الرواية بشكل ممتاز. هذه الفلسفة نفسها تنعكس في عنوان روايته *تسعة عشر* الذي استلهم أيضا من فعلى سبيل المثال من سورة المدثر "عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ" ^(٣٠) ²⁴² التي تتناول فلسفة الموت والحياة. تعتبر هذه الرواية الفلسفية واحدة من أهم رواياته.

وعين الكاتب عنوانا لروايته الثانية *يسمعون حسيبها* من آية قرآنية أيضا "لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا" ^ط ^{وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَلِدُونَ} ^(١٠٢) ²⁴³ هي من سورة الأنبياء. وكان له نفس النهج في اختيار عناوين أخرى مثل *ذائقة الموت* المستلهمة من سور آل عمران. "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ

²⁴⁰ مقالة: حوار في جريدة الدستور السبت، الموقع الإلكتروني: www.dostore.org/print.aspx?2046393، تاريخ الاسترجاع ٢٠١٨/٠٢/٣٠ م.

²⁴¹ سورة يوسف، القرآن الكريم، رقم الآية ٣٩.

²⁴² سورة المدثر، القرآن الكريم، رقم الآية ٣٠.

²⁴³ سورة الأنبياء، القرآن الكريم، رقم الآية ١٠٢.

الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعَ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾" ²⁴⁴ والأنبياء "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾" ²⁴⁵ والعنكبوت "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾" ²⁴⁶ وروايته الثالثة حديث الجنود اشتق عنوانه من آية "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾" ²⁴⁷ من سورة البروج. وعنوان رواية نصر من الجن مأخوذ من الآية الأولى في سورة الجن "قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾" ²⁴⁸ وروايته كلمة الله عنوانه مأخوذة من آية "إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَلَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾" ²⁴⁹ من سورة التوبة، وآية من سورة الشورى "وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ۚ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾" ²⁵⁰

ورواية خاوية عنوانها مأخوذ من سورة البقرة، "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾" ²⁵¹ ومن آية من سورة الكهف "وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾" ²⁵² و

²⁴⁴ سورة آل عمران، القرآن الكريم، رقم الآية ١٨٥.

²⁴⁵ سورة الأنبياء، القرآن الكريم، رقم الآية ٣٥.

²⁴⁶ سورة العنكبوت، القرآن الكريم، رقم الآية ٥٧.

²⁴⁷ سورة البروج، القرآن الكريم، رقم الآية ١٧.

²⁴⁸ سورة الجن، القرآن الكريم، رقم الآية ١.

²⁴⁹ سورة التوبة، القرآن الكريم، رقم الآية ٤٠.

²⁵⁰ سورة الشورى، القرآن الكريم، رقم الآية ٥١.

²⁵¹ سورة البقرة، القرآن الكريم، رقم الآية ٢٥٩.

²⁵² سورة الكهف، القرآن الكريم، رقم الآية ٤٢.

من سورة الحج، "فَكَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِى مُعْتَلَّةٌ وَقَصِيرٌ مَّشِيدٌ" (٤٥)²⁵³ ومن سورة النمل، "فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (٥٢)²⁵⁴ ومن سورة الحاقة "سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَّخْلٍ خَاوِيَةٌ" (٧)²⁵⁵

وكان يجمع بين العناوين ومحتوى الروايات بشكل متقن، فكانت تلك العناوين تعكس أسباب التفسخ والانحلال وعلل الفساد في قصصه. على سبيل المثال، استلهم عنوان روايته /اسمه أحمد من سورة الصاف "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ" (٦)²⁵⁶ حيث تروي الرواية قصة البطل الأردني أحمد الدماقصة الذي تنبأت به أمه وهي تحمله وأن اسمه سيكون أحم". وروايته تسعة عشر عنوانه مأخوذ من أية قرآنية أيضا، هي من سورة المدثر "عَلَمَهَا تِسْعَةَ عَشَرَ" (٣٠)²⁵⁷

أما روايته طريق جهنم اقتبس عناونها من سورة النساء "إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا" (١٦٩)²⁵⁸ وقالها، حيث يُظهر مفهوم الضلال والجحيم، وبدقة عدم تحديد الطريق إلى جهنم بشكل معين، مما يشير إلى أن الأحداث المتعددة في الرواية ترتبط جميعها بأفعال كفر أو ظلم تقود إلى جهنم، وتُظهر الويلات التي يمكن أن تحدث في هذا السياق.

253 سورة الحج، القرآن الكريم، رقم الآية ٤٥.

254 سورة الحج، القرآن الكريم، رقم الآية ٥٢.

255 سورة الحاقة، القرآن الكريم، رقم الآية ٧.

256 سورة الصاف، القرآن الكريم، رقم الآية ٦.

257 سورة المدثر، القرآن الكريم، رقم الآية ٣٠.

258 سورة النساء، القرآن الكريم، رقم الآية ١٦٩.

وروايته أنا يوسف استمد من آية في سورة يوسف "قَالُوا أَعِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" 259 تتناول الرواية عن قصة يوسف. وروايته يوم مشهود استلهم عنوانها من آية في سورة الهود هي "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ" 260

أما روايته رؤوس الشياطين تعنون عنوانها من سورة الصافات "طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ" 261 تتناول الرواية بأسلوب جميل نادر قصة طيب لم ينم منذ عشرة أعوام. وروايته أرض الله التي تتناول العمرية ضد نظام العبودية في أمريكا وأوربا، أخذ الكاتب عنوانها من سورة النساء "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" 262 ومن سورة الأعراف "وَالِئِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ" 263 ومن سورة الهود "وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ" 264 ومن سورة الزمر "قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" 265.

259 سورة يوسف، القرآن الكريم، رقم الآية ٩٠.

260 سورة الهود، القرآن الكريم، رقم الآية ١٠٣.

261 سورة الصافات، القرآن الكريم، رقم الآية ٦٥.

262 سورة النساء، القرآن الكريم، رقم الآية ٩٧.

263 سورة الأعراف، القرآن الكريم، رقم الآية ٧٣.

264 سورة الهود، القرآن الكريم، رقم الآية ٦٤.

265 سورة البلد، القرآن الكريم، رقم الآية ١٤.

روايته مسغبة التي تتناول عن المخطوطات التي حصل عليها الكاتب والقصة عنها، أخذ عنوانها من سورة البلد "أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾". ورواية صوت الحمير هي رواية فلسفية ساخرة بطلها حمار تقارن بين حياة الحيوانات والإنسان، عنوانه أيضا مأخوذ من القرآن "وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَآغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٦﴾" ²⁶⁶ من سورة لقمان. ورواية هذه سبيلي التي تتناول عن تجربة الكاتب التي تنعكس في عنوانها المأخوذ من سورة يوسف "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾" ²⁶⁷

ورواية ستة التي تحكي القصة عن ستة أبطال استطاعوا تحويل المستحيل إلى ممكن، وجعلوا الخيال واقعا. وقد ذكر الله تعالى العدد ٦ في عدة سور، كلها مذكورة في خلق السماوات والأرض في ستة أيام، واحد منها من سورة الحديد "هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾". ²⁶⁸

وتظهر ظاهرة استخدام عناوين الفصول المستوحاة من القرآن الكريم أيضا في رواية يا صاحبي السجن. في هذه الرواية، نجد عناوين داخلية مثل الفصل الأول "من قبل أن نبرأها" هو مأخوذ من سورة الحديد "مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾" ²⁶⁹ الثاني "يقص الحق" "قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ﴿٥٧﴾" ²⁷⁰

²⁶⁶ سورة لقمان، القرآن الكريم، رقم الآية ١٩.

²⁶⁷ سورة يوسف، القرآن الكريم، رقم الآية ١٠٨.

²⁶⁸ سورة الحديد، القرآن الكريم، رقم الآية ٤.

²⁶⁹ سورة الحديد، القرآن الكريم، رقم الآية ٢٢.

²⁷⁰ سورة الأنعام، القرآن الكريم، رقم الآية ٥٧.

والفصل الثالث هو "ظلمات بعضها فوق بعض" عنوانه مأخوذ من آية قرآنية هي "أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ ۖ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ ۖ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ" (٢٧١) من سورة النور، و فصلها الرابع "لكل نبي مستقر وسوف تعلمون" من آية "لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ" (٦٧) و"اعملوا على مكانتكم إني عامل" استلهمه الكاتب من سورة الأنعام "قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (١٣٥) ²⁷²، ومن سورة الهود "وَيَقَوِّمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَن هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ" (٩٣) والخامس هو "وما شهدنا إلا بما علمنا" من آية "أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ" (٨١) ²⁷³ والسادس "وما نؤخره إلا لأجل معدود" من سورة الهود "وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ" (١٠٤) ²⁷⁴ والسابع "ادخلوا مساكنكم" من سورة النمل "حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمُنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (٦٧) ²⁷⁵، والثامن "وما تدري نفس ماذا تكسب غدا" من سورة لقمان "إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (٣٤) ²⁷⁶ والفصل التاسع "وما منا إلا له مقام معلوم" مأخوذ من آية "مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ" (١٦٤) ²⁷⁷ من سورة الصافات. والعاشر "يسألون عن أنبيائكم" من آية "يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَو أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ

²⁷¹ سورة النور، القرآن الكريم، رقم الآية ٤٠.

²⁷² سورة الأنعام، القرآن الكريم، رقم الآية ١٣٥.

²⁷³ سورة يوسف، القرآن الكريم، رقم الآية ٨١.

²⁷⁴ سورة الهود، القرآن الكريم، رقم الآية ١٠٤.

²⁷⁵ سورة النمل، القرآن الكريم، رقم الآية ٦٧.

²⁷⁶ سورة لقمان، القرآن الكريم، رقم الآية ٣٤.

²⁷⁷ سورة الصافات، القرآن الكريم، رقم الآية ١٦٤.

أَنْبِيَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَّا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾" ²⁷⁸ من سورة الأحزاب، والفصل الحادي عشر "والليل إذا سجي" عنوانه مأخوذ من آية "وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾" من سورة الضحى، والفصل الثاني عشر "لا يأكلون الطعام" مستلهم من سورة الأنبياء "وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾" ²⁷⁹. والفصل الثالث عشر عنوانه "اقرأ كتابك" مأخوذ من سورة الإسراء "أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ آلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿٤﴾" ²⁸⁰ و"تخفي في نفسك ما الله مبديه" هو عنوان فصل الرابع عشر هو مأخوذ من سورة الأحزاب "وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾" ²⁸¹. والفصل الخامس عشر "قال إنكم ماكثون" عنوانه مشتق من آية قرآنية أيضا من سورة الزخرف، هي "وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴿٧٧﴾" ²⁸² و"فهل إلى خروج من سبيل" هو الفصل السادس أخذ الكاتب عنوانه من سورة زخرف، "قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾" ²⁸³.

هنا، يعتمد الكاتب بشدة على تراكيب الآيات القرآنية في تسمية فصول روايته ويسعى جاهدا لضمان التعبير الدقيق بكل معنى الكلمة عن الأحداث التي سيقدمها تحت هذه العناوين. على سبيل المثال، عندما يختار عنوان فصل بعنوان "هل إلى خروج من سبيل"، يركز الكاتب على سرد كيف يحاول البطل التحرر من السجن بعد انتهاء مدة حبسه، مما يشير إلى أهمية دقة

²⁷⁸ سورة الاحزاب، القرآن الكريم، رقم الآية ١٤.

²⁷⁹ سورة الأنبياء، القرآن الكريم، رقم الآية ٧.

²⁸⁰ سورة الإسراء، القرآن الكريم، رقم الآية ٤.

²⁸¹ سورة الأحزاب، القرآن الكريم، رقم الآية ٣٧.

²⁸² سورة الزخرف، القرآن الكريم، رقم الآية ٧٧.

²⁸³ سورة الزخرف، القرآن الكريم، رقم الآية ١١.

اللغة والمعنى في التعبير عن الأحداث تحت هذا العنوان. وفي عملياته في عنونة الرواية. ويتبع الكاتب منهجا دقيقا ومقصودا، ويؤمن بأهمية القرآن ولغته وثباته. وفي بعض العناوين، يقوم الكاتب بمطابقة العنوان باللفظ والمعنى مع القرآن الكريم، بينما في حالات أخرى، يختلف المعنى عن تلك الذي ورد في القرآن الكريم. ويؤمن الكاتب أيضا بأهمية أن يكون العنوان مناسباً وصحيحاً، حيث إذا كان غير ملائم أو مضللاً، فسيؤدي ذلك إلى توجيه القراء بشكل غير صحيح نحو فهم النص، ولذلك يعتبر وجود عنوان صحيح بالضرورة هو مفتاح لفهم نهاية القصة بشكل صحيح.

الفصل الخامس: أدب السجون عند أيمن العتوم

تُعدّ أعمال أيمن العتوم السجنية من أبرز المحطات في مسيرته الأدبية، إذ شكّلت نافذة تكشف معاناة السجين وتجليات الحرية خلف القضبان.. في رواية *يا صاحبي السجن* صوّر تجربته الذاتية وما يرافقها من ألم وأمل، بينما جاءت رواية *يسمعون حسيها* لتغوص في عالم المعتقلين السياسيين وما يتعرضون له من قهر وتعذيب. أما *ذئقة الموت* فقدمت رؤية فلسفية عميقة حول المصير الإنساني ومواجهة النهاية، في حين جسدت رواية *اسمه* أحمد صورة مؤثرة عن بطولة طفل فلسطيني في السجون الإسرائيلية. وقصيدة *نبوءات الجائعين* و*خزني إلى المسجد الأقصى* من أعماله الشعرية ذات الطابع السجني. وبهذا استطاع العتوم أن يجعل من أدب السجون مرآة لواقع الإنسان المقهور، ومجالاً للتأمل في قيم الحرية والكرامة الإنسانية.

يا صاحبي السجن (٢٠١٢): هي رواياته الأولى المنشورة، عدد صفحاتها ٣٤٦، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ٢٠١٢م، يحكي الكاتب في هذه الرواية تجربته الخاصة القاسية في السجن عامي ١٩٩٦م و١٩٩٧م بأسلوب شعري وتداخل فيها الأزمنة والأمكنة بطريقة تأخذ القراء إلى النفس البشرية.²⁸⁴

تطوف الرواية حول ثلاثة سجون وهي سجن المخابرات، وسجن الجويذة، وسجن سواقة التي دخلها الكاتب وتتناول في الموجز الأحداث العاصفة من انتفاضة الخبز في التسعينات في الأردن التي اندلعت من جنوب البلاد بعد ضاعفت الحكومة الأردنية أسعار الخبز ثلاث مرات دفعة واحدة - وبيعة الإمام - وهو الاسم الذي أطلقته السلطة الأردنية على مجموعة من التيارات الإسلامية وعرفوا بأسماء أخرى مثل مجموعة التوحيد أو السلفية الجهادية أو التكفير والهجرة

²⁸⁴ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م.

وقضية ألغام عجلون وغيرها من الأحداث أثارت الرواية خصاما كبيرا. ومعظم أشخاصها كانوا حقيقين من التيارات السياسية أو الدينية، من أقصى اليمين لأقصى اليسار. ولذا نوقشت الرواية بشكل كبير ولوحظت في الدول الأردنية والعربية أيضا. أثار جدله في حال نزولها حيث أنّها ووجهت بالمنع من قبل دائرة المطبوعات والنشر الأردنية نظرا لمحتوى الرواية. فشعت أشعة نور الشهرة لهذه الرواية في مختلف الأوساط السياسية والثقافية الأردنية، وبدأت مواقع التواصل الاجتماعي تتحدث من منع الرواية من دخول الأردن.²⁸⁵

وأعلت راجا غير مشهود بالانتشار والتداول خلال شهرين من صدورها، كانت الطبعة الأولى قد خلت من الأسواق بشكل منقطع النظير، وحازت الرواية على إعجاب القراء المحليين إذ إنها تتحدث عن قصة الكاتب في سجون المخابرات الأردنية وغيرها مع ذكر تفاصيل الأحداث التي واجهها الكاتب فيها، كما امتازت الرواية بشخصها المعروفين في الأوساط السياسية الأردنية. وصدرت الطبعة الثالثة لنفس الرواية خلال عام واحد من صدور الطبعة الأولى لتصدر منها الطبعة السابعة حتى الآن. ومن الملاحظ في الرواية مزج الجانب القرآني بالشعر عناوينا وأفكارا وأشخاصا وتاريخا. عناوين فصولها مقتبسة من الآيات القرآنية ومعظم أحداث الرواية نقلها الكاتب بطريقة شعرية رومانسية تدل على ميوله وحبه للشعر.²⁸⁶

تجعل هذه الرواية تبرز عن البقية لأنّ معظم شخصياتها حقيقية، وكثير منهم ممّن عملوا في مجال السّياسي أو الدّيني، وكان لهم أثرٌ لا صغير في الحياة الأردنيّة، وتوزّعت الشّخصيّات التي تناولتها الرّواية بين أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. وبعضها شخصيّات جدليّة. ومن هؤلاء: أبو محمد المقدسي، ليث شبيلات، أبو مصعب الزرقاوي، عطا أبو الرشته.²⁸⁷ جنح الكاتب في

285 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢٠١٥، ٢١.

286 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢٠١٥، ٢١.

287 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢٠١٥، ٢١.

الرواية إلى تصوير الخطوط الخارجية لهذه الشخصيات، رسمها الكاتب بكلماته حتى شعرت حقيقة كأنما تنتفض في وجه القارئ.

يسمعون حسيها (٢٠١٢): هي روايته الثانية المنشورة، عدد صفحاتها ٣٦٨، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ٢٠١٢م. تدور أحداث رواية يسمعون حسيها حول شخصية رئيسية محورية واحدة، وهي الدكتور إياد أسعد. والشخصيات الثانوية في الرواية هي أبو نذير، قسطنطين صروف، هارون، فاروق، زوجة إياد²⁸⁸.

وهي واحدة من أكثر الروايات التي كتبت في أدب السجون شراسة. يشعر القارئ لهذه الرواية بأنه قد حبس به في السجن مع الشخصية الرئيسية للرواية، كل حادثة في الرواية تدور حول البطل الذي يمر بالألم والكروب. ومن السمات الخاصة للرواية أن الكاتب قد صور المشاهد اليائسة للبطل وهو يمر بالألم والتعذيب والقسوة بواقعية شديدة. وهذه الرواية يحكي الكاتب أيمن العتوم قصة سجين في سجن تدمر وسجن الخطيب العسكري السوري، واللذان يعتبران من أسوأ السجون سمعة في العالم. ويحكي قصة معتقل سياسي وما واجه هذا المعتقل من الإيذاء، فيستعرض أساليب التعذيب التي عذب بها في السجنين²⁸⁹.

قد يفاجأ القارئ بالتأكيد عندما يعلم أن هذه الرواية قصة حقيقية وبطلها أحد من الأشخاص الحقيقيين. أعتقل الدكتور إياد وعُذب بكل أنواع التعذيب المذكورة في الرواية. هو طبيب سوري حقيقي وعائلته في الرواية أشخاص حقيقيون. أنجز الكاتب بشكل رائع مهمته الصعبة الشجاعة للغاية بسرد قصة أشخاص حقيقيين بكل معنى الكلمة.²⁹⁰

288 العتوم، أيمن، رواية: يسمعون حسيها، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٤م.

289 العتوم، أيمن، رواية: يسمعون حسيها، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٤م.

290 العتوم، أيمن، رواية: يسمعون حسيها، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٤م.

"ويقول الكاتب أيمن العتوم عن حالته عندما كتب هذه الرواية: (لقد بكيت عشرات المرات، ونزفتُ مع كل جملة، وانتحبتُ مع كل حرف لقد أثرت مشاهد التعذيب التي رويتها في نفسي كثيرًا، إذ إنّ كثيراً من الكوابيس كانت تراودني وأصابني حمى شديدة أقعدتني في الفراش عشرة أيام لم أغادر فيها البتة) ويقول الدكتور إياد صاحب هذه المذكرات أن ما تم ذكره في الكتاب ليست الحقيقة كاملة بل أنها لا تساوي أكثر من عشرها".²⁹¹

وتتناول الرواية قصة رجل يدعى إياد ناصر اعتقل أثناء عمله واتهم بأنه إرهابي مرتبط بخلية إرهابية حاولت اغتيال الرئيس. تم القبض على إياد واستجوابه حول علاقته بهذه الزنزانة، وخلال اعتقاله عاش الدكتور إياد تجربة شبيهة بالموت كل يوم في السجن بسبب التعذيب والإذلال والانفصال عن أحبائه والحكم عليه بالإعدام والأمراض المزمنة. لقد أثرت عليه وعلى أسرته بشدة.²⁹²

وبعد فترة وجيزة من التعذيب والإذلال رهن الاحتجاز، نُقل ومن معه إلى سجن تدمر في سوريا. زنازين هذا السجن صغيرة بما يكفي لنوم فقط لشخص واحد ومع أنّها قدرة ومليئة بالحشرات، مرة يتعرض أحد الأسرى بشكل شديد فظيع لا مثيل له لمغامرته بالخروج للتنفس، وبعض النزلاء يصاب بالجنون، والبعض يبتعد عن دينهم خائفين، والبعض الآخر كان يلجأ إلى الانتحار.

وسط آلامه ومصاعبه في السجن، تنزعج حالته النفسية عندما يسمع نبأ اعتقال شقيقه أحمد. لقد كان يمر بنفس الوضع لسنوات، ولكنه يواسي نفسه بروحه المحطمة والمضطربة باستخدام مهاراته الطبية ومساعدة السجناء، وسط الألم والمعاناة تم إطلاق سراحه من

²⁹¹ محمد، ريم، مقالة: قراءة في رواية: يسمعون حسيها، موقع المرسال، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٢/٥/١٠م، الموقع الإلكتروني: <https://www.almrsl.com>

²⁹² العتوم، أيمن، رواية: يسمعون حسيها، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٤م.

السجن بعد سبعة عشر عاما، صورها الكاتب ثباته وشجاعته الروحية بطريقة رائعة. وبعد خروجه من السجن يفكر إياد كيف سيكون لقاءه بأهله، فيركب الحافلة متجهاً إلى بيته، وعندما يصل يجد أنّ أمه توفيت، وأنّ أباه تزوّج امرأة آخرورحل من البلدة، وابنته التي تركها وهي رضيعة أصبحت صبية جميلة، وزوجته التي تركها وهي حامل بقيت تنتظر عودته بالرغم من انتشار خبر وفاته، وقد رُزق بابن اسمه أحمد.²⁹³

النص مكتوب باللغة العربية الفصحى، لكن الحوارات فيها باللغة السورية العامّة. تصف الرواية حالات من الرعب والجنون والموت والجحيم التي عانى منها أكثر من عشرين ألف سجين، توفي منهم حوالي إحدى عشر ألفا بسبب الإعدام والمرض والتعذيب والانتحار هرباً من التعذيب، يناقش المؤلف في هذه الرواية تذبذب روح الإنسان بين الشك واليقين، وبين الاستقرار والانهيار، وبين المقاومة والاستسلام وبين الإيمان والكفر.²⁹⁴

ذائقة /موت (٢٠١٣): هي روايته الثالثة المنشورة، عدد صفحاتها ٤٠٨، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ٢٠١٣م. وصل عدد طبعاتها إلى أحد عشر طبعة حتى الآن. وتتناول الرواية ثلاثة محاور رئيسية هي الحب والموت والحرية. وتتخذ الرواية زمناً ومكاناً حقيقياً لأحداثها في بعض فصولها، كما تتجلى تجربة الكاتب الخاصة في الرواية كما تتميز الرواية بالرمزية العالية.²⁹⁵

تبدأ أحداث الرواية في قرية أم الكروم حيث يعيش صبي يعرف باسم واثق. تأثرت شخصيته بالعديد من العوامل، بما في ذلك جدته وأخته وطريقتهن المشية في القرية، وصديقه الوفي

²⁹³ العتوم، أيمن، رواية: يسمعون حسيها، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٤م.

²⁹⁴ صلاح الدين، سوسن، مقالة: نبذة عن رواية ذائقة /موت، ٢٣ نوفمبر ٢٠٢٢م، الموقع الإلكتروني: <https://mawdoo3.com>

²⁹⁵ العتوم، أيمن، رواية: ذائقة /موت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٣م.

جمال، ووالده الذي كان يعمل كصياد في صقل شخصيته، يدرس الوثائق في مدرستها ثم يدخل الجامعة. وفي الجامعة يتعرف إلى منى ويحبّها إليها كثيراً. في هذه الأثناء تبدأ الحرب ضد الأمة، ويقود واثق المظاهرات الرائعة في جامعته، ويظهر كشخصية رئيسية فيها، ليتم سجنه ومحاكمته مع أصدقائه المسجونين من حوله فلم يبق أحد. ويُفصل من جامعته بعد مدة طويلة قضائها. أما حبيبته منى تصاب لها السرطان فتموت قبل خروجه من السجن²⁹⁶. ويختتم الكاتب روايته بمئة من الرسائل إلى حبيبته حول عنوان "هذي الرسائلُ في هوائك قصائدٌ"، ويسقط الوثائق في مقبرتها قبل أن يصعد إلى قمة جبل ابن جبير حيث أن تكون فيها ليلة الذئاب، بعد أربعة أيام تم العثور عليه هزياً في كهف في واد ضيق، ولا يزال على شفّيته "ابتسامة واثقة" آنذاك.²⁹⁷

اسمه أحمد (٢٠١٧): هي روايته التي تدور قصة حقيقية، عدد صفحاتها ٦٦٩، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ٢٠١٧م. الرواية يتناولها الروائي قضية مشهورة في الأردن تعرف بقضية الدقاسمة، والذي كان بطلها الجندي الأردني الشاب أحمد الدقاسمي، والذي قضى عشرين عاماً في سجون الأردن حبيساً يتلقى من ألوان العذاب وأشكاله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من قبله وبعده.²⁹⁸

حبكتها قصة تصف ثلاث مراحل مختلفة من حياة البطل، فالأول منها حب البطل لوطنه وأرضه وحياته مع والده وتعلّمه فيها. والثانية حياته الجامعية والمدنية حيث أنّه صار قائدا جماهيرياً الذي ينسق الثورات المنشغلة والمظاهرات المثيرة والمسيرات المُنَدّدة، يسجن بسبب قتاله على العدوان الأمريكي والصهيوني على البلاد العربية. وبعده تبدأ المرحلة الثالثة مع

296 العتوم، أيمن، رواية: ذائقة الموت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٣م.

297 الترتيل، عادل، مقالة: قراءة في رواية / اسمه أحمد، ٢٨ مارس ٢٠١٨م، الموقع الإلكتروني: <https://www.aljazeera.net/blogs/>.

298 العتوم، أيمن، رواية: / اسمه أحمد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٧م.

السجن يغرق في فترات من الضعف. هناك يقع في فترة ضعف وسجن وموت حتى يخرج منه، وهكذا تنتهي الرواية. ولا يتعامل العتوم مع هذه القصة بناء على ما هو معروف عن القضية في وسائل الإعلام والصحائف، ولكن على أساس ما حدث له بالفعل وعلى أساس العدل والحقيقة والأدلة. وتبدأ قصة أحمد حينما كان يستعد نفسه للصلاة حيث يخدم على الحدود الأردنية الصهيونية، فلقي من الصهاينة في ذلك المكان الاستهزاء يقال الباقورة، فلم يتمالك نفسه بل أطلق عليهم النار وقتل منهم سبع فتيات وانتقم منهم. أسجنته الحكومة الأردنية عام ١٩٩٧ م، ولم يُفرج عنه من السجن حتى عام ٢٠١٧ م.²⁹⁹

خاتمة الباب

خَلَّصَ الباحث هذا الباب إلى مجموعة من النتائج التي تبرز سمات أدب أيمن العتوم وأسلوبه المميز، والتي تعكس خلفيته العلمية والاجتماعية والفكرية.

أولاً، انتقال العتوم من دراسة الهندسة إلى الأدب العربي منح أعماله أسلوباً كتابياً دقيقاً ومنظماً، يعكس وعيه بالتركيب اللغوي وبنية النصوص الروائية، ويسهم في قوة السرد وتماسك النصوص. وكما لعبت الخلفية العائلية للعتوم، ونشأته في أسرة من العلماء والمثقفين، دوراً مهماً في تعميق وعيه بالقضايا السياسية والاجتماعية، وهو ما انعكس في اختيار موضوعاته الأدبية وسرده للأحداث بشكل واعٍ ومدروس. ويتميز العتوم بغزارة الإنتاج، فقد ألف أكثر من عشرين رواية إلى جانب أعمال شعرية ومسرحية، إضافة إلى عدد من الأعمال غير المنشورة، ما يعكس إنتاجية مستمرة واهتماماً بالبحث الأدبي المستفيض.

²⁹⁹ العتوم، أيمن، رواية: اسمه أحمد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر للمركز الرئيسي، بيروت، ٢٠١٧ م.

تظهر المرجعية الإسلامية بوضوح في أعمال أيمن العتوم، إذ يستلهم شخصيات تاريخية ويجعلها أبطالاً لرواياته، كما أن ٢٣ عنواناً من رواياته مأخوذة من آيات قرآنية وتؤدي وظائف متعددة تعكس المحتوى أو تحمل دلالات رمزية. تتنوع موضوعاته بين تصوير الحزن والظلم والاستبداد، وبين إبراز القيم الإيجابية مثل الهداية والمقاومة والنصر. وأظهرت المقابلة مع الكاتب أن الرواية تمثل ترجمة حقيقية لتجربته الشخصية في السجن مع إدخال عنصر الخيال، ما يربط بين التجربة الواقعية والإبداع الأدبي. وخصص خمس روايات *يا صاحبي السجن* و*يسمعون حسيها* و*يوم مشهود* و*ذائقة الموت* واسمه أحمد وبعض من قصائده لتجربة السجن ومعاناة المعتقلين، ما يعكس التزامه بتوثيق التجربة الإنسانية وربطها بالبعد الاجتماعي والسياسي للأدب العربي.

الباب الثالث

رواية يا صاحبي السجن لأيمن العتوم: دراسة وتحليل

مقدمة الباب

سعى الباحث في هذا الباب إلى تقديم دراسة تحليلية شاملة لرواية *يا صاحبي السجن* للكاتب أيمن العتوم، من خلال قراءة فنية وفكرية معمّقة تكشف رؤية الكاتب للعالم من داخل فضاء السجن، وتبرز الأبعاد الإنسانية والفكرية التي شكّلت جوهر التجربة الروائية. فالعمل يمثل شهادة إبداعية صادقة عن معاناة الإنسان في مواجهة القيد، وصراعه من أجل الحرية والكرامة.

وقد قسّم الباحث هذا الباب إلى ثلاثة فصول مترابطة يجمعها خيط واحد هو محاولة الكشف عن البنية الجمالية والفكرية للرواية. في الفصل الأول: دراسة تحليلية لرواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم، يتناول الباحث البناء الفني للرواية من حيث العنوان، والزمان، والمكان، والشخصيات، وتسلسل الأحداث، والعقدة، والحل، واللغة والأسلوب وغيرها، أما الفصل الثاني: خلاصة رواية *يا صاحبي السجن* فقد خصّصه الباحث، بغرض تهيئة القارئ لاستيعاب السياق العام، وتتبع مسارتطور الشخصيات، وفهم التحوّلات النفسية والفكرية التي مرّ بها البطل في رحلته داخل فضاء السجن. ويختتم الباب بالفصل الثالث: التناس في رواية *يا صاحبي السجن*، الذي خصّه الباحث مركزاً على أشكال التناس الديني والأدبي والسياسي، وما تعكسه من تفاعل حيّ بين النص والمرجعيات الثقافية والتاريخية التي شكّلت وعي الكاتب وإبداعه. ومن خلال هذا التحليل تتجلى ملامح التداخل بين التجربة الفردية والتجربة الجماعية، وبين الواقع والفكر، في نصّ يحمل أبعاداً إنسانية عميقة ورسائل فكرية راقية.

الفصل الأول: دراسة تحليلية لرواية يا صاحبي السجن لأيمن العتوم

معلومات أساسية عن الرواية

رواية *يا صاحبي السجن* للكاتب الأردني أيمن العتوم تعد عملاً أدبياً فريداً يندرج تحت تصنيف أدب السجون. صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ٢٠١٢م، باكورة أعماله المنشورة. يروي العتوم فيها تجربته الشخصية القاسية التي عاشها في السجن عامي ١٩٩٦م و١٩٩٧م أثناء أيامه الدراسة، بأسلوب شعري يمزج بين الأبعاد الزمنية والمكانية ليأخذ القارئ في رحلة عميقة إلى أعماق النفس البشرية.

حظيت الرواية باهتمام واسع من القراء والنقاد، وحققت شهرة ومبيعات عالية، لكنها أثارت جدلاً كبيراً غير معتاد. فقد مُنعت من النشر وصدورت فور صدورها من قبل هيئة المطبوعات والنشر الأردنية، بدعوى أنها تسيء للنظام الحاكم.

تستند الرواية إلى تجربة الكاتب في ثلاثة سجون أردنية هي: سجن المخابرات، سجن الجودة، وسجن سواقة. جاء اعتقاله بسبب قصيدة كتبها في فترة دراسته الجامعية، اتهم فيها بانتقاد النظام الأردني. كما تتناول الرواية أحداثاً تاريخية وقعت في الأردن خلال فترة التسعينيات، مثل "انتفاضة الخبز" وقضية "بيعة الإمام" المرتبطة ببعض الجماعات الإسلامية. من السمات البارزة للرواية أن شخصياتها حقيقية وواقعية وليست من نسج الخيال تماماً، مما يضفي على الأحداث عمقاً ومصداقية استثنائية.

تم تأليفها في ضوء تجربة سجنية للكاتب بسبب قصيدته *يوميات مواطن* التي ألّفها في أمسية شعرية في قلعة عجلون وأدت الشاعر إلى الاعتقال لأنه لم يمدح فيها السلطة، بل صدح بوجع الناس ومعاناتهم من الفقر والجوع.

(١)

" هَذِهِ أَيَّامُ نَحْسٍ
فَتَهَارِي اللَّيْلُ، وَاللَّيْلُ عِبَاءَاتُ ظَلَامٍ
وَقَضَائِي مَا تَنَاءَى هُوَ رَمْسِي
كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ بِي الْأَلَامِ وَالْأَحْزَانِ
إِنِّي الْخَارِجُ مِنْ جِلْدِي إِلَى جَنَّةِ خُلْدٍ
أَنَا لَا أَحْتَاجُ شَيْئًا
إِنَّهُ أَطْلَقَ لِي حُرِّيَّتِي
إِنَّهُ نَعْنَعَنِي فِي النِّعَمِ الْغَرَاءِ
أُتِيهَا الْقُرَاءُ عَفْوًا ...
وَأَنَا أَخْشَى هُنَا أَنْ تُلْصِقُوا بِي نُبْهًا
أَنَا لَا أَهْضِمُ حَقًّا لَوْلِي الْأَمْرُ عِنْدِي
وَلَهُ بِالْعَيْشِ أَثْنَانِي وَبَعْدِي
وَيَظَلُّ الْحَاكِمُ الْلُوطِيُّ " قَوَادَ " بِلَادِ الْعُرْبِ
لِلنَّصْرِ وَلَا سِتْرَ جَاعٍ أَمْجَادٍ لَنَا مِنْ أَرْضِ فُرْسٍ
تَخْدِشُ حَدْسِي
فَأَنَا أَدْعُو لَهُ بِالْعَيْشِ قَبْلِي
كَيْ يَظَلَّ الْوَطَنُ الْمَغْصُوبُ مَغْصُوبًا إِلَى آخِرِ عُرْسٍ

أَهْ يَا رَبِّي ...
وَلَمَّاذَا عَوْرَةُ الْحَاكِمِ فِي أَوْطَانِنَا
وَلَمَّاذَا لِي أَنْ أَشْرَبَ مَاءَ الْمَوْتِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ
وَلَمَّاذَا أَنَا لَا أَسْهَرُ إِلَّا مُسْتَظِلًّا سَقْفَ " زَيْنُكُو " وَهُوَ لَا يَسْهَرُ إِلَّا فِي " الرِّجْحِ سِي "؟
هَلْ تُرَى جُنُنَا عُرَادَ
هَلْ تُرَى جُنُنَا حُقَادَ بَعْدَ " تِسْعِ "
أَمْ تُرَى جَاءَ إِلَى الدُّنْيَا شَرِيفًا
بَاعَنِي فِي سُوقِ بَحْسٍ؟
لِي مِثْلَ النَّاسِ ...
لَمَّاذَا أَسْعَدُ الْأَيَّامِ عِنْدِي يَوْمُ تَعْسٍ؟
أَقْدَسُ مِنْ أَقْدَسٍ قُدْسٍ؟
وَابْنُهُ يَغْرُقُ فِي أَنْهَارٍ " بَيْبَسِي "؟
وَهُوَ لَا يَسْهَرُ إِلَّا فِي " الرِّجْحِ سِي "؟
وَهُوَ قَدْ جَاءَ بِأَنْوَابِ الدِّمَقْسِ؟
وَهُوَ قَدْ حَلَّ عَلَيْنَا بَعْدَ " خَمْسِ "؟
وَأَنَا جِئْتُ كَعَبْدٍ
فَأَجْعَلِ اللَّهُمَّ حَظًّا
كَيْ أَحْيَا شَرِيفًا

(٢)

صَدِّقُونِي ... أَنَا إِنْسَانٌ طَبِيعِي وَعَادِي
إِنِّي أَصْحُو مَعَ الْفَجْرِ وَأَتْلُو "سُورَةَ الْفَجْرِ" إِذَا نَادَى الْمُنَادِي
قَارِئًا: "وَالْفَجْرُ" وَلَيَالٍ عَشْرَ " مُتَّبِعًا " وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُخْبِرَ السِّرِّيَّ قَدْ حَبَّأَ دُونِي آلَةَ التَّسْجِيلِ فِي ثَوْبِ الْوَسَادِ
كُنْتُ رَتَلْتُ: " أَلَمْ ... تَرَ كَيْفَ اللَّهُ قَدْ أَوْدَى بِعَادِ
إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ وَبَنِي فِرْعَوْنَ مِمَّنْ أَكْثَرُوا بَذَرَ الْفَسَادِ "
فَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُهْلِكَ أُنْبَاءَ الْفَسَادِ لَمْ أَكُنْ أَكْمِلُ حَتَّى اعْتَقَلُونِي
وَرَمَوْنِي فِي غِيَابَاتِ السُّجُونِ تُهْمَتِي قَلْبُ نِظَامِ الْحُكْمِ
وَالْتَحْرِيسُ ضِدَّ الْحَاكِمِ الشَّرْعِيِّ فِي هَذِي الْبِلَادِ أَتُيْهَا النَّاسُ أَفْهَمُونِي
إِنِّي أَحْيَا بِأَطْرَافِ الْحَيَادِ لَيْسَ لِي حِزْبٌ وَتَنْظِيمٌ وَلَا أَهْلٌ
وَكُلُّ النَّاسِ تَدْرِي أَنَّنِي عَبْدٌ بَسِيطٌ فِي الْعِبَادِ. لَيْسَ لِي قَلْبٌ لِقَلْبِ الْأَنْظِمَةِ
إِنِّي حَتَّى جَمَادٍ فِي جَمَادِ لَمْ أَزِدْ فَوْقَ حُرُوفِ اللَّهِ حَرْفِي كَلِمَةً
كُنْتُ وَحْدِي فِي اللَّيَالِي الْمُظْلِمَةِ هَلْ يَكُونُ اللَّهُ قَدْ حَرَضَنِي؟!!!
هَلْ يَكُونُ اللَّهُ قَدْ غَرَّرَ بِي، وَبَحَيَّ وَطَنِي؟!! حَاسِبُوا اللَّهَ إِذَا يَا شِرْذِمَةً
حَاسِبُوهُ ... إِنَّهُ عَلَّمَنِي: أَفْسَدُوهَا ...
أَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ وَتَمَادَوْا فِي الْبِلَادِ
وَإِذَا مَا شِئْتُمْ ... حَاسِبُونِي أَنَا مَا عُدْتُ أَخَافُ
فَإِنَّا أَنْحَرَفُ الْآنَ وَهَذِي رَغْبَتِي فِي الْإِنْجِرَافِ وَتَمَادِيَّ عَلَى الْجَزَارِ وَحْدِي بَيْنَ قُطْعَانِ الْخِرَافِ
حَسَنًا ... أَمْتَشِقُ الْآنَ اعْتِرَافِي إِنِّي كُنْتُ الضَّجِيَّةُ
رَوْعَةُ الْقُرْآنِ أَغْرَتْنِي بِتَأْوِيلِ الْمَقَاصِدِ هَذِهِ كُلُّ الْقَضِيَّةِ
كُنْتُ أَسْتَفْسِرُ فِي سِرِّي وَقَلْبِي فَوْقَ جَمْرِ الْخَوْفِ سَاجِدًا:
أَهْ يَارَبِّي لِمَاذَا خُلِقَ الْحَاكِمُ لُوْطِيًّا وَشَعْيِي الْإِسْتُ ...
وَالْمَأْدُونُ أَمْرِيكَ ... وَشَعْرِي دُونَ كُلِّ النَّاسِ شَاهِدًا!!
وَلِمَاذَا يُصْبِحُ " الْقَوَادُ " فِي كُلِّ بِلَادِ الْعَرَبِ قَائِدًا
وَلِمَاذَا يَطْلُعُ الصُّبْحُ عَلَيْنَا وَرُسُومَاتُ وَلِيِّ الْأَمْرِ " كَالْحَازِقِ " فِي كُلِّ الْجَرَائِدِ
أَوَّلُ الْأَخْبَارِ طَارَ الْحَاكِمُ الْمَحْبُوبُ لِلصِّينِ. سَيَلْقَى مَلِكَ الصِّينِ لِتَطْبِيعِ الْعَلَاقَاتِ

وَتَثْبِيتِ الْكَرَاسِي وَالْمَوَانِدُ

أَخِرُ الْأَخْبَارِ فِي يُمْنٍ وَحِفْظِ اللَّهِ عَائِدُ

قَسَمًا بِاللَّهِ وَالتَّارِيخِ وَالذَّهْرِ

وَأَلْفِ الْقَصَائِدِ

لَنْ تَرُونِي أَنِّيَا الْحُكَّامُ إِلَّا

شَوْكَةً فِي خَلْقِ كُلِّ الْبَرَبِيَّةِ

وَيَدًا تَخْتِمُ بِالْجَمْرِ عَلَى أَعْجَازِكُمْ:

"إِنِّي أَكْرَهُكُمْ ... تَحْتَهَا تَوْقِيعُ حَاقِدٍ ..."

وَدَمًا يَغْلِي بِحَقْدِي

يَتَلَطَّى خَلْفَ رُوحِي الشَّاعِرِيَّةِ

مَا الَّذِي قَاسَمْتُمُونِيهِ لِتَحْيَا

بَيْنَ مَوْتِي وَحَيَاتِي

لَفُظَةً مِنْ غَايِرٍ أَوْ مِنْ بَغِيَّةٍ؟!

يَا شُيُوحَ الْفِسْقِ حُكَّامَ الْبِلَادِ الْهَامِشِيَّةِ

يَا دُعَاةَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْعُهْرِ وَالطُّهْرِ

وَبَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ

وَالْمُسْلِمِ دِينًا وَالْيَهُودِيَّ

لِنَبْدِ الْعُنْصُرِيَّةِ

سَوْفَ أُتْقِنُ صَفْحَةَ التَّارِيخِ سَوْدَاءَ بِكُمْ

يَا "سَرَسَرِيَّةُ"

وَعَلَى مِزْلَةِ التَّارِيخِ أَنِّي

مَجْدَ تَارِيخِ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ

وَسَادَعُوا اللَّهَ فِي سِرِّي وَجَهْرِي

لِيَصِيرَ الْحَرْفُ فِي شِعْرِي شَظِيَّةً

وَلِيَبْقَى يَبْرُقُ الْأَشْعَارُ يَسْمُو

فَوْقَ هَامِ الْبُنْدُوقِيَّةِ

(٣)

مَا الَّذِي أَوْغَرَ صَدْرِي ...؟!

مَا الَّذِي عَلَّمَهُ الْحَقْدُ

فَصَارَ الْحَقْدُ سَكِينًا لَكِي يَطْعَنَ شِعْرِي؟!

مَا الَّذِي غَيَّرَ بَشْرِي؟!

مَا الَّذِي يَجْعَلُنِي

أَنْظُرَ. مَهْمَا طَالَتِ الْأَيَّامُ. قَبْرِي؟!

فَأَنَا الْحُزْنُ، أَنَا الْحُزْنُ

تَفَاعِيلًا وَأَنْعَامًا شَجِيَّةً

وَأَنَا الْخَارِجُ مِنْ دَائِرَةِ الْحُلُمِ إِلَى الصَّخْرَاءِ

مِنْ ذَنْبِ أَعَاصِيرِي الْعَتِيَّةِ

وَأَنَا الْغَارِسُ فِي الصَّدْرِ حِرَابِي

وَأَنَا الْجَالِسُ فَوْقَ الْجَمْرِ

مِنْ جَمْرِ اكْتِنَابِي

وَأَنَا الْمَطْعُونُ وَالْمُنْبُوذُ

وَالْغَارِقُ فِي بَحْرِ اضْطِرَابِي

وَأَنَا الْمَحْمُولُ مِنْ نَارِ عَذَابٍ لِعَذَابٍ

وَأَنَا الْمَرْوِيُّ مِنْ مَاءِ السَّرَابِ

وَأَنَا الْمَحْكُومُ بِالْجُرْمِ

كَأَصْحَابِ السَّوَابِقِ

وَأَنَا الْمَثْرُوعُ مِنْ أَرْضِي كَأَلْفِ الزَّنَابِقِ

وَأَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ

أَلْفُ بَيْتٍ مِنْ قَصِيدِي

يَفْتَحُنِي صَهْوَةُ أَعْوَادِ الْمَشَانِقِ

وَأَنَا السَّابِقُ أَيَّامِي

وَمَوْجُ الْمَوْتِ سَابِقُ
فَوْقَ رَايَاتِ اعْتِلَائِي
أَنَا لَا أَقْبَلُ إِلَّا مَسْحَهُ
هَذِهِ مِنْهُ "أَوْلَادِ الْقَدِيمَةِ"
إِلَى أَيْنَ الْمَقَرِّ؟!
وَأَنَا مَوْعِدُكُمْ بِالْمَوْتِ وَبِالْهَلْكِ
وَالِإِخْرَاجِ حُرْ
لَكُمْ الْعَارِ
وَأَنَا أَكْتُبُهُ
فَازِفُعُونِي أَتِيهَا الْحُكَّامُ أَسْمُو
وَلْتَعِدْ أَلْسُنُكُمْ مَسَحَ حِدَائِي
حَتَّى تَرَوْا فِيهِ وُجُوهًا كَالِحَاتٍ وَدَمِيمَةً
وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْأَمْرُ وَالنَّاهِي ...
مَوْعِدِي جَنَّةُ خُلْدٍ
إِلَى آخِرِ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِي
فَأَفْعَلُوا مَا شِئْتُمْ
وَلِي التَّارِيخُ، وَالتَّارِيخُ شِعْرِي
مِثْلَمَا يُكْتُبُ فِي اللَّوْحِ الْقَدَرُ³⁰⁰

إريد

١٦/٠٩/١٩٩٥

عدد الصفحات والفصول

تقع رواية يا صاحبي السجن في حدود ٣٤٤ صفحة، وتتكوّن من ١٦ فصلا.

العنوان

يحمل عنوان رواية يا صاحبي السجن معان متعددة، ويتميز بالغموض الذي يجذب القارئ منذ البداية. العنوان لا يقتصر على الإشارة إلى السجن كمكان فقط، بل يتجاوز ذلك ليكون رمزا للصراع الداخلي الذي يعيشه الإنسان، وللتحديات التي تتطلب الصبر والمقاومة أمام الظلم. وبذلك، يصبح العنوان مدخلا لفهم إطار الرواية العام، ويحفز القارئ على التفكير في طبيعة الأحداث والشخصيات، ويثير تساؤلات حول هوية المخاطب وعلاقته بالسجن، وهو ما يتضح بشكل أوضح عند التعمق في النص.

³⁰⁰ العتوم، أيمن، قصيدة: يوميات مواطن، أرسله الكاتب إلى الباحث بتاريخ ٢٥/١١/٢٠٢٥ م عبر واتساب لعدم حصوله على تصريح النشر في الأردن.

ومن خلال الدراسة التحليلية، يتبين أن أيمن العتوم استلهم هذا العنوان من سورة يوسف. "يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَزْنَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"³⁰¹. هذا الاقتباس القرآني ليس مجرد استعارة لغوية، بل وسيلة لتسليط الضوء على العناصر الأساسية للرواية، مثل السجن، الفتنة، الخيانة، الانتصار، العفو، والرحمة. وقد استطاع الكاتب مزج هذه العناصر كلها ضمن هيكل متكامل، ما يجعل العنوان يعكس جوهر الرواية وصراعاتها الفكرية والنفسية، ويبيئ القارئ لاستيعاب أبعاد النص الروائي بطريقة عميقة المكان. وفي أواخر الرواية يرد مقطع يصوّر علاقة الراوي القوية برفيقه في السجن علي ويوسف، حيث تبدو ملامح الأخوة العميقة التي نشأت بينهم داخل المعتقل.

"في الفجر، خرجنا من قبورنا، يبدو أنّ (عليا) أوشك أن يُقيم الصلاة، كان صوته يأتي شفيفًا مبوحًا بعض الشيء وهو يهزّ كتفي من أجل الاستيقاظ، صَنَعَ معي هو و(يوسف) من بعده معروفًا لا يُنسى أيام كنتُ أوي إلى فراشي مُقَرَّح العينين من السّهر والقراءة والعشق. لم يكن من سبيل إلى الاستيقاظ إلّا بذلك الصّوت الشّجيّ مع هزّة الكتف تلك؛ بهما شعرتُ بدفء الأخوة، ومعهما عشتُ أحلى لحظات الوقوف بين يديّ الله"³⁰²

ورغم أن الراوي لا يصحّح بأن هذه العلاقة هي السبب المباشر في اختيار العنوان، إلا أن الباحث يمكن أن يستنتج أن المقصود بالصاحبين في العنوان قد يكون إشارة إلى هذين الرفيقين الواقعيين اللذين شكّلا رمزا للوفاء والمساندة الإنسانية وسط قسوة التجربة.

³⁰¹ سورة يوسف، القرآن الكريم، رقم الآية ٣٩.

³⁰² العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٢٩٣.

الشخصيات الرئيسية

تعد الشخصيات في رواية *يا صاحبي السجن* من العناصر الأساسية في بناء النص الروائي، إذ تساهم في نقل تجربة السجن وتجسيد الصراع بين القهر والمقاومة. وتتنوع هذه الشخصيات لتظهر أبعادا مختلفة من المعاناة والصبر والأمل، كما تعكس مواقف الأفراد الفكرية والنفسية أمام الظلم. ويسعى الباحث فيما يلي إلى تقديم معلومات مفصلة عن هذه الشخصيات.

أيمن العتوم (الراوي): تُعد شخصية الراوي في رواية *يا صاحبي السجن* محور الأحداث، إذ تدور حولها كل الوقائع في النص. هو شاب متعلم، مر بمرحلة الدراسة الجامعية قبل أن يُسجن نتيجة مواقفه الفكرية والسياسية. منذ البداية يظهر مثقلا بالهموم، ولكنه متمسك بالأمل، ما يمنحه بُعدا نفسيا عميقا.

نفسيا، يعيش الراوي صراعا بين الخوف من القيود والوحدة، وبين رجاء من إيمانه بالحرية وقوة الفكر. يظهر هذا الصراع في حواراته الداخلية ومحاولاته المستمرة لمواجهة القمع من خلال الكتابة والتأمل. من ناحية السرد، لا يقتصر دوره على سرد الأحداث فحسب، بل يمثل صوت جيل كامل من المثقفين الذين اختبروا مرارة السجن. يصف الأماكن والأزمنة ويربط القارئ بتجارب الشخصيات الأخرى، ليصبح عنصرا محوريا في بناء الرواية.

تحمل الشخصية أيضا دلالة رمزية تتجاوز الفرد إلى المجتمع، فهي تجسد المثقف المقاوم الذي يسعى للحفاظ على إنسانيته أمام سلطة ظالمة. كما يعكس تطوره بعد الخروج من السجن فكرة التجدد، إذ يزداد وعيه برسائله الأدبية والفكرية. ويعد الشخصية المحورية والساردة والناقلة لأحداث الرواية، عُرفَ بجراته وشجاعته من خلال أمسياته الشعرية التي ألقاها، وأدت به إلى دخول السجن.

والد الراوي: شخصية والد البطل في الرواية تمثل الصبر والدعم العاطفي والأخلاقي، فهو يسافر أسبوعيا لمقابلة ابنه ليواسيه ويعلمه الثبات والكرامة، ويشكل رابطا بينه وبين الحرية

خارج السجن، مما يعزز صموده النفسي أمام القمع والظلم. كما يحاول مساعدته على الخروج بوسائل مختلفة، فقد نقل أخبار قضيته عبر الصحف، وقدم مقابلات مع وسائل الإعلام، وساهم في نشر قصائد البطل خارج السجن، ليضع قضيته تحت متابعة الإعلام ويضغط على السلطات لإنصافه.

علي: شخصية متزنة وهادئة، يحمل شهادة الماجستير في الشريعة، يتميز بالحكمة والعقلانية، نال احترام الجميع داخل السجن، وكان مثقفاً ومؤمناً، يُشعر الكاتب بالراحة عندما يتحدث معه. لعب دور الصديق الصادق والداعم للكاتب داخل الزنزانة، وكان يستمع له ويشاركه الحديث والهموم، مما ساعد الراوي على تحمّل قسوة السجن نفسياً وروحياً.

يوسف: كان شاباً نحيفاً ونحيفاً، يحب التحدث مع الآخرين وكأنه يعرفهم من زمن بعيد، وقد دخل إلى السجن بسبب تصرفاته الطائشة وجمعه للألغام.

عكرمة: هو شاب تخرج من قسم الهندسة المعمارية، كان من هواة جمع الألغام، الأمر الذي سبب دخوله إلى السجن.

ناهض: صديق مقرب من بطل الرواية داخل السجن. شخصيته قوية ومؤثرة في الرواية. كان يخفف عنه حزنه ويشاركه الحديث والأفكار. وهو شخص ذكي ومثقف، وجوده جعل تجربة السجن أقل قسوة على البطل.

شادي: أحد السجناء في سجن الجويذة، اعتقل بتهام مشاركته في نضال الخبز. وأصبح صديقاً للكاتب في سجن الجويذة وبعده في سواقة.

عبد الله: هو صديق الكاتب المقرب في السجن، وأول من استقبل الكاتب بحفاوة في مهجع (٦) في سجن سواقة، كان شاباً ذا بشرة بيضاء وعينين ملونتين، وخريجاً من كلية الآداب بجامعة مؤتة. يجمع بينه وبين الكاتب حب الشعر، يتميز بقدرته الفائقة على سرد القصص وإلقاء

الشعر بصوت إذاعي جميل، كان أيمن العتوم يستمتع بالاستماع إليه وأصبحت نشيدته في السدن مصدر راحة وسلوى للكاتب في أيام السجن القاسية.

ليث: هو سجين استثنائي يمتلك شخصية غامضة وهادئة. ارتباط الكاتب به أصبح سببا في جعل حياة الكاتب في السجن أكثر متعة، وأضفى عليه راحة البال أثناء عيشه في سجن سواقة.

الشخصيات الثانوية

تدور أحداث رواية *يا صاحبي السجن* بين عدد من الشخصيات الثانوية، وهي:

الحجّي: تعني الحارس الموكل بحراسة الزنازين في دائرة المخابرات.

الشاويش: سجين يكلف من إدارة السجن بالإشراف على الزنزانة، وينقل أوامر السجّانين، وغالبا ما يُصوّر كشخص متواطئ معهم ومكروه من بقية السجناء.

متهمو المخدرات: هم سجناء أُودعوا السجن بسبب تعاطيهم أو ترويجهم لها. إنه يصورهم كضحايا للظروف الاجتماعية الصعبة والانحراف. يصورهم الكاتب رمزا لأشخاص ضلّوا طريقهم بسبب ظروف حياتهم القاسية. يبرز الكاتب مأساتهم من خلال أجسادهم التي تنبعث منها الروائح الكريهة، ونظراتهم الفارغة، ومظهرهم الذي يشبه الموتى الأحياء، مما يؤكد على عمق حالتهم المزرية.

القاضي في المحكم: شخصية ثانوية تمثل التناقض بين المظهر الودود والسلطة القاسية. ظهر في المحكمة مبتسماً ومعجباً بالشعر، ثم تحوّل فجأة إلى قاضٍ صارم يوجه التهم، ليُعيد أيمن العتوم إلى السجن دون حكم.

عطا: شخصية ثانوية تمثل الالتزام العقائدي والتمسك بالحزم بفكرة واحدة كبرى. يجسد فكر حزب التحرير في الواقع العملي داخل السجن، إذ يربط كل ما يقوم به بهدف إقامة الخلافة الإسلامية. وجوده يرمز إلى حضور التيارات السياسية والفكرية في السجون.

رائد: سجين سياسي وشجاع في ثلاثينات من العمر، وأمير السجناء في مهجع (١٢) في سجن سواقة.

بكر، سليم، أحمد، جهاد، زكريا، محمد، تاريخ، خليل، ماجد، حسين، يس، إبراهيم، خالد: زملاؤه السجناء في غرفة (٦) في سجن سواقة.

الأحداث الرئيسية

الأمسية الشعرية ورفض تمجيد الحاكم: تبدأ الأحداث بمحاولة البطل التعبير عن رأيه من خلال قصيدة في قلعة عجلون، حيث رفض كتابة قصيدة تمجّد الحاكم أو الانصياع لمطالبه. كما رفض قبول السلطة أو تقديم اعتذار شكلي لتجنب العقوبة. هذه المواقف البسيطة لكنها حازمة أدت إلى اعتقاله لاحقاً، مُظهرة الصراع بين الحرية الفردية وبين السلطة القمعية التي لا تتسامح مع المعارضة أو النقد الفني.

الاعتقال والتحقيق والتعذيب: بعد الاعتقال، يخضع البطل لجولات تحقيق مكثفة من قبل المخابرات، حيث تعرض للضغط النفسي والجسدي الشديد. تعرضوا بعض السجناء للتعذيب، بينما حاولت السلطات إجباره على تمجيد الحاكم في شعره، لكنه رفض بشدة. هذه المرحلة تُبرز صمود الشخصية ومقاومة القهر، كما تكشف عن عنف النظام وطرق السيطرة النفسية والجسدية على السجناء.

الحياة داخل السجن وبناء العلاقات: أثناء فترة السجن، يكوّن البطل علاقات إنسانية مع سجناء من خلفيات مختلفة، مثل عليّ وعكرمة ويوسف، ويتعلم معهم لغة السجن التي تنظم حياة المسجونين، ويشاركهم التعلم والأنشطة اليومية. هذه المرحلة تُظهر قدرة السجناء على إيجاد مجتمع داخلي متماسك يعوض الحرية المفقودة، ويبرز أهمية التضامن والصدقة في مواجهة القسوة.

الإضراب عن الطعام والمقاومة الرمزية: نتيجة للقيود الشديدة وانتهاك حقوقهم، يقرر البطل وزملاؤه الإضراب عن الطعام. تُوضح هذه الأحداث القوة الرمزية للفعل الجماعي، حيث يتحملون العزلة والبرد والجوع، ويصمدون رغم التهديدات والضغوط، حتى يتم قبول بعض مطالبهم، مثل السماح بالخروج إلى الشمس وتحسين الرعاية الصحية والدراسة.

الدعم الأسري والإعلامي: يلعب والد البطل دوراً محورياً في تعزيز صموده، فقد سافر أسبوعياً لمقابلة ابنه في السجن، وواسته بالكلمات المشجعة، ونقل أخبار قضيته عبر الصحف، وقدم مقابلات إعلامية، وساهم في نشر قصائد ابنه خارج السجن. هذه الجهود وضعت القضية تحت متابعة الإعلام، وضغطت على السلطات لتحقيق بعض العدالة، وأكدت دور الأسرة والدعم الخارجي في الصمود النفسي والسياسي.

الأمل الداخلي والنهاية: في نهاية الرواية، وبعد انتهاء مدة العقوبة، يخرج البطل من السجن وقد اكتسب الحرية الداخلية والنضج الروحي. الأحداث الأخيرة تُظهر التحول النفسي العميق للشخصية نتيجة تجربة القمع والصمود، وكيف أصبح السجن مدرسة للحرية الروحية والكرامة، مما يعكس التناقض بين القيد الجسدي والتحرر النفسي.

الزمان

يظهر الزمن في الرواية كعنصر أساسي يعكس تجربة البطل ومعاناته داخل السجن. تبدأ الأحداث في عام ١٩٩٦م حين يُعتقل الكاتب بعد أمسية شعرية في قلعة عجلون، وتمتد فترة السجن نحو عام كامل، لكن الزمن في الرواية لا يسير بشكل خطي، بل يتداخل فيه الماضي والحاضر. فالزمن الحاضر يمثل السرد عن أحداث السجن: التحقيق، الحياة في الزنزانة، القيود اليومية، الإضراب عن الطعام، والتعامل مع زملائه السجناء، بينما يظهر الزمن الماضي من خلال ذكريات البطل خارج السجن، مثل أيام الجامعة، الأمسية الشعرية، زيارات والده، والتي تُسترجع أحيانا أثناء الأحداث الحالية لتسليط الضوء على الفرق بين الحرية والقيود.

يبدو الزمن في السجن طويلاً وثقيلًا، بينما تمر لحظات الذكرى بسرعة لأنها مرتبطة بالحرية. وهكذا يصبح الزمن في الرواية رمزا للقيود والقهر، وفي الوقت نفسه زمنا للتأمل والصبر والنضج الداخلي، حيث يتحول السجن إلى مدرسة للحرية الروحية والمعنوية ويبرز صراع البطل الداخلي بين الحرية والقيود.

المكان

قلعة عجلون: تمثل قلعة عجلون بداية الأحداث في الرواية، حيث ألقى البطل قصيدته التي انتقد فيها الظلم، ما أدى إلى اعتقاله. القلعة ليست مكانًا عاديًا، بل رمز للمجد التاريخي والحرية، مستحضرة أمجاد صلاح الدين الأيوبي وانتصاراته على الصليبيين. من خلالها يبرز الصراع بين الكلمة والقيود، وتبدأ رحلة البطل النفسية والسياسية نحو السجن والتحديات. الجامعة (مُختبر التربة): عندما كان بطل الرواية، وهو طالب الهندسة، يُجري اختبارًا للتربة في المختبر، تلقى أول إشارة بأنه سيُعتقل كجزء من حملة قمعية من الحكومة. وقد جاءت هذه الإشارة من أحد زملائه، الذي كان يُشتبه بأنه جاسوس للمخابرات. الرواية تبدأ من خلال سياق الحوار الذي جرى هناك.

بيت البطل: الذي يعيش فيه بطل الرواية هو المكان الذي تبدأ فيه لحظة التحول الكبرى في حياته. فبينما كان ينتظر اعتقاله، جاءت قوات الشرطة وضباط المخابرات في الليل لتفتيش المنزل. وبدعوى التحقيق، صادروا ممتلكاته الشخصية، ثم اقتادوه للاستجواب، الذي تحول إلى اعتقال فعلي. هذا الاعتقال لم يكن مؤقتًا، بل امتد إلى شهور طويلة من المعاناة داخل السجن، قبل أن يُفرج عنه أخيرًا.

دائرة مخابرات إربد: قبل دخوله السجن، اقتاد الضباط بطل الرواية إلى هذا المكان للتحقيق معه. في غرفة ضيقة ومغلقة فيها، أمضى يوما واحدا فقط، لكنه كان كفيلاً بأن يهز استقراره

النفسي ويزرع في داخله القلق والاضطراب. وهناك، حين رأى زملاءه السابقين وأشخاصًا يعرفهم من قبل، أدرك أنه قد تعرّض للخيانة.

سجن الجويذة: بعد التحقيق في دائرة مخبرات إربد، نُقل بطل الرواية إلى السجن، هذا هو السجن الذي يُحتجز فيه عادةً السجناء قبل المحاكمة.

زنزانة السجن رقم ٦٧: وُضع في الزنزانة رقم ٦٧ في سجن الجويذة. هناك بدأت مرحلة جديدة من المعاناة، فقد أصبح هذا الرقم رمزًا لمرحلة قاسية في حياته، حيث عاش بين الجدران الباردة في عزلة وألم مستمر.

زنزانة السجن رقم ٩٥: نُقل الكاتب من زنزانة رقم ٦٧ إلى زنزانة رقم ٩٥ في نفس السجن. تتناول الأجزاء الرئيسية من الرواية تجاربه السجنية في هذه الزنزانة.

غرفة المستودع في السجن: بعد التحقيق الثاني، أُدخل الكاتب إلى غرفة في سجن الجويذة تُسمى "المستودع". لم تكن مخصصة للسجين، بل هذه الغرفة كانت معدة لحفظ أدوات أفراد الأمن من العاملين في السجن، ولكن بسبب الزحمة وضعوه فيها. الغرفة كانت ضيقة وغير مناسبة.

سجن سواقة: السجن الثالث، بعد أن قضى الكاتب فترة في سجن الجويذة الذي يُحتجز فيه المجرمون المدانون بعد انتهاء محاكمتهم والنطق بالحكم عليهم. نقل البطل إليه، كان هذا السجن يقع في صحراء جنوب عاصمة عمّان. يصف الكاتب هذا السجن بأنه كان أشد قسوة من سابقه، من حيث الانفرادية والظروف القاسية. وكان محاطًا بالرمال الحارقة، والبُعد عن المدينة زاد من الإحساس بالغربة والوحشة. لذا شعر الكاتب أن هذا المكان صمم خصيصًا لقتل الروح قبل الجسد، بعيدا عن كل مظاهر الحياة.

المهجع (١٠) غرفة (٢٢١): زنزانتة في سجن سواقة، كانت تجربته فيها مريرة وأليمة. لأنه يضم عادة السجناء الجنائيين، سكن أيمن العتوم في هذا المهجع بضع أيام فقط.

المهجع (٦): بصورة مقصودة، تسبب أيمن العتوم في مشكلة ليتم نقله من البلوك رقم ١٠، المخصص للمجرمين، إلى المهجع رقم ٦، المخصص للسياسيين، حيث كانت الظروف أفضل والسجناء أكثر توافقاً معه. ونتيجة لذلك، تم نقله بالفعل إلى المهجع ٦.

المهجع (٤) غرفة (٢): الزنزانة التي أُدخلها أيمن في سجن سواقه مع زملائه السجناء أثناء إضرابهم عن الطعام من أجل حقوقهم. كانت الحياة في تلك الغرفة النتنة والقذرة كالجحيم.

شخصيات وقضايا من داخل السجن:

التقى الكاتب في السجن بالعديد من أصحاب القضايا السياسية وقضايا الرأي العام، منهم على سبيل المثال:

بيعة الإمام: داخل سجن سواقه الأردني، التقى الكاتب أيمن العتوم بجماعة "بيعة الإمام"، وهم السلفيون الجهاديون الذين اعتنقوا الفكر المتطرف واعتمدوا العمل المسلح لتحقيق أهدافهم الدينية والسياسية. اعتقلت السلطات الأردنية هذه المجموعة بسبب المخاطر التي شكلتها على الأمن الوطني. رصد الكاتب أفكارهم ونقاشاتهم، مبرزاً تأثير التطرف الديني على بعض الشباب الأردني.

حزب التحرير: كما التقى العتوم بأعضاء "حزب التحرير"، وهي جماعة إسلامية تسعى لإقامة الخلافة الإسلامية وتعمل في الأردن وخارجها. اعتقل بعض أعضائها بسبب نشاطهم السياسي، وقد لاحظ الكاتب اختلافهم عن السلفيين الجهاديين لتركزهم على الفكر والسياسة أكثر من العنف. تمثل هذه المجموعة التيار الفكري الإسلامي السياسي ضمن المشهد الأردني، وتوضح تنوع التيارات الإسلامية في البلاد.

ثورة الخبز: تمثل ثورة الخبز جانب الاحتجاج الاجتماعي، حيث اندلعت احتجاجات شعبية ضد ارتفاع أسعار الخبز في الأردن. اعتقلت السلطات مشاركين من العشائر الموالية للنظام

والبعثيين. أظهر الكاتب كيف ضمت السجون الأردنية نشطاء اجتماعيين إلى جانب المعتقلين السياسيين والدينيين، وتعكس القضية الصراع الاجتماعي والاقتصادي في الأردن.

قضية الموجب: تتعلق قضية الموجب بأفراد من سلاح الجو الأردني حاولوا تفجير حافلة يهودية، لكن السلطات كشفت المخطط واعتقلت المجموعة قبل التنفيذ. رصد الكاتب في السجن التحولات النفسية والاجتماعية لهؤلاء المعتقلين. وتبرز القضية التحديات الأمنية التي واجهتها الأردن نتيجة التحولات نحو التطرف المحلي.

الأفغان العرب: التقى الكاتب أيضًا بـ الأفغان العرب، وهم شباب أردنيون تأثروا بالحرب في أفغانستان وانتقلت إليهم أفكار الجهاد المسلح، وارتبط اسمهم بأعمال عنف وتفجيرات دور السينما. اعتقلتهم السلطات الأردنية، وقد أظهر الكاتب تأثير الفكر الجهادي الخارجي على الشباب الأردني داخل السجن.

ألغام عجلون: تعكس قضية ألغام عجلون نشاطا مسلحا محليا، حيث حاول شباب أردنيون توزيع ألغام في الحقل ضد اليهود، وتم اعتقالهم قبل التنفيذ. التقى الكاتب بهذه المجموعة داخل السجن ورصد أفكارهم وخططهم، مبينا المخاطر الناتجة عن الانخراط في العنف الفردي والجماعي.

ليث شبيلات: التقى العتوم بليث شبيلات، البرلماني الأردني السابق، الذي يمثل تجربة النخب السياسية داخل السجون. توضح هذه القضية الفرق بين المعتقلين العاديين والنخب السياسية. ناقش الكاتب معه بعض الأحداث السياسية الأردنية، مؤكدة تنوع الشخصيات والخلفيات في سجن سواقة.

اللغة والأسلوب

يتميز أسلوب أيمن العتوم اللغوي في الرواية بتنوعه بين الفصحى والعامية، ما يمنح السرد حيوية وواقعية. يستخدم الكاتب الفصحى الشعرية في الوصف والسرد الداخلي للشخصية، ويستعين أحياناً بآيات قرآنية وأمثال شعبية لتعميق البعد الديني والثقافي للنص، بينما تظهر اللغة العامية في حوارات السجناء اليومية ومع موظفي السجن، بالإضافة إلى الأمثال الشعبية والأغاني الشبابية، مما يقرب القارئ من الواقع المعيش ويبرز التباين بين عالم السجن والعالم الخارجي. هذا المزج بين مستويات اللغة المختلفة يعكس قدرة الكاتب على التعبير عن الصراع النفسي والاجتماعي للبطل، ويعزز البعد العاطفي والفكري للرواية، مجسداً تجربة السجن والحرية الداخلية بأسلوب شعري ومؤثر.

العقدة

في الرواية تتمثل العقدة الأساسية في صراع البطل مع القمع السياسي والاجتماعي، بدءاً من اعتقاله بعد رفضه تمجيد الحاكم وكتابة قصائد مطيعة، ورفضه الاستسلام لضغوط السلطة، حيث يواجه التعذيب النفسي والجسدي، العزلة القاسية، مصادرة الممتلكات، ومنع الخروج للشمس، إضافة إلى محاولات كسر إرادته عبر الإغراءات والشهرة مقابل الاستسلام. تصاعدت العقدة مع صعوبة التكيف مع ظروف السجن القاسية والانفصال عن الحرية والأسرة والوطن، ما جعل البطل أمام صراع داخلي بين الخضوع أو التمسك بالمبادئ والقيم الإنسانية.

الحل

أما الحل، فيتجسد في صمود البطل الداخلي وتمسكه بمبادئه، وتضامنه مع زملائه في السجن، وكونه جزءاً من مجتمع داخلي متماسك يدعم القيم الإنسانية والسياسية، كما لعب

إيمانه العميق وثقته بالله وقراءته للقرآن الكريم دورا محوريا في تعزيز ثباته النفسي والروحي، إذ وفرت له الصلاة والقرآن الطمأنينة والحرية الداخلية، وساعدته على مواجهة القسوة والإهانات اليومية، فيما دعمته الثقة الروحية والأمل في الحفاظ على إرادته الصلبة وعدم الانكسار. وفي النهاية، يُطلق سراح البطل بعد قضاء فترة العقوبة، وقد اكتسب الحرية الداخلية والنضج الروحي والكرامة، ليعكس أن الانتصار الحقيقي لم يكن فقط بالتححرر من السجن، بل في صمود الإرادة والتمسك بالقيم الإنسانية والدينية وسط القهر، مما يجعل الرواية دراسة عميقة لتأثير السجن على النفس والهوية الإنسانية في سياق سياسي قمعي.

السمات الفنية في الرواية

تتميز الرواية بعدة سمات فنية تجعلها عملا أدبيا مميزا، حيث يعتمد السرد على أسلوب شعري منفتح يمزج بين الجماليات الكلاسيكية والتقنيات الحديثة في الكتابة، مما يتيح للراوي التعبير عن الصراعات الداخلية للبطل ومعاناته في السجن، ويبرز الرؤى النفسية العميقة حول الوحدة والصمود، وكذلك التفكير الفلسفي حول الحرية والعدالة والكرامة.

تعكس الرواية التناص مع القرآن الكريم والموروث الديني الإسلامي، مما يمنح البطل قوة روحية وثباتا نفسيا، ويستحضر التاريخ الإسلامي والقيم الأخلاقية مثل الصبر والشجاعة والعدل، لتصبح التجربة السجنية امتدادا للبعد الروحي والثقافي للبطل.

كما تستخدم الرواية اللغة العامية في الحوارات بين السجناء وموظفي السجن، ما يعكس الواقعية الاجتماعية ويبرز التنوع الثقافي والطبقي بين الشخصيات، بينما يظل السرد في معظم الأحيان لغة شعرية عالية تعكس المشاعر والتأملات الداخلية للبطل.

تستعين الرواية أيضا بالشعر العربي الشعراء من العصور الجاهلية، والأموية، والعباسية، وحتى العصر الحديث، بالإضافة إلى الأمثال الشعبية القديمة، لتربط الأحداث بالتراث الثقافي

والفكري العربي، وتوضح كيف يمكن للشعر أن يكون متنفساً روحياً ونفسياً، ويساعد على الثبات الداخلي وسط الظروف القاسية.

ويغلب على الرواية الأسلوب الوصفي التفصيلي في تصوير الزنانات والسجن والطقوس اليومية للسجناء، ما يعكس بدقة التجربة النفسية للبطل، ويبرز الرمزية في الأحداث والأشياء مثل القلعة، الشمس، الحمامة البيضاء، والنسر الأسود، للدلالة على الحرية والقمع والأمل.

الفصل الثاني: خلاصة رواية يا صاحبي السجن

كانت عجلون بقلعتها الشامخة التي تذكر بأمجاد صلاح الدين هي الأم الروحية للبطل. في إحدى الأمسيات، لى دعوتها لإحياء أمسية شعرية في هذا الصرح التاريخي. لم يمدح البطل في قصيدته يوميات مواطن السلطة، بل صدح بوجع الناس ومعاناتهم من الفقر والجوع.

كان صوته صادقا حرا، ولذلك أصبح موضع رقابة وعداء من النظام، الذي لم يتقبل إلا شعراء البلاط. بعد أيام من الأمسية، شعر الراوي أن ظلال القلعة وأصداء القصيدة تلاحقه في كل مكان. لاحظ زملاؤه في الجامعة توتره، وحذره أحدهم من أن رجال المخابرات ينوون اعتقاله. لكنه ظل هادئا مؤكدا أنه لم يرتكب ذنبا سوى قول الشعر.

مرت أيام قليلة، وفي إحدى ليالي سبتمبر عام ١٩٩٦م، وبينما كان يستعد للنوم، دق الباب بقوة وعنف. كان مع رجال المخابرات أمر من المدعي العام لمحكمة أمن الدولة بتفتيش غرفته ومصادرة ما يشكل خطرا. جمعوا كل أوراقه وكتاباته في صندوق، وكان شريط الفيديو الذي سجل أمسية عجلون هو الدليل الرئيس على تهمته. طلبوا منه أن يرافقهم لبضع ساعات فقط من التحقيق. أدرك البطل أنه اعتقال فعلي، فتماسك وودع أمه بحنان، قائلا إنه سيعود سريعا. ثم خرج معهم إلى سيارة مظلمة تابعة للمخابرات، انطلقت به في ليل حالك نحو المجهول، وهو يعيش لحظات من الوعي العميق بوطنه الذي أحبه وبدأ يشعر أنه يدخل فصلا جديدا من حياته، هو فصل السجن والحرية الداخلية.

اقتيد الشاعر في منتصف الليل إلى مقر المخابرات في إربد، وسار به الحراس في ممرات مظلمة حتى أدخل إلى زنزانة ضيقة حديدية وتركه وحيدا في ظلام دامس. وقف مذهولا لا يسمع إلا

صدى أنفاسه، وتهامس في نفسه: "أنا شاعر أحب وطني ولهذا أنا هنا". حاول التأقلم مع وحدته، فiaخذ الكاتب أن يستحضر صورة أسرته كأنها نور في العتمة.

بعد ليلة في زنزانة إربد، قيدت يداه ونقل بموكب أمني مشدد إلى مقر المخابرات في عمان. أودع في زنزانة ذات إضاءة قوية لا تنطفئ، فقاوم العزلة بقراءة تفسير القرآن وخلق تقويمًا داخليًا. بدأت جولات التحقيق، فاعترف بفخر بمسؤوليته عن قصائده الثورية. لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، إذ حاول ضابط آخر إغراءه، عارضاً عليه الشهرة والحرية مقابل كتابة قصيدة تمجد الحاكم. لكن الشاعر رفض بشدة، مما أدى إلى تعرضه للضرب المبرح والإهانة والسهر القاسي بلا نوم. لقد قاوم كل هذه المحاولات لكسر إرادته، وشعر بالحرية الوحيدة المتبقية حين سمح له برؤية الشمس في الصباح، لأنها كانت ممنوعة عنهم من قبل.

بعد أن أنهك بالألم والضرب، اقتيد البطل إلى المحكمة العسكرية. شعر أن "العدالة" نفسها تسخر منه، إذ لم يكن يدري أن مدنيًا يمكن أن يُحاكم عسكريًا. وقف أمام المدعي، مدركًا أن التحقيق كان شكليًا، فالمخابرات أعدت كل شيء مسبقًا. بعد انتهاء التحقيق، أركب في شاحنة صغيرة لنقل السجناء الخطرين، متوجهًا إلى سجن الجويذة.

هناك، في إحدى الغرف، التقى بخمسة سجناء آخرين، فكونوا معا ما أسماه "حلقة المحبة". تعرف على عليّ خريج الشريعة الهادي، وعكرمة المهندس العصبي، ويوسف الرقيق المتأمل، بالإضافة إلى تاجر غسل سجن ظلمًا، وجاسوس متهم بالعمالة لإسرائيل. شعر الراوي أن هؤلاء الرفاق أعادوه إلى إنسانيته بعد الوحدة، وبدأ يتعلم "لغة السجن" التي تحكم حياة المسجونين.

وبعد الأيام نقل الراوي إلى زنزانة ١٢ حيث يتواجد فيها سجناء من حزب التحرير، وهم مجموعة تؤمن بفكرة إقامة دولة الخلافة الإسلامية. في الزنزانة يقابل رائد قائد السجناء

وشيخ عطا زعيم حزب التحرير بينهم، الذين يشكلون مجتمعا سياسيا ودينيا متماسكا يتبادلون الأفكار والحريات الفكرية ضمن السجن. يشير الكاتب إلى أن هذه الفترة شهدت محاضرات دينية وقراءات مكثفة، وقد قُرب من هذا المجتمع بسبب شعره وأفكاره. يصف مشاهد مختلفة لتعزيز التعاون بين السجناء ونمط حياتهم داخل الزنزانة من تعليم ودراسة ورياضة، كما يبرز بعض الشخصيات الأخرى التي كانت سجناء بأحكام وجرائم متنوعة ويصف مظاهر التضامن بينهم رغم الظروف القاسية. يشير الراوي إلى برامج الصيام والتحديات اليومية التي تخوضها الزنزانة، مما يكشف جانبا إنسانيا ملونا وسط قسوة الحياة السجنية. كان يوم الجمعة والأحد هما أكثر الأيام انتظارا، حيث كان بإمكان السجناء مقابلة زوّارهم. والد الراوي، وهو رجل نبيل وصبور من إربد، كان يسافر مسافات طويلة كل أسبوع لزيارته في سجن سواقة. كانت كلماته تملأ قلب ابنه بالإيمان والأمل. حتى في الستينيات من عمره، كان يتحمل عناء الرحلة الطويلة لمجرد رؤية ابنه لبضع دقائق، مؤمنا بأن هذه التجربة بين السجناء السياسيين ستزيد من قوة روحه. كانت لقاءاتهما تتم عبر جدار زجاجي، ويتحدثان من خلال الهاتف. كان وجه والده المشرق يجدد دائما أمله وشجاعته. لقد كان معلما حقيقيا علمه الكرامة واحترام الذات وكيف يظل صامدا في الشدائد. لقد دعمه بلا كلل؛ فكان يكتب المقالات ويلتقي بالمحامين ويتحدث مع المسؤولين لمتابعة قضيته.

ومع قدوم فصل الشتاء، ساءت ظروف السجن. بدأت السلطات في فرض قيود جديدة: منع الخروج إلى الساحة، تثبيت الأسرة في الأرض لمنع الصلاة الجماعية، وفصل السجناء لفرق لإثارة النزاعات الداخلية. كما قاموا بإزالة الأسرة الإضافية، مما صعب الأمر على الراوي الذي اضطر للنوم على السرير العلوي. في أحد الأيام، وخلال تفتيش روتيني، شنّ الحراس مدهمة مفاجئة على الغرفة وألقوا بجميع الممتلكات لتتكسد في مكان واحد. عثروا على سكين صغيرة

وجهاز راديو مخبأ، زاعمين أنه كان يستخدم للتجسس. أدت هذه الاكتشافات إلى المزيد من المضايقات والسيطرة الأكثر صرامة. على الرغم من كل هذا، وجد الراوي راحته في القراءة وكتابة الشعر. أصبحت الكتب مهربه من البؤس المحيط به، وساعدته على إيجاد الحرية داخل خياله وكلماته.

في ٦ ديسمبر ١٩٩٦م، زار الراوي والده. فأبلغه الراوي عن تزايد القيود وعن عزم العديد من الشباب المعتقلين على التخطيط لإضراب عن الطعام؛ احتجاجاً على الظروف السيئة. وأوضح له أن المشاركة في هذا الإضراب ستؤدي حتماً إلى عزلة تامة، حيث سيتم حظر جميع الزيارات وجميع الامتيازات.

تم سحب جميع الامتيازات تدريجياً، بما في ذلك المكالمات الهاتفية والصحف والتصريح باستخدام الساحة وسهولة زيارة العيادة. هذه القسوة، التي شملت الإهانات والضرب، دفعت الراوي ومجموعة من ثمانية سجناء سياسيين آخرين وهم عكرمة، وعلي، ويوسف، وخالد، ومحمد، وزكريا، وجهاد، وسالم إلى بدء إضراب عن الطعام. وكعقاب، وُضع المضربون التسعة في زنازين انفرادية متسخة وشديدة البرودة. تلقى الراوي، الذي عانى من البرد والجوع، دعماً سرياً على شكل قطعة من التمر المجفف قدمها بمخاطرة سجين آخر غير سياسي. حاولت سلطات السجن، بما في ذلك نائب المدير، كسر الإضراب. ولكن في اليوم السادس، وتحت ضغط إعلامي وتدخل من والد الراوي، زار مدير الأمن العام زنزانة الراوي. بعد ذلك، وتم قبول مطالبهم التي شملت السماح بالخروج إلى الأماكن المشمسة، وتحسين الرعاية الطبية، وإدخال الكتب للدراسة. وبذلك، أنهى التسعة إضرابهم وعادوا إلى غرفهم منتصرين.

في السجن، تأجج الإيمان في قلوب السجناء مع حلول شهر رمضان، حيث أدى السجناء صلاة الوتر بخشوع وبكاء عميق. تبع ذلك حزن العيد الذي حاولوا إحياءه بالزيارات المتبادلة، رغم

الشعور القاسي بالغياب العائلي. تدهورت الظروف سريعاً مع حلول برد منتصف فبراير، حيث مرّ الراوي بأزمة صحية خطيرة أشعرته بدنو الأجل. وخلال فترة تعافيه، استمع إلى قصة مرعبة من زميله خليل حول مس جني أصاب أخته نتيجة الحسد والسحر، وكيف طُرِدَ بعنف على يد شيخ. تحول اهتمام الراوي لاحقاً إلى خطة هروب انتحارية اقترحها المهندس عكرمة، وهي خطة كانت ذات مخاطر عالية جداً وتطلبت تحدي الموت للحظة حرية خاطفة. ورغم انجذابه اللحظي للخطة، واصل الراوي إيجاد متنفسه المستمر في تهريب القصائد والمقالات إلى خارج السجن.

اختتم الجزء الأخير من الرواية مع اقتراب موعد إطلاق سراح الراوي بعد أن قضى مدة عقوبته بالكامل، وهو ما مثّل نهاية لرحلته النفسية والروحية العميقة. ركزت الصفحات الأخيرة على التأمل الذاتي المكثف حول طبيعة الزمن الذي بدا له تارة عابراً وتارة أخرى أبدياً، وعلى بحثه عن السلوان بمراقبة السماء والطيور. وأظهر مشهد رؤية حمامة بيضاء، رمز الحرية المطلقة، تناقضاً قوياً مع الكآبة التي أثارها رؤية كل من النسر الأسود وطائر السنونو.

يؤكد الراوي أن أحلامه لن تنحصر بين جدران السجن أو بسبب الإخفاقات السياسية، مؤكداً فخره العميق بوطنه، الأردن / بلاد الشام. ومع اقتراب لحظة المغادرة، يعاني من أزمة وجودية أي أزمة هوية، متسائلاً عما إذا كان "الذات" التي ستغادر هي نفسها التي دخلت. ويتفكر في التحول الذي أحدثه السجن، مشيراً إلى أن هذه المؤسسة التي كان هدفها الإذلال غرست في نفوس السجناء الصادقين الكرامة والعزة. ويستعد لمغادرة زملائه، بمن فيهم خليل وعكرمة وهو يصارع مشاعر مزدوجة من الفرح الشخصي والحزن على رفاقه الذين سيبقون مقيدين بالسلاسل. ويُختتم الرواية بقصيدة جريئة تُعلن أن الراوي يغادر السجن رافعاً رأسه بالعزة والفخر.

الفصل الثالث: التناس في رواية يا صاحبي السجن

"التناس عبارة عن مجموعة من العلاقات التي تتضمن التلميح والاقتباس والإشارة والتضمين".³⁰³ وهو من أبرز الظواهر الأسلوبية والفنية في الأدب الحديث، إذ يكشف عن وعي الكاتب بالنصوص السابقة واستثماره لها في بناء نص جديد يجمع بين التراث والمعاصرة. وفي رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم تتجلى هذه الظاهرة بوضوح، حيث يندسج الكاتب نصّه السردى من مصادر متعددة، مثل القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر العربي القديم والحديث، والأمثال العربية، والأحداث التاريخية والمفاهيم النفسية والإشارات الفكرية.

ولا يقتصر هذا التوظيف على الجانب الجمالي، بل يسهم في تعميق المعنى وإثراء النص. فالتناس مع القرآن الكريم والحديث الشريف يضيف على الرواية بعداً روحياً وأخلاقياً، بينما يربط التناس الشعري تجربة السجن بتاريخ طويل من الألم والمقاومة. كما يكشف عن سعة ثقافة السجين وعمق فكره، ويجعل الزنزانة الضيقة نافذة على التراث الإنساني. ومن ثم فإن دراسة التناس في هذه الرواية تسهم في فهم بنيتها الثقافية والفنية، وتبرز قدرة الكاتب على توظيف نصوص متنوعة في بناء متماسك يعكس ثراء تجربة السجن وتواصل الأدب مع النصوص الكبرى. ويعرض الباحث في هذا الفصل بعض النماذج الدالة على ذلك.

التناس الديني

قصة آدم وحواء

"ومن يستطيع أن يقاوم إغراء اللحم في مواجهة الجوع؟! كُنَّا جائعين إلى اللحم جوع

آدم إلى التفّاحة!! ويبدو أنّ الفضول لتذوّق طعم اللحم كان مسيطراً على معدّنا

³⁰³ مأمون جامع حسن، ولاء، مقالة: *التناس بين المفهوم العربي والغربي*، مجلة كلية الآداب، جامعة أسوان، ج ١٣، ع ١، ص ١٧٨-١٩٥.

الخواوية آنذاك، بل يبدو أنّ سحر التجربة - تجربة ما نسينا طعمه من خلال

طقوس غير اعتيادية - هو ذاته السحر الذي جذب آدم إلى تجربة طعم شجرة

الخلد، مع أنّه سمع مسبقاً قول العلي: (أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ)؟! ³⁰⁴

يوضح النص أنّ السجناء اشتاق لأكل لحم الضأن في السجن. بعد الحصول على إذن من سلطات السجن، يأكلون اللحم ويشعروكأنه طُرد من الجنة مثل آدم وحواء بعد أكل الفاكهة المحرمة. لأن اللحم بمجرد دخوله إلى بطنه، أصيب بالآلام في المعدة، فاستخدم المؤلف آية من سورة الأنعام-٢٢ في القرآن الكريم ليمثل تجربته بقصة آدم (ع) وزوجته حواء في الجنة.

قصة يوسف عليه السلام:

" في البئر وجد كثيرًا من الكنوز المدفونة... رموه هناك وقالوا: يلتقطه بعض

السيارة، ولم يعلموا أن النبوءة أولها إلقاء في الجب...!! مساكين أولئك الذين

ظنوا أن الموت أو الغياب السحيق سوف يودي بصاحب الجب، لم يدرك في خلداهم

يومًا أن الفضاءات المطلقة تبدأ من الجحور الضيقة... هناك تصنع الحياة ويعاد

ترتيب مكوناتها... هناك يتهجا الإنسان حروف ولادته من جديد. ³⁰⁵

يوظف الروائي أيمن العتوم في النص قصة يوسف عليه السلام رمزا للسجن والمعاناة، فقد

قال إخوته: "﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُه بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾" ³⁰⁶ ثم نُفِذَ

الفعل: "﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾" ³⁰⁷ حتى التقطته القافلة:

"﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾" ³⁰⁸. يربط الكاتب بين هذه الحادثة وبين تجربة

³⁰⁴ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ط ٢١، ص ١٨٢.

³⁰⁵ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ط ٢١، ص ٦.

³⁰⁶ سورة يوسف، القرآن الكريم، رقم الآية-١٠.

³⁰⁷ سورة يوسف، القرآن الكريم، رقم الآية-١٥.

³⁰⁸ سورة يوسف، القرآن الكريم، رقم الآية-١٩.

السجن، ليبين أن ما ظنّه الآخرون قبرا للحرية كان بداية ميلاد جديد، ففي الجحور الضيقة تعاد صياغة الإنسان، وتتحوّل المعاناة إلى فضاء أوسع للحياة والأمل.

أُدرْتُ بصري إلى الجدار الذي خلفي إذا لم تقترب منه، وتمعن النَّظر، فلن
تكتشف أن بعض المعتقلين ممّن سبقوني إلى هذه الزنزانة قد مرّوا من هنا،
وكتبوا بعض خواطرهم على الجدار... حاولتُ أن أتبيّن بعض الكتابات... لا زلتُ
أتذكّر بعضها:

- فصبرٌ جميل والله المستعان.
- ولا تحسبن الله غافلاً عمّا يعمل الظّالمون...
- لن أركع...
- تعبْتُ من... لا أقوى على... ليتني الآن في...
- هذا درب الأنبياء... لست أحسن من يوسف... ولا أكرم على الله من يونس...
- أنت هنا لتفهم حقيقة التّوحيد...³⁰⁹

في هذا المقطع من رواية يا صاحبي السجن، يعكس أيمن العتوم تجربة السجن بوصفها مساحة للتأمل والصبر، متشابهاً بذلك مع قصة يوسف عليه السلام المذكورة في سورتي يوسف ويونس، حين واجه الظلم بثبات ورضا. فالمعتقلون كتبوا على الجدران كلمات تذكّر بالصبر والثقة بالله، مثل: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾³¹⁰، و﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾³¹¹، وكذلك عبارات مثل: "لست أحسن من يوسف"، لتذكير السجنين بأن السجن ليس نهاية القهر، بل فضاء روحي يُعاد فيه ترتيب الذات واكتشاف القوة الداخلية. تمامًا كما اختار يوسف الصبر والثبات على الحق، ويحول الله محنته إلى بداية لمسيرة

³⁰⁹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ط ٢١، ص ٣٨-٣٩.

³¹⁰ سورة يونس، القرآن الكريم، رقم الآية-١٢.

³¹¹ سورة يوسف، القرآن الكريم، رقم الآية-٥٢.

حياته، يجد السجين المعاصر فيه مثلاً يُقتدى به في الصبر على الضيق والثقة بعدل الله، فيصبح السجن مرحلة للارتقاء الروحي وفهم المعنى الحقيقي لوحداية الله.

"وبدأت أفتح عيني على كل ما يدور حولي. (يوسف) الذي دخل معه السجن
فَتَيَان هما (عكرمة) و(علي)، اعتاد فيما بعد على أن يخدمنا أكثر من سواه في
أُمُور الطَّعام، حتَّى إنَّه كان يذهب قبل الموعد المقرَّر إلى مطبخ السَّجن، ويعود
إلينا بطعامنا، يلقيه بين يدينا، وينثر العبارة الأثيرة التي اقتبسها من الكتاب
المعجزة: (لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا
عَلَّمَنِي رَبِّي). فكُنَّا نردّ عليه: (يُوسُفُ أَهْيَا الصِّدِّيقُ أَفْتَنَا)"³¹²

في هذا المقطع يمثل أيمن العتوم تجربته في السجن من خلال تصويرها بتجربة النبي يوسف عليه السلام في الزنزانة، حيث يستخدم الآية القرآنية من سورة يوسف: "لا يأتیکما طعام ترزقانه إلا نبأکما بتأويله قبل أن يأتیکما ذلكما مما علّمني ربي" ³¹³، ويضعها في لسان أحد زملائه في الزنزانة، واسمه أيضاً "يوسف"، عندما كان يعود من المطبخ بالطعام. وهو كان يُلقي هذه الآية مازحاً متأثراً، فيردّ عليه الكاتب وزملاؤه بقولهم بآية: "يوسف أهما الصديق أفتنا" ³¹⁴، وهو اقتباس آخر من القصة القرآنية من سورة يوسف. هذا التمثيل ليس مجرد تكرار لفظي، بل هي إسقاط في رمزي يُقارب بين معاناة السجين الكاتب ومعاناة يوسف عليه السلام، ويظهر كيف أن السجن، رغم قسوته، يمكن أن يكون مكاناً للتأمل والرجاء. يوظف الكاتب هذا التناصّ ليُضفي على التجربة الواقعية جانبا تاريخيا وروحيا، فكما عاش يوسف النبي مظلوما في السجن لكنه ظل نقياً ومُلهماً، فإن الكاتب وزملاءه في السجن يسعون تجاوز

³¹² العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ط ٢١، ص ٩٤.

³¹³ سورة يوسف، القرآن الكريم، رقم الآية -٣٧.

³¹⁴ سورة يوسف، القرآن الكريم، رقم الآية -٤٦.

بلاءهم بالمعرفة والحوار والإيمان. وهكذا تصبح تجربة السجن إلى امتداد لتجربة النبوة في التحمل والصدق والثبات، ويغدو النداء: "يوسف أيها الصديق أفتنا" تعبيراً عن رغبة الإنسان للقيمة في أشد الظروف.

قصة موسى عليه السلام

القصة التي وردت في سورة القصص في القرآن الكريم رقم الآيات ٢٣-٢٦. حين هرب موسى (ع) من مصر وصل إلى مدين، وهناك وجد فتاتين تمنعان غنمهما عن السقيا، فسقى لهما. رجعتا إلى أبيهما شعيب (ع)، فأرسلت إحداهما موسى (ع) ليكافئه. وعندما رأت الفتاة ما فيه من حياء وقوة، قالت لأبيها: "يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ" ³¹⁵. فجمعت عبارتها بين صفتين أساسيتين: القوة: تقصد القدرة الجسدية والفكرية على القيام بالمهام. الأمانة: تقصد الصدق، والنزاهة، وحفظ الحقوق ³¹⁶. ومن هنا صارت عبارة القوي الأمين مبدأ عاماً في الفكر الإسلامي لاختيار القادة والموظفين، لأنها تعكس الجمع بين الكفاءة والعدالة.

"فَأَرَدْنَا أَنْ نَخْفِضَ أَيْدِينَآ فَمَا اسْتَطَعْنَا إِذْ تَجَمَّدَتْ عَلَى هَيْئَتِهَا تِلْكَ لَطُولُ مُكُوثِهَا،

فَغَالِبْنَاهَا حَتَّى أَطَاعَتْ. ثُمَّ كَانَ الْهُوَيُّ الْأَخِيرُ أَمَامَ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَانَتْ

الْجِبَاهُ تَلْتَصِقُ بِالْأَرْضِ فِي خُضُوعٍ، فَتَمَلَأُ الْأَفئِدَةُ بِالْعِزَّةِ وَالرَّضَى. لَمْ يَكُنْ الْخُضُوعُ

بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ إِلَّا رَفْعَةً، وَلَمْ تَكُنِ الْعِبَادَةُ لَهُ إِلَّا سَيَادَةً، وَلَا يَنْدَلِ إِلَّا كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لَا

يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ." ³¹⁷

³¹⁵ سورة القصص، القرآن الكريم، رقم الآية-٢٦.

³¹⁶ الطاهر، محمد، كتاب في التفسير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس،

١٩٨٤.

³¹⁷ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ط ٢١، ص ٣١٩.

تأتي الآية الكريمة في سورة غافر ضمن سياق قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه. تحديدًا، هي جزء من قول موسى لقومه عندما هددته فرعون بالقتل. السياق هو: قال موسى: "وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ" (٢٧) ³¹⁸. وفي سياق الرواية إدراج الآية يعطي السجناء كرامة روحية ويمنحهم تفوقًا معنويًا على قاهريهم؛ فبينما يعيشون القيد الجسدي، هم أحرار العبادة، أما المتكبرون الذين لا يؤمنون بالجزاء، فهم الأذل في حقيقة الأمر.

صيام داود عليه السلام:

أغلب رفقائي في هذه الغرفة يصومون يوم الخميس، وبعضهم يضم إليه الاثنين، وبعضهم اتخذ من صيام (داود) منهجًا له؛ فكان يصوم يومًا ويفطر يومًا. وكانت متعة اللقاء على الإفطار لا تُعادلها متعة. وخاصة أن الامتناع عن الطعام والشراب طيلة اليوم كان ينظف الجسم من السموم، والروح من الأوضار، فنلتقي عند المغرب كالطيور الخماص، خف وزنها وارتقت أرواحها. ³¹⁹

في النص يصف الكاتب صيام السجناء كطريقة للتنظيف الروحي والجسدي من الذنوب، مشبهًا إياهم بصيام داود عليه السلام كما جاء في الأحاديث النبوية "أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا" ³²⁰، حيث يتحول التوقف عن الطعام إلى قوة داخلية تجعلهم متففين وتسبب لحظة الإفطار رمزًا للفرح والحرية رغم شدة السجن.

³¹⁸ سورة الغافر، القرآن الكريم، رقم الآية-٢٧.

³¹⁹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م، ط ٢١، ص ٢٠٤.

³²⁰ البخاري، محمد بن إسماعيل، كتاب في الحديث: صحيح البخاري، تحقيق- محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الرياض

٢٠٠١م، ج ١، ص ٢٠٧م.

أيوب (ع)، عيسى (ع)، نوح (ع)، إسماعيل (ع)، محمد (ص)

"قرأت في هذه الزنزانة المتجمدة: يا مُخَنَّتَ العزم أين أنت والطريق!!، طريقُ تعب

فيه آدم، وناح لأجله نوح، وأضجع للذبح إسماعيل، وسار مع الوحش عيسى،

وزاد على الدرب صبر أيوب، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع

سنين، وتحمل أنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم.³²¹

في النص وظّف الكاتب التناص الديني مع قصص الأنبياء، استخدم الكاتب هنا أسماءهم وما واجهوه من ابتلاءات ليعطي لمعاناته في السجن بعدا شديدا ليمثل تجربته معهم ليدرك القراء مقدار ألمه. فصار السجن له امتحانا شبيها بما مرّ به الأنبياء، ومصدرا للجزاء والصبر والثبات.

عمر بن الخطاب

"ماذا تفعل الأحلام بنا؟! وماذا تصنع الحرية بعقولنا؟! إلى أين نتجه ونحن نغالب

مدّ الطوفان القادم من ثغور العبودية؟! علّمني عمر بن الخطاب أنّ الحرية

غريزة، وأنّ من يتخلّون عنها بإرادتهم يتخلّون عن حياتهم، وأنّ الناس إذا وُلدوا

أحرارًا، فكيف يموتون عبيدًا!! وإذا لم يكن من الموت بُدّ فمن العار أن تموت

جبانًا"³²²

النص يحتوي على قول مشتق من مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا، والخلفية التاريخية لهذا القول تتعلق بالقصة الشهيرة حين أساء للغلام القبطي من ابن عمرو بن العاص والي مصر بمناسبة هزيمته في سباق الخيول، فاستدعى والده أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وأمر الغلام أن ينتقم لنفسه، مؤكدًا على

³²¹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م، ط ٢١، ص ٢٧٥.

³²² العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م، ط ٢١، ص ١٦٩.

حرية الإنسان وحقه في الكرامة. وقال لوالي مصر عمرو بن العاص: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟³²³ وقد استخدم الروائي هذا القول في النص ليسأل تساؤلات حول أثر الأحلام والحرية على البشر، ويبرز أن الحرية غريزة طبيعية يجب الدفاع عنها، وأن الموت في سبيلها أهون من حياة في ذل وعبودية.

خالد بن وليد

قال لي (يوسف) يومها، عندما نطق القاضي بالحكم في البداية: "إعدام"، ثم سكّت للحظة، ثم أتبعها بالمؤبد. ما بين الحكمين، سارت الحياة في دورتها إلى النهاية، ووجدنا أنفسنا لحظتها مرفوعين على أعواد المشانق من أجل أوطاننا. إنها اللحظة الفارقة بين الموت والحياة. أخيراً، يمكن أن يموت الإنسان من أجل قيمة، أن يُضَيَّع من أجل فكرة. ما أصعب أن يموت الإنسان موتاً اعتيادياً! يومها فقط، فهمتُ - عملياً - قول خالد بن الوليد الشهيرة: "وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء."³²⁴

يبين هذا النص صورة الشباب الذين ضحّوا أرواحهم من أجل الوطن ليبرز شجاعتهم، وكأنّه يُذكّرنا في النص بقول خالد بن الوليد. قد شارك خالد بن الوليد أكثر من مئة معركة في سبيل الله، وكان قائدا لا يغلب، ومع ذلك لم يكتب له أن يستشهد في ساحة القتال، بل توفي على سريرته فشعر بالقلق لأنه كان يتمنى أن يكون شهيدا في القتال، ولهذا قال هذه العبارة، ليظهر حزنه لوفاته على الفراش. في سياق الرواية استخدم الكاتب كلامه ليثبت قيمة الشجاعة والتضحية في سبيل الوطن.

³²³ العمري، عبد العزيز بن إبراهيم، كتاب في التاريخ: *الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين*، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠١ م، ص ٢٢٦.

³²⁴ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥ م، ط ٢١، ص ١٢٦.

حرب تبوك

- "يا أيمن... يا بش مهندس... (قالها بكثير من الودّ) شوبّك بوجع الرّاس. هسه

مش أحسن لو كنت في بيتك، وبتكمل دراستك؟!

- (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا).

- ما اختلّفناش يا رجل. هوّ انت بتفكّر احنا يعني كفرة... بس كمان في الدّين

لازم

- توخذ بالأسباب.³²⁵

"قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا" ³²⁶ هي آية قرآنية من سورة التوبة التي نزلت في غزوة

تبوك حين خاف بعض المسلمين من الخروج للجهاد، فثبّتهم الله بهذه الآية، لتغرس فيهم الثقة

بقضاء الله والتوكل عليه. في هذا المقطع من رواية يا صاحبي السجن، يردّ أيمن على الضابط

الذي يطلب منه ترك "وجع الرّاس" والعودة لحياته العادية، ويعبر عن ثقته بالله وأن ما يحدث

له هو بقدر من الله، وليس خوفًا أو ضعفًا. الضابط يحاول إقناعه أن الدين يعني أيضًا "أخذ

الحذر"، لكن أيمن يرفض، ويؤكد أنه لم يضع نفسه في هذا الموقف، بل هم الذين سجّوه.

يُظهر المقطع ثبات أيمن وتمسّكه بالحق رغم الضغوط.

خلق الله الإنسان

"مال بي عند آخر الممرّ إلى زاوية على اليمين... حيث كانت الحمامات، وهي عبارة

عن مجموعة تزيد عن خمسة، تصطفّ بجانب بعضها بعضا، يفصل بين حمام

وآخر جدار مبلّط يرتفع مترين، وعلى كلّ جدار من الدّاخل (دوش) أما مدخل

الحمام، فمفتوح للنّاظرين... لم يكن هناك من شيء يستر المتحمّم في الدّاخل.

³²⁵ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م، ط ٢١، ص ٥٧.

³²⁶ سورة التوبة، القرآن الكريم، رقم الآية-٥١.

ورغم أنّ الحرج قد يأخذ بعض الواردين هنا إلاّ أنّه سرعان ما يزول لأنّ الخيارات معدومةٌ تماماً... خلعتُ كلّ ملابسي، وأبقيت على (الكلسون) فقط لأغطي عورتي عن الفضوليين والمتلصّصين من الحراس هنا... وفتحت (الدش) على مداه الكامل... تسرّب الماء إلى جسمي فملأني بالنشوة... لِمَ كلّ هذه المتعة بمجرد أن يسيل الماء على الجسد... ألنّ الجسد يحنّ إلى أصله... ألم يكن الإنسان ماء... (أَمْ نَخْلُقُكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ)... ظلّ رذاذ الماء ينهمر فوق جسدي الجائع إليه ، وكأني كنتُ أشربه لا أستحمّ به... درتُ حول نفسي... خبطتُ الأرض بقدمي كطفل.³²⁷

في هذا الجزء يصف الكاتب لحظة استحمامه في السجن، لكنها ليست مجرد لحظة عادية، بل تتحوّل إلى تأمل في أصل الإنسان. حين يصل الماء إلى جسده، يتذكّر كلام الله تعالى "أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ" ³²⁸ سورة المرسلات، ليربط بين الماء الذي يطهر جسده والماء الذي خلّق منه. هذا التأمل يعكس شعوراً داخلياً بالإيمان، ويبيّن أن الكاتب يفكر بأمل وثقة بأن الله، الذي خلقه من ماء ضعيف يعني من نطفة بسيطة، قادر على أن ينقذه من هذا السجن، لأن الله على كل شيء قدير.

قصة قريش

"صنعتُ حرّيتي التّامة في أشعاري... هربتُ إليهما، وناجيتها نجوى العاشق، وفي ظلال كلماتي شعرتُ بالدّفء، وتحت خيمة عباراتي تدنّرتُ بثوب الجملة الرّائقة... كان شعري أنا؛ صورتي في مرآة قلبي، ومن دماء مشاعري انتفضتُ قصائدي عروساً حيّة، وحسناً حيّة! (بل هو شاعر، فليأتنا بآية)!!"³²⁹

³²⁷ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م، ط ٢١، ص ٥٩.

³²⁸ سورة المرسلات، القرآن الكريم، رقم الآية ٢٠.

³²⁹ الزوزني، الحسين بن أحمد، كتاب في شرح الشعر: شرح المعلقات السبع، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٢٤٠.

يبين النص أن الشعر هو ملاذ الشاعر وحرية بالنسبة له، يشعر فيه الراحة والهروب من الواقع، وتعبّر قصائده مشاعره وشخصيته. لتثبيتها استخدم الكاتب فيه آية من سورة الانبياء، "بل هو شاعر، فليأتنا بآية" 330 نزلت في رفض المشركين الإيمان به، وقالوا: إنه يخلق الكلام، أو هو شاعر، أو مجرد أحلام. ثم طلبوا منه آية محسوسة مثل ما أعطي للأنبياء السابقين. الآية تظهر عنادهم وحججهم الواهية رغم أن القرآن نفسه أعظم معجزة. 331

أصحاب الكهف

"مضت اللَّقْم تهبط في الحلاقيم، ومضت الأفواه تنطق بالمفاهيم... وبدأنا حفلة التعارف الأولى كنّا كأصحاب الكهف، جمع بيننا سوط السلطة، فأوينا من لسعته إلى هذا الكهف، لنبدأ حكايةً بيّنة لا يتنازع أمرها بيننا أحد." 332

عندما اجتمع أيمن العتوم مع السجناء للطعام، بدأ بينهم التعارف. ولشرح هذه الفترة، شبههم بأصحاب الكهف الذين هربوا من ظلم قومهم ولجؤوا معا في الغار، فوجدوا فيه الأمن والسكينة. بهذا التمثيل، يبين الكاتب أن الإنسان لا يمكن العيش في وحدة دائمة، بل يبحث دائما عمّن يشاركه الخوف والأمل، وأن الصحبة تمنح الإنسان بعض السلام حتى داخل السجن.

إبليس

"كانوا خمسة وكنّت سادسهم الذي علمهم الدهشة. أمّا سابعنا فبنظرة واحدة اكتشفت أنه يجلس في الركن القصي الأقرب إلى الباب، حيث كنّا نحن الستّة

330 سورة الأنبياء، القرآن الكريم، رقم الآية ٥.

331 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، كتاب في التفسير: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار هجر، مصر، ٢٠٠١م.

332 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م، ط ٢١، ص ٦٩.

نجلس في العمق الأبعد عن الباب. بدا السَّابع كأنَّه منبوذ، أو كأنَّه إبليس مطرودًا
من الجنَّة. ولأنَّه لا يحقَّ لي في هذه الفترة حتَّى أن أستغرب ممَّا أرى، فقد ازدردتُ
لقمتي، وأنا أجيل بصري في مجموعتي الجديدة... يا للرحمة التي سقطت من
السَّماء... يا الله... يا الله... كم أنت رحيِّمٌ بعبادك... لن أحادث نفسي كالمجنون
بعد اليوم، ولن أهذي مثل أبله في الطَّرقات. سيكونُ هناك بشرٌ... نعم بشرٌ
يسمعونني وأسمعهم، يُخاطبونني وأخاطبهم...³³³

في هذا النص، يوضِّح أيمن العتوم رؤية رمزية لإبليس من خلال وصفه للسجين السابع، الذي
يجلس وحده في زاوية بعيدة في الزنزانة، وكأنَّه "إبليس مطرود من الجنَّة". هذا التشبيه لا
يجعله رمزا للشر فقط، بل رمزا للرفض والعزلة. ومن جهة رمزية أخرى، يمكن فهم هذا
السجين على أنه يُمثِّل أحد أبواب جهنم السبعة المذكورة في القرآن، وكأن كل منبوذ أو معذَّب
داخل السجن هو صورة من صور العذاب في الآخرة. بهذه الطريقة يوظِّف العتوم رمزية إبليس
وأبواب النار ليصف شدة تجربة السجن.

التناص الأدبي

الأمثال العربية القديمة:

"كان البعثيون، والشيوعيون، والمثقفون، وأبناء العشائر قد صعدوا فوق أبراشهم
العلوية (الطابق الثاني من الأسرة)، وراحوا يقفزون بشكلٍ جنونيٍّ وهستيريّ.
بعضهم كان طويلًا، فإذا علا بقفزته فوق البرش، كاد رأسه يرتطم بسقف الغرفة.
وفي تناغم مهول، راحوا يغنون بصوتٍ موحد:

يا ظلامَ السَّجنِ خيم

³³³ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ط ٢١، ص ٦٨.

إِنَّنَا تَهْوَى الظَّلَامَ

لَيْسَ بَعْدَ اللَّيْلِ إِلَّا

نُورٌ فَجَرٍ يَتَسَامَى

لم يكلوا ولم يملوا. ظلّوا على قفزاتهم وصياحهم. تُرى، ماذا كانوا يفعلون؟ يخبّثون
الخوف من القادم المجهول بأغانهم؟ أم يكسرون رتابة الزمن التي تكسر كل شيء
في طريقها؟ يعبرون عن ذاتهم التي كادت تُسحق هنا بسبب الاحتجاز القسري؟ أم
يضحّمون هذه الذّات حتّى لا تمحى؟ هل يفعلون ذلك واعين، أم أنّ شعور اللاوعي
دفعهم إلى ذلك؟ هل يستمتعون بهذا الغناء فيعيشون مفرداته؟ وهل هم يعنونها
فعلاً؟ أم أنّهم يفعلون ذلك من باب: (إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا جارة)؟

وبعد نصف ساعة من هذا الهياج، نزلوا عن أبراشهم يلهثون، وذهبوا كمسافرين
أتعبتهم الرحلة باتجاه الإدارة مرّة ثانية. وصمتت غرفتهم بعد ذلك صمت القبور.
ظلت صامتة أياماً وأسابيع، لم تحتفظ من بعدهم إلا بصدى أغانياتهم الحارة،
ولم تَعِ إلا آخر مفرداتهم العالقة فوق الجدران.³³⁴

العبارة في هذا المقطع "إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا جارة" هي مثل عربي قديم يستعمل عندما نريد
أن نوجّه الكلام إلى شخص، ولكن نقصد به شخصاً آخر، وذلك بأسلوب غير صريح، دون
إحراج أو جرح للمشاعر. وهو يظهر عن فن القول وحسن التعبير، كما هو شائع في المجتمعات
التي تشمّن الأدب. وأصل المثل يعود إلى سهل بن مالك من بني فزارة الذي مرّ ذات يوم على
منطقة من مناطق بني طي أثناء طريقه إلى الحيرة، فاستضافته أخت سيد الحي، وكانت جميلة

³³⁴ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م، ط ٢١، ص ١٢٣.

وعاقلة، فأعجب بها، ولم يعرف كيف يخبرها بمشاعره. فأنشد شعرا يسمعه الجميع وقال فيه:

"يا أختَ خيرِ البدو والحضارة
كيف ترينَ في فتى فزارة؟
أصبحَ يَهْوَى حُرَّةَ مَظارة
إياكِ أعني واسمعي يا جارة"³³⁵

وكان يقصدها بالكلام، لكنها فهمت إرادته وأجابت عليه شعراً ترفض فيه الزواج:

"إني أقول يا فتى فزارة
لا أبتغي الزوج ولا الدعارة
ولا فراق أهل هذي الجارة
فارحلْ إلى أهلك باستخارة"³³⁶

وبعد فترة تغيّر رأيها في الزواج، وطلبت منه أن يخطبها مرة ثانية، ففعل وتزوجها. وبعد ذلك الحين صار البيت مثلاً معروفاً يُضرب لمن يقول لشخص وهو يقصد غيره.³³⁷

في هذا النص الروائي يستخدم الكاتب المثل "إياك أعني واسمعي يا جارة" على لسان السجناء أثناء خروجهم من السجن، حيث قالوه لبعضهم والمقصود به موظفو السجن الذين يسمعونهم. جاء استخدام المثل تعبيراً غير مباشر عن فرحهم وانتصارهم الرمزي، وسخرية ذكية من سجنائهم، في وقت استعادة الصوت والحرية دون صدام مباشر.

- "الشعوب العربية تربت على غير هذه المفاهيم الثورية التي تُنادي بها.

³³⁵ الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم، كتاب في الأمثال: مجمع الأمثال، تحقيق- محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص ٤٤٨.

³³⁶ الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم، كتاب في الأمثال: مجمع الأمثال، تحقيق- محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص ٤٤٨.

³³⁷ الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم، كتاب في الأمثال: مجمع الأمثال، تحقيق- محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص ٤٤٨.

- ماذا تقصد؟

- تربّت على كتلة باردة من الأمثال التي تورث الخنوع. انظر ماذا حفظنا في صغرنا:

(وأنا مالي؟! فخار يكسر بعضه...) هذا يعني أن تقف متفرجاً، ومستمتعاً في الآن

نفسه، بمن يموت أمامك. واسمع سلسلة من الأمثال التي تفرع دماغك بأصوات

نحاسية ثقيلة: إنّ موروثنا الشعبي غرس في لاوعينا: (امش الحيط الحيط وقُل:

يا ربّ السّيرة)، و(حطّ رأسك بين الروس وقُل: يا قطاع الروس) أكثر ما يستفزني

اليوم هذا المثل الأخير: إنه استسلام الضّحية للجلاد. ليس لديّ ذاكرة لأسرد

لك كلّ المواعظ الرديئة في تذليل الروس المغلقة... آه، تذكّرت: (جاجة حفرت

على رأسها حفرت) هيئ نفسك لمزيد من احتراف الخنوع، واسمع هذا المثل

القاتل: (إليّ من إيده الله يزيده) يعني: كلّ ما تعلّمناه أوصلنا إلى ما نحن فيه.³³⁸

يستخدم الكاتب في النص أمثالا شعبية معروفة مثل "وأنا مالي؟ فخاريكسر بعضه"³³⁹ و"امش

الحيط الحيط وقول يا رب السّير"³⁴⁰ و"حط رأسك بين الروس وقول يا قطاع الروس"³⁴¹،

مما أعطى النص حيوية وقربا من القارئ، ووردت هذه الأمثال في سياق نقدي يوضح كيف

ساعد الموروث الشعبي في تثبيت الاستسلام وتجنب المواجهة، موضحة نتائجها في تكوين طريقة

التفكير والسلوك خلال الزمن.

³³⁸ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ط ٢١، ص ١٢٧-١٢٨.

³³⁹ الموس، محمد عبد الله، مقالة: فخاريكسر بعضه، صحيفة الأيام، اليمن، التاريخ: ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٣ م.

³⁴⁰ عياث، ثائر، مقالة: في نقد مفهوم "امشي الحيط الحيط وقول يا رب السّيرة"، موقع شبكة قدس الإخبارية، فلسطين، تاريخ الاسترجاع: ٢٠ / ١١ / ٢٠٢٤ م.

³⁴¹ الرامي، مقالة: قصة حاجة حفرت عراسها حفرت، موقع موسوعة عين علي المعرفة، تاريخ الاسترجاع: ٢٠ / ١١ / ٢٠٢٤ م.

عنتره بن الشدّاد:

"عَلَّمَنِي عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنَّ الْحَرِيَّةَ غَرِيزَةٌ، وَأَنَّ مَنْ يَتَخَلَّوْنَ عَنْهَا بِإِرَادَتِهِمْ يَتَخَلَّوْنَ

عَنْ حَيَاتِهِمْ، وَأَنَّ النَّاسَ إِذَا وُلِدُوا أَحْرَارًا، فَكَيْفَ يَمُوتُونَ عَبِيدًا!!

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ فَمِنْ الْعَارِ أَنْ تَمُوتَ جَبَانًا³⁴²

الأبيات في النص مأخوذة من معلقة عنتره بن الشدّاد، رقم البيت ٦٤، ويُظهر هذا البيت فلسفة عنتره في الشجاعة والبطولة. فهو يقرّ بحتمية الموت لكنّه يرفض أن يموت جبيناً، لأنّ الجبن يجلب العار ويمحو العزة. لذلك يجعل من الشجاعة الخيار الوحيد أمام الإنسان، حتى في مواجهة النهاية المحتومة.³⁴³ استخدم الروائي أبياته في روايته ليبرز معنى المقاومة والثبات.

الشنفري

"الثّاني: بدا نحيلاً، ضيّل الجسم، أسمر الوجه، مُجعد الشعر، عيناه سوداوان

شهاوان، ولحيته المنتشرة على مساحة الوجه تغطي ثلاثة أرباعه، ذا فم صغير،

إذا تحدّث بانّت أسنانه، وشيء من لثته الحمراء. لكثرة ما حدّثني - لاحقاً - عن

الذّناب، خلّت أنّه أحد ذناب الصّحراء التي رواها الشّنفري في لاميّته.³⁴⁴

في هذا الجزء، يشبّه الراوي أحد السجناء بالذناب التي وصفها الشنفري في لاميّته، من حيث جسمه النحيل ونظراته الحادة وكثرة حديثه الذّناب. لكن التشبيه لا يقتصر على الشكل، بل تشمل أيضاً إلى المعنى الأخلاقي، فالذناب في شعر الشنفري رمز للوفاء والصدق، لا يخون السر ولا يفشي صاحبه، ولا يتلوّن في الصحبة، كما قال الشنفري:

³⁴² العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ١٦٩.

³⁴³ الروزنين، الحسين بن أحمد، كتاب في الشرح: شرح المعلقات السبع، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٢٢٦.

³⁴⁴ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٦٩.

"ولي دونكم أهلون، سيد عمّاس
وأزقظ زهلوك وعرفاء جبال"³⁴⁵
"هم الأهل، لا مستودع السرّ ذائع
لدى، ولا الجاني بما جرّ يخذل"³⁴⁶

النابعة الذبياني:

"لم أستطع النوم في الليلة الأولى في المستودع، ظلت أحلام اليقظة تطاردني، وظلّ
قلق السؤال يصدع رأسي، رحت أفكر في هذه الرفقة الجديدة، وأتأمل سقف
الغرفة المرتفع لأكسر حاجر الزمن، وأنظر إلى جهة الباب الذي يطلّ على ساحة
فسيحة، وأتخيّل الحراس يجوبون السّاحات أو يتلصّصون علينا، ظللت أتأرجح بين
الخوف والاطمئنان، إذا داهمني خيال الحراس رحت أتقلّب على فراشي كمن لدغته
أفعى، وإذا نظرتُ إلى شركائي في الغرفة وهم ينامون ليلهم الطويل، ذاب شبح القلق
وطيف الخوف في الفراغ المعتم. غير أنّه صدق فيّ في تلك الليلة، قول النّابعة:

فَبِتْ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةٌ مَنِ الرَّقْشِ فِي أَنْبَاهِهَا السُّمُّ نَاقِعٌ"³⁴⁷

عبّر النّابعة الذبياني أبرز شعراء الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى خلال بيته في النص عندما
ارتعب من غضب الملك النعمان بن المنذر، بعدما بلغه أنه مدح أحد أعدائه. فتملّكه القلق
والخوف من العقاب، ولم يستطع النوم، فشبه حاله بمن لدغته أفعى سامة، ينتشر سمّها في
جسمه. وقد وصف بهذا البيت عن شدّة الخوف والاضطراب الذي عاشه تلك الليلة. ويقتبس
أيمن العتوم هذا البيت في رواية يا صاحبي السجن ليصف ليلة مماثلة عاشها في زنارته، حين
غلب عليه الخوف من المجهول، وبينما كان يتقلّب في فراشه من التوتر الشديد، وجد أن بيت
النابعة يوضح بدقة عن حاله النفسية، فصوّر نفسه بمن لدغته أفعى، وجعل من الشعر

³⁴⁵ الشنفرى، قصيدة: لامية العرب، تحقيق- د/ محمد مطر سالم بن عابد الكعبي، دار القلم، دمشق، ط ١، ٢٠١٦م، ص ١٩.

³⁴⁶ الشنفرى، قصيدة: لامية العرب، تحقيق- د/ محمد مطر سالم بن عابد الكعبي، دار القلم، دمشق، ط ١، ٢٠١٦م، ص ٢١.

³⁴⁷ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٧٢.

طريقة لتصوير مشاعر القلق والرعب التي تملكته في واحدة من أشدّ لحظات الزنزانة صعوبة وتوترًا.

عمرو بن الأهتم

"إلى أيّ عالم تنتمي الطيور؟! إلى عالم السماء. وأي نوع من الحرية تتمتع به؟!
الحرية المطلقة. كم يتمنى المرء أن ينتمي إلى عالم السماء كالطيور، ويتمتع
بالحرية المطلقة مثلها. وماذا يفعل طير الشجر الخافق في أعماق بين القضبان أو
الأسوار؟! هل فقد صوته؟! هل فقد قدرته على التحليق؟! هل رضي بالقواقع
أم تاق إلى السحب؟! هل يقبل بوطنٍ يمدّ إليه بندقية صياد يريد أن يُردّيه؟! أم
يهاجر في الشتاء إلى حيث تطلع الشمس من جديد؟

وكلّ كريم يتقي الذمّ بالقرى وللخير بين الصالحين طريقٌ
لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها ولكنّ أخلاق الرجال تضيق³⁴⁸

البيتان في النص للشاعر عمرو بن الأهتم المنقري الذي عاش في صدر الإسلام، قالهما في الحثّ على الكرم وذمّ البخل وضيق الأخلاق، مؤكداً أن الأرض لا تضيق بأهلها وإنما تضيق بأخلاق الناس. وفي النص الروائي استخدم الروائي لتوضيح أن الحرية الحقيقية لا تتحقق بسعة المكان، بل بسعة القيم؛ فالطيور تنعم بحرية مطلقة، بينما يضيق الإنسان على نفسه إذا فسدت أخلاقه.³⁴⁹

³⁴⁸ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٣٥.

³⁴⁹ مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://www.democratsudan.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٤/٥/٦م.

قيس بن الملوّح (مجنون ليلى)

لم يكن التّحقيق هناك مُوسّعاً بالمعنى الكافي... يبدو أنّهم أخذوا ما يبتغون من
معلومات في تحقيقات المخابرات. غير أنّ بعض الأسئلة توجّهت إلى بعض أبياتي
وسألوني عن معناها... شرحتُ معاني أبياتي كما كنت أفعل حين أشرح قصائد
(المتنبّي) لِعُشّاقه... أو قصائد (المجنون) لِمُتيميّه. استرسلتُ في الشّرح، حتّى تهزني
المُدّعي العامّ. أغلق الملف بين يديه، بعد أن وقّع بعض الأوراق.³⁵⁰

في هذا الجزء يحكي أيمن العتوم كيف تم اعتقاله وسجنه بسبب أشعاره التي تنتقد الحكومة.
وأثناء التحقيق، عندما سأله أحد المسؤولين عن مضمون شعره، فرد العتوم بكل رغبة وإثارة.
يقارن أيمن العتوم جوابه بمقارنة أدبية رائعة، يشبه جوابه بشرح الشاعر المتنبّي لشعره
لمحبّيه، أو شرح الشاعر مجنون ليلى حبه لأصدقائه المجانين. هذه المقارنة توصل فكرة مهمة،
فهي تدلّ على أن شعر العتوم ليس مجرد موقف سياسي، بل هو تعبير عن حب قوي وصادق
للحرية والعدالة، مثل حب قيس لليلى.

كثير عزة

"على مكوثي في هذه التّنازين ما يقرب من أسبوع... تحوّلت خلالها إلى إنسان
آخر... لا أحد يبقى على حاله ما بين لحظتين، فكيف بهذه الليالي الاستثنائية
التي قضيتها هنا؟! تدكّرت بيت كثير عزة:

لقد زعمتُ أنّي تغيّرتُ بعدها ومن ذا الذي يا عزّلاً يتغيّر³⁵¹

³⁵⁰ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٦٤.
³⁵¹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٦١.

يُشَبَّه أَيْمَن العتوم في هذا النص التحوّل النفسي الذي أصابه خلال أسبوع من السجن بما حدث للشاعر المشهور الأموي كُثَيّر عَزّة بعد فراقه لحبيبته، مستشهدا ببيتة الشهير، حيث ردّ كُثَيّر على التي لآمه على تغيّره بعد الفراق، مثبتا أن التغيّر أمر طبيعي للإنسان بعد الألم. كما أن فُقدان المحبوبة غيّر الشاعر، فإن تجربة السجن ولياليها القاسية التي مرّ بها غيّرت الكاتب، لكي يكون إنسانا آخر. بهذه المقارنة، يظهر النص أن المصائب، مهما كانت فِقدًا أو قهرا، تسبب في النفس تغييرات لا مفر منها.

جرير والفرزدق

"تذكّرت جريرا، كان إذا أراد أن يهجو الفرزدق، أطفأ على نفسه الضوء، وتمدّد على الأرض، وصار يحكّ جسده بتراب الأرض بحركة دائرية مُؤلمة، كأنما يعذب نفسه ليتخلّص من آلام ولادة الأبيات... ثم يهدأ فجأة من هذا الطّقس السّاديّ، ويقوم فيضيء السّراج، ويصيح: الآن تمكّنتُ منك يا... وما ذلك إلّا لأنّ القصيدة في ذهنه بأفكارها وصورها وأساليبها قد اختمرت، وحان حين إشهارها فيهدأ من دورانه الأليم..."³⁵²

في هذا الجزء يصف الكاتب كيف أن الكتابة تؤلم مثل ولادة الطفل، وأن الفكرة لا تخرج بسهولة، بل بعد تعب وألم. ولشرح ذلك، يذكر الكاتب قصة الشاعر جرير، الذي كان إذا أراد أن يهجو الشاعر الفرزدق، يطفئ الضوء، ويتمدّد على الأرض، يحكّ جسده بالتراب من شدّة المعاناة، حتى تخرج الأبيات من داخله. وكأنّ الشعر لا يُولد إلّا بعد ألم كبير.

³⁵² العتوم، أَيْمَن، رواية. يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٥٤.

بشاربن البرد

"اليوم لم أنم، لم أكن قرأت بما فيه الكفاية؛ لذا جافاني النوم، تُساعدني قراءة

وجه من أحب على الهديان والدخول في عالم الأحلام، غير أنه:

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم
نفسى يا عبد عنا واعلمي أننا يا عبد من لحم ودم
إن في بردي جسمًا ناجلاً لتوكلات عليه لأنهم³⁵³

هذه الأبيات من قصيدة بشار بن برد قالها وهو يصف الأرق والضعف بسبب الحب،³⁵⁴

واستخدمها الروائي في يا صاحبي السجن ليعبر عن أرق السجين وتعبه النفسي والجسدي،

وليبين أن ما يعيشه يشبه ما عاشه الشعراء من قبل.

أبونواس

"ظلت عمري ورقة جافة في ربح عاصف، لم أقدر على شيء منه. (أبونواس) ذو

اللهو والمجون وعظني يومها، وهو يقول:

أفنيّت عُمرَكَ والدُّنُوبُ تزيّدُ والكاتبُ المحصي عليك شهيدُ
كم قلت لست بعائٍ في سوءٍ ونذرت فيها، ثم أنت تعود³⁵⁵

الأبيات التي اقتبسها أيمن العتوم في هذا المقطع من الشاعر أبي نواس تأتي من قصيدته

الشهيرة أفنيّت عُمرَكَ والدُّنُوبُ تزيّدُ، التي تُعبر عن الندم والتوبة.³⁵⁶ استخدمها الروائي هذه

الأبيات ليظهر شعور السجين وهو يراجع حياته، حيث يصبح الشعر وسيلة للتوبة ومحاسبة

النفس في شهر رمضان. وقالوا أثناء سرورهم عند الفطور أبيات أبي نواس:

³⁵³ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٩٠.

³⁵⁴ مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://www.aldiwan.net/poem62251.html>، تاريخ الاسترجاع: ٢٤/١٢/٢٠٢٤ م.

³⁵⁵ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٣١٣.

³⁵⁶ مقالة: لموقع الإلكتروني: https://www.aldiwan.net/poem63248.html#google_vignette، تاريخ الاسترجاع: ٢٣/٣/٢٠٢٤ م.

"أَكَلْتُ هَرِيصَةً وَشَرِبْتُ مَاءً كَأَنِّي لَا أَكَلْتُ وَلَا شَرِبْتُ"³⁵⁷

أبو العلاء المعري

"غَدَوْتُ مَرِيضَ الْعَقْلِ وَالْدِّينِ، فَالْقَنِي
لِتَسْمَعَ أَنْبَاءَ الْأُمُورِ الصَّحَائِحِ
فَلَا تَأْكُلْنِ مَا أَخْرَجَ الْمَاءُ ظَالِمًا
وَلَا تَبْغِ قُوَّتًا مِنْ غَرِيضِ الدَّبَائِحِ"³⁵⁸

الأبيات من نص الرواية هي مشتقة من قصيدة "غَدَوْتُ مَرِيضَ الْعَقْلِ وَالْدِّينِ" لأبي العلاء المعري، هي قصيدة زهدية يدعو فيها إلى الرحمة بالحيوان وترك أكل لحومه. يرى الشاعر أن ذبح الكائنات ظلم، وأن الإنسان يمكنه أن يكتفي بالنبات طعاما. وهو يربط بين العقل والدين الصحيح وبين الابتعاد عن إيذاء الحيوان، فيجعل القصيدة رسالة أخلاقية تدعو إلى الرِّقَّة واللاعنف.

أبوفراس الحمداني

"نَعَمْ؛ وَلَكِنَّهَا عَبَرْتُ شِغَافَ الْقَلْبِ مَلِيُون مَرَّةً، وَأَسَالْتُ دَمَ الْحَبِّ مَلِيُون مَرَّةً،
وَأَبَكْتَنِي مَلِيُون مَرَّةً، وَجَمَعْتَنِي وَبَعَثْتَنِي، وَأَبْعَدْتَنِي وَأَدْنَيْتَنِي، وَأَمَاتْتَنِي وَأَحْيَيْتَنِي،
وَأَعْطَيْتَنِي وَحَرَمْتَنِي، وَأَعَزَّيْتَنِي وَأَذَلَّيْتَنِي، وَتَدَلَّلْتَ وَتَمَنَّعْتَ، وَكَانَتْ نَارًا وَبَرْدًا، وَسَلَامًا
وَحَرْبًا، وَبَقَاءً وَفَنَاءً، وَحُزْنًا وَفَرَحًا، كَانَتْ كُلَّ ذَلِكَ مَلَايِينِ الْمَرَّاتِ..

أَسَجَنَّا وَقِيدًا وَاشْتِيَاقًا وَغَرِبَةً وَنَأْيَ حَبِيبٍ إِنْ ذَا لِعَظِيمِ
وَإِنْ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ مَا قَاسَيْتَهُ لِكَرِيمِ"³⁵⁹

³⁵⁷ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣١٢.

³⁵⁸ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ١٨٣.

³⁵⁹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٢٨٧.

الأبيات للشاعر أبي فراس الحمداني قالها في سجنه عند الروم معبرا عن القيد والاشتياق والغربة.³⁶⁰ الروائي أيمن العتوم استحضرها في الرواية لجعلها مرآة لمعاناة السجين في الرواية. وهكذا جمع النص بين تجربة الشاعر القديمة وتجربة الراوي الحديثة لإبراز وحدة الألم الإنساني في السجن.

حسين بن منصور الحلاج

"والحبّ وهو يتبدّى في صاعقة الموت؛ وانتصر الحبّ على الموت، وظلّ الحبّ

شعلة الرّوح الباقية في جسد تهالك منذ ١٩/١٢، وتهاوى في الحبّ السّحيق.

سَقُونِي وَقَالُوا: لَا تُغَنَّ وَلَوْ سَقَوْا جِبَالٌ حُنِينٍ مَا سُقِيتُ لَعَنَتِ
تَمَنَّتْ سُلَيْمَى أَنْ أَمُوتَ بِحُجَّيْهَا وَأَسْهَلُ شَيْءٍ عِنْدَنَا مَا تَمَنَّتِ³⁶¹

"لم أكنُ أجد طعمًا في موائد الصّباح إلّا لأنّ بعضًا منك كان يُشاركني تلك

الصّباحات في حضورٍ طاغ. ولم أستسغ شرابًا إلّا لأنّ خيالًا منك تراءى خلف

صفحة الرّجاج الحامكة لذلك الماء:

وَاللّهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ إِلَّا وَذِكْرُكَ مَقْرُونٌ بِأَنْفَاسِي
وَلَا خَلُوتُ إِلَى قَوْمٍ أَحَدَهُمْ إِلَّا وَأَنْتَ حَدِيثِي بَيْنَ جُلَامِي
وَلَا هَمَمْتُ بِشُرْبِ الْمَاءِ مِنْ عَطَشٍ إِلَّا رَأَيْتُ خِيَالًا مِنْكَ فِي الْكَاسِ³⁶²

الأبيات في النصين مأخوذة من قصيدة الشاعر الصوفي الذي عاش في العصر العباسي حسين بن منصور الحلاج، يبيّن فيها مدى تأثير الحب عليه، وكيف أن أي محاولة من الآخرين لإسكاته كانت بلا فائدة وزادت ألمه. كما يشير إلى أن محبوبته (سُلَيْمَى) ترغب في أن ينهي حياته وهو غارق في حبها، مما يبرز قوة العلاقة وعمق أثرها عليه. استخدمه الروائي في الرواية لجسد

³⁶⁰ التبريزي، أوزكيا، كتاب في الشرح: ديوان الحماسة للتبريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ٢٠٠٠م، ص ١١١.

³⁶¹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٢٨٧.

³⁶² العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٢٩٤.

قوة الحب العميقة وتأثيره على النفس، وكيف يصبح الحب شعلة تبقى حية حتى وسط الألم والانكسار.³⁶³

المتنبي

"الثالث، كزميليه، بدا نحيلًا، مُفرطًا في النحول، حتّى صدق عليه قول المتنبي:

"كفى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنِّي رَجَلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي"³⁶⁴

في هذا الجزء، يشتق الكاتب سطرًا من شعر المتنبي ليصف شكل السجين ضعيفا ونحيفا جدا، حتى كأنه غير مرئي لولا أنه يتكلم. كما يقول الشاعر المتنبي في أبياته إن جسده صار ضعيفا لدرجة أنه لا يُرى. الراوي استخدم هذا البيت ليوضح شدة الضعف الذي وصل إليه السجين، بسبب الحياة القاسية في السجن. كما يدلّ هذا التشبيه أن الراوي مثقف يفضل التعبير بالشعر ليشرح ما يشعر به ويراه.

"بقيتُ لأيّام أحاول أن أطرد خيال الأحداث الثلاثة، في منظرهم الفجائي، من

أن يظهر أمامي أينما التفت. وعبثًا حاولت. غير أنني أحسستُ أنني بدأت أعتاد

تلقي الصدمات العنيفة، وبدأت أألف معها. الإنسان عالم عجيب وغريب؛ ففي

اللحظة التي يقول فيها إنه لا يستطيع أن يتحمّل هذا الشيء أو أن يُطيقه،

تتوسّع دائرة التّلقي لديه فيستوعب الأحداث الاستثنائية، وتستعدّ هذه الدائرة

لتلّقي المزيد من الصدمات. وهكذا انحرفت الذاكرة بي إلى بيّتي المتنبي:

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَزْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ

فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سَهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ"³⁶⁵

363 مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://www.aldiwan.net/poem67573.html>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٤/٠٣/١٠ م.

364 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٧٠.

365 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٠٦.

في النص وظّف الكاتب أبيات المتنبي ليعبّر عن اعتياده على ظروفه القاسية، مماثلاً لحاله بحال الشاعر الذي تكاثرت عليه الصعوبات كالسهام حتى صارت تحميه من سهام جديدة، في إشارة إلى قدرة الإنسان على التلاؤم مع الشدائد.

ابن عربي (محيي الدين محمد بن علي)

"غير أنّ هناك شيئاً يُمكن أن يُحسّ ولا يُقال يستطيع المحاولة ببعض الإجابة.
وعلى أية حال لم يكن من الصّعب أن أعرف فيما لو نظرتُ إلى قلبي. وهنا في
هذه الإشرافة تجلّت لي أبيات ابن عربي المَعْتَقَة، حين أنشد:

وَحَقُّ لِمِثْلِي رِقَّةٌ أَنْ يُسَلَّمَ	سَلَامٌ عَلَى سَلَمِي وَمَنْ حَلَّ بِالْحَمِي
عَلَيْنَا، وَلَكِنْ لَا احْتِكَامَ إِلَى الدُّمَى	وَمَاذَا عَلِمَ أَنْ تَرُدَّ تَحِيَّةً
فَقُلْتُ لَهَا: صَبَاً غَرِيْباً مُتَيْمًا	سَرَوْا وَظِلَامُ اللَّيْلِ أَرْخَى سُدُولَهُ
فَلَمْ أَدْرِ مَنْ شَقَّى الْحَنَادِسَ مِنْهُمَا	فَأَبَدْتُ ثَنَائِيهَا، وَأَوْمَضَ بَارِقُ
يُشَاهِدُنِي فِي كُلِّ وَقْتٍ، أَمَا؟ أَمَا؟!" ³⁶⁶	وَقَالَتْ: أَمَا يَكْفِيهِ أَنْ يَبْقَلِيهِ

في هذا الجزء من الرواية، يحص البطل بإحساس داخلي قوي لا يستطيع التعبير عنه بالكلام، بل يفهمه بقلبه، فيتذكّر أبياتاً للشاعر الصوفي محيي الدين ابن عربي الأندلسي مشهور بشعره الروحي الإسلامي الذي يوضّح عن الحب الإلهي والمشاعر الصادقة التي تسكن القلب. في الأبيات، يوجه الشاعر تحيته إلى الحبيبة، ويعبّر عن عذوبة أحاسيسه، ويؤكد أن المحب الحقيقي يشاهد محبوبه بقلبه دائماً، حتى إن لم يره بعينه. وقد وردت هذه الأبيات في الرواية لتعكس الحالة الروحية والعاطفية التي يعيشها الكاتب، وتظهر تجربة وجدانية مماثلة بما يقوله ابن عربي في شعره الصوفي العميق.

³⁶⁶ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥م، ص ٧٥.

ابن الفارض:

"نعم، جاءتنا الأُنعم من كل مكان، فشكّرنا وما كَفَرنا، وسَهَرنا وأكَلنا، وضَحَكنا

ملء أفواهنا، و...

شَرِينا على ذِكْرِ الحبيبِ مُدَامَةً سَكِرْنَا لها من قبلِ أَنْ يُخْلَقَ الكَرُمُ³⁶⁷

الأبيات في النص مأخوذة من خمرة الشاعر الأيوبي ابن الفارض تجعل المدامة رمزا للمعرفة والمحبة الإلهية، وتجعل السكر رمزا للنشوة الروحية والابتعاد عن هموم الدنيا. أيمن العتوم يستخدم هذا الرمز في وصف تجربة السجن؛ فالذكرى والمودة والضحك تصبح وسيلة للهروب النفسي من القمع والحرمان. وهكذا يربط بين تجربة الصوفية في الماضي ومعاناة السجن في الحاضر، ليبين أن الروح قادرة دائما على السمو والحرية.

أحمد شوقي

"- ما التَّهمة التي لَفَقوها لك؟

- تهمتنا معًا.

- حُبْنَا لأوطاننا يحبسنا يا أبي!!

- كن قويًا!!

- ثقافتنا أصلُ مصيبتنا يا أبي!!

- كن أبيًّا!

- موسيقى الشَّعر تزعجهم يا أبي!!

- ابقَ بها صادقًا. ولا تخشَ إلَّا الله. ولا تخفْ إلَّا جنوح القلب.

- قصائدنا أعواد مشانقنا!!

- بل هي أعواد مشانقهم.

- أحرامٌ على بلابله الدَّوحُ؟!

367 مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://www.aldiwan.net/poem1525.html>, تاريخ الاسترجاع: ٢٣/٠٩/٢٠٢٣م.

- حلالٌ للطير من كلِّ جنس!!

- كلمائنا تملأ دروبنا بالحُقر يا أبي...³⁶⁸

في هذا الحوار من الرواية الذي جرى بين الكاتب ووالده أثناء أول لقائه في السجن، يستخدم الكاتب تقنية الاشتقاق الأدبي بطريقة تعبير قوية تؤثر في القارئ، حيث يستحضر بيتا معروفا للشاعر أحمد شوقي.

أحرامٌ على بلبله الدوحُ؟ حلالٌ للطير من كلِّ جنس؟!³⁶⁹

يظهر فيه شوقي عن الظلم ومنع الأصوات الحقيقية من التعبير. فهنا يشتق الكاتب أيمن العتوم من هذا البيت إجابة تدل على الرفض فيقول في لسان أبيه: "حلالٌ للطير من كلِّ جنس!". وهنا لا يكتفي العتوم بالاقْتباس، بل يعيد صياغة المعنى ليظهر حالته الخاصة داخل الزنزانة، فيحوّل البيت إلى أداة نقد للتمييز والظلم الذي يتعرض له. هذا الأسلوب يدلّ على مهارة الكاتب في دمج التراث الشعري مع تجربته الواقعية، حيث يوظف التناصّ والاشتقاق ليعبر عن موقفه من القمع، فيصبح الشعر أداة تعبير إبداعية للمقاومة والكلام دون القيود. "لقد كان أبي معلّمًا بارِعًا، علّمنا كيف ننجح في مدرسة الحياة، كما علّمنا كيف نبرع في مدرسة الكتب، لأنّ النّجاح في المدرسة الأولى أصعب من النّجاح في المدرسة الثّانية:

وَكَمْ مُنْجِبٍ فِي تَلْقِي الدُّرُوسِ تَلْقَى الحَيَاةَ فَلَمْ يُنْجِبِ³⁷⁰

وظّف الكاتب في النص بيت شوقي من قصيدة مصائر الأيام ليؤكد فكرته عن دور أبيه المعلم. فالأبيات جاءت دليلا يؤكد أن الفوز في الكتب لا يكفي ما لم يصحبه نجاح في مدرسة الحياة.

³⁶⁸ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٨٨.

³⁶⁹ شوقي، أحمد، ديوان الشعر: الشوقيات، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨ م، ص ٦٥.

³⁷⁰ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٣٠.

وباستخدام هذه الأبيات رفع الكاتب قيمة التجربة الحياتية وجعل كلامه أكثر تأثيراً بإسناده إلى شاعر كبير مثل أحمد شوقي. كتبها للتعبير عن هموم الأمة العربية والاجتماعية والسياسية في عصره.³⁷¹

"شعرتُ بالحميمية مع هؤلاء المساجين، صحيح أنهم من قضايا أخرى غير قضايا
السياسيين، وصحيح أنني قد لا أعرف واحداً منهم، إلا أننا جميعاً شركاء في هذه
المأساة، ونتقاسم جميعاً هذه الرقعة الجغرافية المشتركة من الوطن التي تدعى
السجن، وتذكرتُ شوقي حين قال:

فإنَّ يَكُ الجِنْسُ يَا بُنَّ الطَّلَحِ فَزَقْنَا إِنَّ الْمَصَائِبَ يَجْمَعُنَ الْمُصَابِينَا"³⁷²

الأبيات في النص مأخوذة من قصيدة يا نائح الطلح أشباه عوادينا للشاعر أحمد شوقي، كتبها في إطار التعبير عن الحزن والأسى على الفقد والفرق.³⁷³ استخدم الروائي هنا لتعبير حزنه في إضراب عن الطعام في السجن.

سيد قطب

"بدأت محاولات المحققين تتصارع في ذهني أصابني دوار التفكير بالحرارة، لذتُ
بأفراح الروح، لسيد قطب، لكي أبرّد عض هذا الوهج. ورددتُ مع صاحبها: (إنَّ
الشَّرْلَيْسَ عميقاً في النَّفس الإنسانية إلى الحدِّ الذي نتصوّره أحياناً. إنّه في تلك
القشرة الصّلبة، التي يواجهون بها كفاح الحياة للبقاء... فإذا أمنوا تكشّفت تلك
القشرة الصّلبة عن ثمرة حلوة شهية."³⁷⁴

³⁷¹ شوقي، أحمد، قصيدة: ديوان أحمد شوقي، دار الأرقم، مكة، ٢٠١٦م، ص ١٢٣.

³⁷² العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٢٦١.

³⁷³ شوقي، أحمد، قصيدة: الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ١، ٢٠٠٣، ص ١٤٧.

³⁷⁴ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٥٨.

يعكس هذا الجزء تأثير أفكار سيد قطب الكبير في تجربة أيمن العتوم الروائية، خاصة في سياق السجن والصراع النفسي. وعندما اشتدت ضغوط التحقيق، أحسّ الراوي بالدوار من التوتر والحرارة النفسية، فلجأ إلى كتاب *أفراح الروح* لسيد قطب، وكأنّه وجد فيه ملجأ روحياً يقلّل من قسوة اللحظة. استحضاره لعبارة سيد قطب عن أن "الشر ليس عميقاً في النفس الإنسانية" يظهر أن أيمن العتوم يتبنّى نظرة قطب المتفائلة بطبيعة الإنسان، رغم العنف الظاهرة. هذا التأثير لا يظهر فقط في الفكرة، بل أيضاً في اللغة التأملية والإيمان بقيمة الإنسان تحت الألم، وهو ما يبيّن تمازجاً جلياً بين التجربة الشخصية للكاتب ومصادره الفكرية، حيث أصبح فكر سيد قطب أداة مقاومة نفسية في وجه الظلم والسجن.

"ما تعلّمته من أبي لم أتعلّمه في أيّ مدرسة، ولا في أيّ جامعة، ولا على يد أيّ شيخ، ولم أقرأه في أيّ كتاب... ما تعلّمته من أبي كان مزيجاً من الكبرياء السّامقة سُموق النّخلة في الرّيح العاصفة، كان يلخّص ذلك ويكرّره أمامي في كلمتي سيّد قطب: (استعلاء المؤمن) ... ما تعلّمته من أبي ظلّ منقوشاً على صخرة التّحدّي هائلاً بكلّ الأمواج التي تفكر أن تنال منه... على تلك الصّخرة تحطّمت كلّ محاولات الإذلال التي عمّد السّجانون إلى إعمالها"³⁷⁵

استخدم الكاتب التعبير "استعلاء المؤمن" في النص الروائي هي تُعبّر عن مفهوم الكرامة الإيمانية التي وضعها والده في نفسه. هذا المفهوم مستلهم من فكر سيد قطب في كتابه "معالم في الطريق"، يشرح فيه كيف أن المؤمن ينبغي عليه أن يكون في حالة دائمة من الاستعلاء

375 العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٣١.

الروحي والنفسي، بحيث يواجه التحديات والصعوبات بثبات وقوة، دون أن يذل أو ينهار

أمامها.³⁷⁶

"عدتُ إلى بطانياتي... استلقيتُ على ظهري، وبدأتُ أترنم... حضرتني أشعارُ ربِّما مرَّ
على آخر مرةً تَلَقَّطْتُ بها أكثرُ من سبعة عشر عامًا... تذكرتُ سيّد قطب، وترنمتُ
برأئته:

أَخِي أَنْتَ حُرَّوَزَاءِ السُّدُودِ أَخِي أَنْتَ حُرَّ بَيْتِكَ الْقِيُودِ
إِذَا كُنْتَ بِاللَّهِ مُسْتَعَصِمَ فَمَاذَا يَضِيْرُكَ كَيْدُ الْعَبِيدِ؟! "³⁷⁷

الأبيات في النص مأخوذة من كتاب معالم في الطريق لسيّد قطب، التي تظهر الروح الإسلامية
في دعوة الحرية الروحية والاعتصام بالله. وفي الرواية تتحدث عن الحرية الداخلية والقوة
بالله أثناء شعور البطل بالضيق.

عرار (المصطفى وهي التل):

"انتحينا أنا و(ناهض) الزاوية القصية، لنُفسح لأنفسنا الحديث، كي نقطع الوقت
أثناء وجودنا في هذا القفص الكئيب؛ إذ لم يكن يهمننا الهراء الدائر في شيء! تركّز
مُعظم حديثنا حول (عرار) وشعره. كان (ناهض) يحفظ كثيرًا من أشعاره، وبدأنا
رحلة الغوص في ديوانه، يبدأ بالبیت، أو البيتين، فأكمل من بعده القصيدة. يقول:

قُولُوا لِعِبَادِ عَالِ الْقَوْلِ يَشْفِيهِ
إِنَّ الْمُرَائِبِينَ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ
فأكمل:

وإنهم لا أعز الله طُعْمَتَهُمْ
قَدْ أَطْلَعُوا رَغَمَ تَنَدِيدِي بِهِمْ دِينِي

³⁷⁶ قطب، سيد، كتاب في الفكر الإسلامي: معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣ م، ص ١٥٢.
³⁷⁷ العتوم، أيمن، رواية. يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٥٩.

يبدأ (ناهض):

لَيْتَ الْوُقُوفِ بِوَادِي السَّيْرِ إِجْبَارِي

وَلَيْتَ جَارِكَ يَا وَادِي الشَّيْثَا جَارِي

فَأُكْمِلِ مُتَرْتَمَا:

لَعَلَّنِي مِنْ رُؤْيَى وَجْدِي الْقَدِيمِ بِهِ

أَزْتَادُ مَسَّاً لِحَيَّاتِ أَشْعَارِي³⁷⁸

يصوّر الكاتب في هذا المقطع مشهداً دافئاً بينه وبين زميله في الزنزانة يسمّى بناهض، حيث يذهبان إلى زاوية بعيدة عن ضجيج الحياة اليومية داخل الزنزانة، ليبتعدا عن الحزن الشديد والفراغ الذي يسيطر على المكان. هنا يستحضر الكاتب شعر الشاعر المشهور الأردني مصطفى وهبي التل (عرار)، الذي كان رمزا للحرية والانقلاب على الظلم، وخاصة ضد الحكم العثماني الذي كان يوقف حرية الناس. يقرآن معا من أشعاره التي تنتقد الظالمين وتختار الحرية على الذل، ومنها ما يدلّ على حب "عرار" لوادي السير، المكان الذي كان يمثّل له الجمال والحرية. شعره كان قويا ومؤثرا، مرتبطا بالأرض والبشر. اختيار هذه الأبيات لم يكن عبثاً، بل لأنه يظهر عن مشاعر السجناء الذين يمرّون بالقهر ويريدون الحرية. الأبيات الأولى تهاجم المرابين وتصفهم بإخوان الشياطين، وتُظهر غضب الشاعر من الفساد، فيشعر السجين أنه شبيه لهذا الشاعر في رفضه للظلم. أما الأبيات التالية، التي تعبر عن اشتياق الشاعر لوادي السير، فهي تشبه شعور السجين الذي يحن إلى حريته التي مضى من قبل. هذا الربط بين الرواية والشعر يجعل من القصيدة طريقة مقاومة، ووسيلة للهروب من قيود السجن نحو عالم أوسع، حيث تتشابه مشاعر السجين مع مشاعر الشاعر في رفض القيد والقمع.³⁷⁹

³⁷⁸ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ١٠٣.
³⁷⁹ مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://www.al-jazirah.com/2012/20120921/rj3.htm?utm>، تاريخ الاسترجاع، ٢٠٢٥/٠٨/٣١ م.

"وكانت هذه بداية عهدٍ جديدٍ في هذا السّجن. ما إن جلستُ على السرير، حتّى
استرعى انتباهي بيتٌ من الشّعر مكتوبٌ بخطٍّ واضح، ومُلصَقٌ على أحد جوانب
البرّش، وكان البيتُ لعرار، يقول فيه:

ولَحْتُ في مِرآةِ بؤسِكَ صُورَتِي وقرأتُ فوقَ إطارِها عُنواني

تُرى، أيُّ بؤسٍ يتبدّى في المرآة التي لم أنظر إليها طوال حياتي في السّجون الثلاثة
التي عبرتني؟! تُرى، أيُّ عشقٍ يتكثّف في قلبي ليحميني من الهلاك في صحراء
البُعد والحرمان؟! تُرى، أيُّ شوقٍ يتخثّر في خلايا دمي، فيجعل من شهقاتي إندائًا
بموتِ شاعرٍ عاشقٍ؟!³⁸⁰

البيت في النص مشتق من قصيدة يا أخت واد للشاعر عرار الذي تمّ تأليفه وهو يعيش تجربة
النفي والسجن والاغتراب والانفرادية في بدايات القرن العشرين، حيث كان يرى في شقاء
لمستبعدين والمظلومين انعكاسًا من حياته، فصار البؤس مرآة يكشف منها على ذاته.³⁸¹ وعندما
يقتبس الروائي البيت في سياق السجن، فإنه يستخدمه ليعبر عن آلامه الخاصة، فيرى نفسه
في ذات المرأة التي وصف عنها عرار، لكن بمنظور جديد يجعلها وسيلة للتأمل في البؤس
والعشق والشوق الشديد. وهكذا يتحوّل البيت من تجربة شاعر مطارد قديم إلى معاناة سجين
معاصر، مما يظهر قوة الشعر في عبور الأزمنة والتعبير عن المعاناة التي يشترك فيها البشر
جميعًا.

³⁸⁰ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ١٦٠.

³⁸¹ مقالة: الموقع الإلكتروني <https://www.ultrasawt.com>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٥/٠٢/٠١ م.

هاشم الرفاعي

"وأكملتها... وصرختُ بها... وكزّرتها مرّات ومرّات... ثمّ قفزتُ إلى الدّائرة سيمفونيّة

هاشم الرفاعي:

أَيُّهَا السَّائِرِينَ الْغَيْبِ
عَاثِرِ الْخَطُوجِ الْتَعَبِ
ضَارِبًا فِي لَجَّةٍ غَامِضَةٍ
مِنْ مُحِيطِ الْعَالَمِ الْمُضْطَرِبِ
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ مَنْ أَنْتَ وَلَمْ
تَقْرَأِ التَّارِيخَ يَا أُنْبَنَ الْعَرَبِ³⁸²

استخدم الكاتب في النص أبيات من قصيدة دين وعروبة للشاعر المصري هاشم الرفاعي. ألفها حيث كانت تواجه الأمة الإسلامية التحديات السياسية الثقافية عديدة. هي التي تدور حول الهوية العربية الإسلامية.³⁸³ وفي سياق الرواية استخدمها الكاتب وسيلة للراحة النفسية والتمرد الروحي أثناء لحظة انعزاله في السجن.

نزار قباني

"استقرّ المحقّق قبالي، والكاتب على يعينه.
-لماذا تكتب هذا النوع من الشّعْر؟
-لأنّي لا أستطيع أن أبقى صامتاً.
-أليس الصّمتُ وسيلةً للإفلات من العقوبة؟
-ليس دائماً. قد يكون سبباً في كارثة كبرى.
-ماذا قصدت بقولك
-كما فهمتَ تماماً!

382 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ١٦٠.

383 مقالة: الموقع الإلكتروني <https://www.aljazeera.net/sport>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٥/٠٨/٣٠م.

-لم أفهم. أريد أن أسمع منك، فكلّ ما تقوله سيكون مُجَالاً هنا في ورقة الإفادة!!

-هل تعترف بأنّ هذا الشعر الذي أمامي لك.

-ما تبثّ عن شعري ولا استغفرته ما أسخف الشعراء لوهم تابوا (مع الاعتذار

لنزار قباني)

-ما علاقة نزار قباني بالأمر؟

-ليس له علاقة، أنا حوّرت كلمة (عشقي) في يته إلى شعري،³⁸⁴

يقول الكاتب خلال هذا النص أنه واجه ضغطاً من الحكومة التي تريد منه التوقّف عن الكتابة. ويلمّح النص إلى ما حدث مع الشاعر نزار قباني عندما توقّف عن الكتابة لفترة بعد مقتل زوجته بلقيس عام ١٩٨١، لأنه كان حزيناً جداً فيه. لكن في نهاية النص، هناك كلمة ترفض فيه الشاعر أن يتوب عن الشعر أو يتركه، وهو عكس ما فعله نزار مؤقتاً. هذا يدلّ أن الكاتب يرى الشعر موقفاً لا يجب التراجع عنه، مثلما فعل نزار عندما عاد إلى الكتابة واستمر شاعراً حتى آخر أيامه.

مظفر النواب

"في الثّانية ظهرًا حَطَطْنَا رِحَالَنَا فوق صحراء الجنوب، عند مدخل وطننا الجديد.

ما أحلى أن ترى وطنك يفتح ذراعيه مُرحِّبًا بك على طريقته الخاصّة! ملأْتُ رَتِيّ

من هواء المكان، وأخذتُ نَفَسًا عميقًا، وظننتُ بأنّ أُخرجّه. كنتُ أحاول أن

أستبقيه ليكون زادنا في قابل الأيّام. ها نحن من سجنٍ إلى سجن، ومن منفى إلى

آخر، وها هو مظفر النواب يعزف رائعته المائلة على بَوَابَةِ سجننا الجديد:

سُبْحَانَكَ كُلُّ الْأَشْيَاءِ رَضِيَتْ

سِوَى الدَّلّ،

وَأَنْ يُوضَعَ قَلْبِي فِي قَفْصٍ فِي قَصْرِ السُّلْطَانِ،

384 العتوم، أيمن، رواية. يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٥٦.

وَقَدَرِي يُكُونُ نَصِييَ فِي الدُّنْيَا كَنَصِيبِ الطَّيْرِ،
وَلَكِنْ... سُبْحَانَكَ حَتَّى الطَّيْرُ لَهَا أَوْطَانُ،
وَتَعُودُ إِلَيْهَا،
وَأَنَا مَا زِلْتُ أَطِيرُ... أَطِيرُ،
فَهَذَا الْوَطَنُ الْمُتَمَدُّ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ،
سُجُونٌ مُتَلَاصِقَةٌ،
سَجَانٌ يُمَسِّكُ سَجَانٌ!!³⁸⁵

هذه الأبيات جزء من قصيدة في الحانة القديمة لمظفر النواب الشاعر العراقي الثائر المعروف بنقده الجريء للأنظمة العربية، وظَّفها الشاعر لرفض الذل والقمع، خلفية تأليف القصيدة كانت بمناسبة النضال القومي والسياسي ضد الأنظمة العربية المستبدة، وضد الاحتلال الصهيوني لفلسطين.

وفي الرواية، تعكس الأبيات خيبة الراوي العائد من السجن والمنفى إلى وطن جديد ليجده سجنا آخر، وتجسّد التشبيه بالطيور التي تملك أوطانا تعود إليها، مقابل إنسان عربي تائه بلا مأوى حقيقي. كما تكثف رؤية قاتمة للوطن العربي كسلسلة سجون مترابطة، حيث حدود الجغرافيا لا تعني بالضرورة حدود الحرية.

"كان (عبد الله) يُجيد سَرَدَ الْقَصَصِ، ويستمتع بها، وكنتُ أجد الاستماع. وبدون ادّعاء، لقد كنتُ أسمع القصّة أو القصيدة التي أعرفها وأحفظها عن ظهر قلب كما لو كان الحديث حولها يطرق حجرات أذني لأول مرة. كنتُ مصابًا بالدهشة الدائمة، ومُدمنًا عليها. أضِفُ إلى استمتاعي بالاستماع إلى صوت (عبد الله) نفسه، فقد كان صوتًا إذاعيًّا مُحَبَّبًا إلى النَّفْسِ، وكنتُ أحبُّ هذا الصَّوت حين يبدأ بإلقاء

385 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ١٣٨-١٣٩.

الأشعار، وكأنّه صوت الشّاعر نفسه. إنّ الشّعركُتِبَ لِيُسمَعَ لا لِيُقرأ؛ فاقراً يا
(عبد الله) تجدني خير من يسمع. كثيراً ما كنتُ أرّددُ أمامه، بعد أن ينهي تلاوة
قصائده، أبياتَ مظفّر النّوّاب:

اللّيلُ وعبدُ الله أقاربُ،
العرقُ الباردُ والنّارُ وحُزنُ الأيّامِ،
وعبدُ الله أقاربُ،
يُفهمُ في اللّجّ،
وأفضلُ مَنْ يصنّعُ مجدافين ولا يملكُ قاربُ،
أحبّك يا عبد الله لنفسِكَ غاضِبُ،
وعلى نفسِكَ غاضِبُ،
رشاشُكَ يَعْقِدُ قِمَتَهُ مُنْقَرِداً، ونعالِكَ في قِمَتِهِمْ،
إِصْفَعُهُمْ، يا عبد الله، بأَرْضِ نِعالِكَ،
يَخْرُجُ تاريخُ عقاربِ.³⁸⁶

هذه الأبيات مأخوذة من قصيدة عبد الله الإرهابي للشاعر العراقي مظفّر النّوّاب، كتبها ليعبّر
عن الغضب والتمرد على الظلم، وعبد الله الإرهابي في القصيدة هو اسم رمزي ليس شخصياً
تاريخياً، وصفه فيها ثائراً الذي يقاتل بشرفه حتى لو لم يملك سوى سلاحه البسيط. في الرواية
وظف الكاتب هذه الأبيات لتصوير شخصية عبد الله في السجن، فصار وكأنّه نفس البطل
الذي صوّره الشاعر مظفّر، رجل صوته قوي وكلماته تحمل كبرياء المناضل. وهكذا تحوّل
الشعر من سياقهِ الحقيقي في الثورة ليصير جزءاً من تجربة السجن، ويمنح لعبد الله قيمة
رمزية أكبر.

386 العتوم، أيمن، رواية. يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ١٦١-١٦٢.

أمل دنقل

"بعثوا بي إلى الطبيب في إحدى الليالي... لم أدري لماذا يفعلون ذلك؟ لا أشكو من شيء... إذا سلّمتُ من رماح الذكرى، ومن سكاكين الشوق فأنا بألف خير... ولا طبيب يدّعي أنه يستطيع معالجتني منهما!! دخلتُ إلى غرفته البيضاء في كلّ شيء... السرير أبيض... الملاءات بيضاء... الأردنية بيضاء... حتى الستائر كانت تتوهج بياضاً... قفزتُ أبيات أمل دنقل إلى رأسي المتخّم بالحب:

كان نقاب الأطباء أبيض
لون المعاطف أبيضتاج الحكيمات أبيض
الملاءات... لون الأسرة...
أربطة الشاش والقطن
قرص المنوم، أنبوبة المصل
كوب اللبن
كلّ هذا يشيع بقلبي الوهن
كلّ هذا يذكّرني بالكفن³⁸⁷

الأبيات في هذا النص من قصيدة للشاعر المصري أمل دنقل، ألّفها في أواخر حياته أثناء علاجه من السرطان ضمن مجموعته *أوراق الغرفة ٨* حيث قال فيها عن معاناته من المرض ووحدته في بيئة المستشفى الباردة والمعقّمة، فرأى في اللون الأبيض المحيط به رمزا للضعف والموت لا للشفاء. وقد اقتبس أيمن العتوم بهذه الأبيات في الرواية ليظهر التماثل بين تجربة المرض وتجربة السجن، فكلتاها تفصل الإنسان عن الحياة وتدفعه للتفكير في موته، حتى وإن كانت البيئة حوله تبدو نظيفة ومرتبة، إلا أنها تحمل في داخلها شعورا بالخوف والانفراد والمصير المجهول.

387 العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٦١-٦٢.

إبراهيم طوقان

"كان البعثيون، والشيوعيون، والمتقفون، وأبناء العشائر قد صعدوا فوق
أبراشهم العلوية (الطابق الثاني من الأسرة)، وراحوا يقفزون بشكلٍ جنوني
وهستيري. بعضهم كان طويلًا، فإذا علا بقفزته فوق البرش، كاد رأسه يرتطم
بسقف الغرفة. وفي تناغم مهول، راحوا يغنون بصوتٍ موحد:

يا ظلام السجن خيم

إننا نهوى الظلام

ليس بعد الليل إلا

نور فجر يتسامى³⁸⁸

في هذا المقطع من الرواية، يستخدم الكاتب أبيات قصيدة يا ظلام السجن خيم ضمن صورة
جماعيٍّ يصوّر فيه السجناء أثناء قفزهم على سريهم وينشدون بصوتٍ موحد، في لحظة
هستيرية تظهر قلقهم وشوقهم إلى الحرية. تظهر هذه الأبيات في الرواية كفعل رمزيٍّ للتمرد
وكسر الصمت، حيث تصبح الأغنية إلى طريقة للتفريغ الجماعي واستدعاء الأمل.

هذه الأبيات ألّفها الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان، أحد رواد الشعر الوطني في النصف
الأول من القرن العشرين، والمشهور أعماله المعارضة للاحتلال البريطاني. عبّر فيها عن قضايا
شعبه، وكانت قصيدته هذه من أهم ما نظمه في إطار النضال الوطني. أُلقيت الأبيات على
لسان أحد السجناء الفلسطينيين في سجون الانتداب البريطاني، فجاءت إظهاراً للصمود داخل
الزنازين، ورفضاً للانكسار رغم الظلمة والأغلال. ومع مرور الوقت، أصبحت هذه القصيدة
نشيداً رمزياً يتردّد في سجون العرب، فصارت تمثل صوتاً جمعياً للمظلومين.

388 العتوم، أيمن، رواية. يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢٠١٥، ص ١٢٣.

"شكّلت في تلك الفترة أغاني سميح شقير أحد جسور الالتقاء النادرة فيما بيننا.
ومع أنّ هذا المغنّي كان يساري القلب والهوى، فقد استغرب كثيرٌ منهم أنّي أحفظ
أغنياته عن ظهر قلب. ولكنهم ما دروا أنّ الحرية هي بحدّ ذاتها اتجاه لا يعترف
بغيره من الاتجاهات الأخرى. كم رفعنا أصواتنا، وأطلقنا لحناجرنا العنان، ونحن
نغني:

هيه... يا سجّاني
هيه... يا عتم الزنّانة
عتمك رايح... ظلمك رايح
نسمة بكرا ما بتنساني
هيه... هيه... يا سجّاني
لولا إمي تركتنا بعيد
لولا اشتقت لضيعتنا
ما كنت وقفت بشباك الزنّانة
وغنيتها:
يمّا، العسكر بيبي وبينك
لو طوّلت بيعلا جبينك
رضعتيني العز، ويمّا
الموت يطيب وما تنهاني³⁸⁹

يصف الكاتب في هذا النص كيف كانت أغاني سميح شقير تمنح روحا من الأمل والوحدة بين
السجناء، رغم اختلاف اتجاهاتهم الفكرية. فقد كانت كلمات الأغنية تظهر شوقا شديدا
للحرية، وتشرح عن مشاعر الفقد والاشتياق، فشكّلت أداة للتنفيس عن الألم وكسر عتمة

389 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ص ١١٧-١١٨.

السجن. يُعدّ سميح شقير من أبرز المغنّين السوريين الملتزمين، عُرف بمواقفه اليسارية وأغانيه التي تساند عن الحرية والعزة، مما جعله صوتاً فنياً للمظلومين. وتحمل أغانيه، ومنها الأغنية التي وردت في الرواية، مشاعر التحدي في وجه الظلم، وتبيّن عن الحنين إلى الأم والوطن. وقد جاءت هذه الأغنية في سياق النضال السوري، حيث أراد الشاعر أن ينقل صوت السجناء بواسطة الفن المقاوم. ويظهر الكاتب كيف أصبحت أغاني شقير، رغم آرائه السياسية المختلفة، جسراً عاطفياً بين السجناء الذين تلاقوا حول قيمة الحرية، لا حول المواقف السياسية. وقد كوّنّت هذه الأناشيد لحظة اتحاد عاطفي بين السجناء.

التناسق الفلسفي والفكري

سيغموند فرويد وكارل يونغ

"كانت الزيارات وسيلة التّواصل الوحيدة مع العالم الخارجيّ. صحيح أنّه كان لنا عالمنا الخاص في السّجن، بيد أنّه كان مختلفاً تمام الاختلاف عن عالم النّاس الذين يسمّون أنفسهم أحراراً... كان التّوق إلى دَوران الحياة خارج الأسوار، لا يمكن أن تفسّره كلّ نظريّات فرويد، ولا افتراضات كارل يونغ. كانت الزيارات قطرة الماء التي تنزل على الصّحراء المجذبة فتحيلها رياضاً وبساتين. بل كانت شعلة من ضياء الرّوح تنتشر في الظّلمات، وهبات للظّلمات الموقلة أن تقضى ولو على شعلة واحدة"³⁹⁰

يستعين الكاتب بخبراء الصحة النفسية وعلماء النفس في الرواية لتوصيل أفكاره للقارئ بشكل فعّال ومؤثر، فيُشير إلى نظريات فرويد التي تربط السلوك البشري بال رغبات المكبوتة،

³⁹⁰ العتوم، أيمن، رواية. يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٨٤.

وافتراضات كارل يونغ التي تشرح المشاعر بالرموز واللاوعي الجمعي، ليثبت أن شوق السجين إلى عائلته أشد من كل هذه التفسيرات. فالحنين في هذا السياق ليس مجرد حالة نفسية يمكن تحليلها، بل هو شعور روحي حيّ يفوق قدرة العلم على تفسيره، مما يؤدّي القارئ يدرك مدى الألم الإنساني الذي يمر به السجين.

"ذات مرّة، جلستُ معه على طرفي الحديث، وبادرته قائلاً:

- ستكون معجزة العصر لو أنّ الشعوب العربيّة استعادت إنسانيّتها.
- وهل يمكن أن تفعل ذلك؟!
- ليس مستبعداً!!
- كيف؟
- أن تثور!!
- هكذا، بهذه البساطة!!
- بالطبع لا... إنّ القمع الذي مورس عليها سنين طويلة، هو بمثابة الشرارة التي لا تعرف متى تنفجر لتأكل كلّ شيء!!
- هذا خيال الشاعرة أم السياسي؟!!
- كلاهما!
- دعك من الأحلام... الأحلام رغبات مكبوتة، كما يقول فرويد.
- في هذه الحالة، نعم... وهل مصير المكبوت إلا الانفجار؟
- الشعوب العربيّة تربّت على غير هذه المفاهيم الثوريّة التي تُنادي بها.³⁹¹

نظرية فرويد عالم النفس المشهور عن الكبت تعيننا القارئ فهم فكرة النص الروائي، لأنه يربط القمع الذي مرّت به الشعوب بمشاعر ورغبات محفوظة في باطنها في الحوار، قالوا كلام

³⁹¹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٢٧.

فرويد عن أن "الأحلام رغبات مكبوتة"³⁹² ليوضحوا أن هذه المشاعر إذا بقيت ممنوعة فترة ممتد، ستنفجر في النهاية بشكل قوي، مثل الغضب أو الثورة.

لافونتين (الكاتب الفرنسي)

"وعلمي (لافونتين)، الشاعر الفرنسي، أن الحرية لا تساوي طعاماً شهياً أو مناماً وثيراً، فالحيوانات تستطيع أن تحصل على ذلك. ما زلت إلى اليوم أتذكر قصته التي قرأتها في عهد الطفولة، وتقول: إن ذئباً هزلاً صادف كلباً ضخماً وجميلاً فتودّد إليه، وسأله الصحبة. فأشار عليه الكلب أن يتبعه ويفعل فعله، ويكون مثله حارساً لبعض الأغنياء، يقوم بحراستهم مقابل أن يحظى بما لذّ وطاب من فضلات طعامهم. ولكنّ الذئب لاحظ أن حول رقبة الكلب حيزاً خالياً من الشعر، فسأله: أين الشعر الذي يفترض أن يكون حول رقبتك؟! فقال الكلب: هذا محلّ الطوق الذي يقيّدني به سيدي!! فردّ الذئب عليه: إنني لا أفترط بحريتي بمال الدنيا."³⁹³

القصة في النص من كتاب *الخيال الحيواني* للكاتب الفرنسي لافونتين، الذي جمع فيه قصصاً رمزية لتعليم الدروس الأخلاقية، متأثراً بحكايات إيسوب في القرن السابع عشر.³⁹⁴ وتظهر القصة أن الحرية قيمة عليا لا تُقايس بالمال أو الثروة، وأن الكرامة والاستقلال أهم من متاع الدنيا الأخرى، استخدم الروائي هذه القصة هنا ليبرز موقف السجين في تفضيله الحرية ولو كانت محفوفة بالمنع والمعاناة على حياة مقيدة مرفهة داخل الزنزانة مؤكداً أن قيمة الحرية لا يوازئها طعام ولا نوم ولا متاع دنيوي.

³⁹² Freud, Sigmund. *The Interpretation of Dreams*. Translated by James Strachey, vol. 4, The Standard Edition of the Complete

Psychological Works of Sigmund Freud, Hogarth Press, 1953, page: 122.

³⁹³ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ١٦٩.

³⁹⁴ لافونتين، جان دو، كتاب في الأدب: *خرافات لافونتين*، ترجمة- سعيد بركراد، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ١٩٩٨م.

ملك شاه إيران

"كان وجود هذه المرأة الصغيرة المشروخة في سجن يكره المرايا يُعدّ فتحًا إلهيًا مشهودًا. بل كانت هذه المرأة من وجهة نظري أئمن من كلّ مرايا شاه إيران الذي كان يمتلك قصرًا من مرايا!!"³⁹⁵

في النص مثل الكاتب مرآته في السجن بمرآة شاه إيران، ليعبر التباين بين البساطة ذات القيمة الروحية والفخامة المادية الباهظة. كما يوظف المقارنة مع مرايا شاه إيران محمد رضا بهلوي، آخر ملوك إيران قبل الثورة عام ١٩٧٩م لتسليط الضوء على الفرق بين المعنى الروحي والرمزية الشخصية وبين البذخ والسطحية في مظاهر القوة. وكان يحب الفخامة والترف والزينة بالمرايا والزجاج اللامع في قصوره، مثل قصر المرأة في طهران، حيث كانت الجدران مغطاة بالمرايا لتعكس القوة والثراء والسلطة الملكية.³⁹⁶

أحمد مطر: (منع الحجاب في فرنسا)

"أما (شيراك) الذي أسهب في الحديث عن الحرّية الدينيّة، فإنّه لم يلتفت إلى التناقض القائم في دولته التي حظرت الحجاب ومنعته في كلّ مرافقها. فأين الحرّية إذًا؟ وكيف يمكن أن يكون الحديث عنها مقنعًا وهي تُخنق في كلّ حين؟ لقد أعادني هذا الموقف إلى أبيات الشاعر أحمد مطر حينما حظرت فرنسا الحجاب، حيث قال مستهزئًا بازدواجية خطابها:

قمرٌ توشّح بالسّحاب،

العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥م، ص ٢٣٤.

مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://whc.unesco.org/en/list/1422>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٥/٢/١م.

فجرّ تحمّم بالندى وأطلّ من خلف الهضاب،
وهي الحضارة كلّها تنسلّ من رحم الحراب،
وتقوم سافرةً لتختزل الدّنا في كلمتين: "أنا الحجاب".
ثم يخاطب فرنسا بلهجة ساخرة:
نعلاك أوسع من فرنسا،
ونعلاك أظهر منها جسداً ونفساً،
ونعلاك أجمل من مبادئ ثورةٍ ذُكرت لُتُنسى.
فإذا ارتضت أهلاً، وإن لم ترض،
فلترحل فرنسا عن فرنسا نفسها إن كان يزعجها الحجاب.³⁹⁷

الأبيات التي وردت في النص للشاعر العراقي أحمد مطر، وهو شاعر ساخر يكتب عن الظلم والتناقض في السياسات. "الأبيات مأخوذة من قصيدته عبد الله الإرهابي، وهي من أبرز قصائده التي عبّر فيها عن الغضب والتمرد على الظلم والاستبداد. كتبها بعد قرار فرنسا منع الحجاب، فجعل الحجاب رمزا للطهارة والحرية الحقيقية، في مقابل ادعاء فرنسا الكاذب بالحرية والمساواة. صوّر الحجاب وكأنه يتكلم، ويقول: "أنا الحجاب"، ليفضح تناقض فرنسا التي تمنع ما تزعم أنها تحميه. في الأبيات نرى صوراً قوية مثل القمر والفجر والندى، لكن الشاعر يقابلها بسخرية حين يقول إن نعال الحجاب أظهر وأجمل من فرنسا نفسها ومن مبادئ ثورتها التي لم تُطبّق. في النص الذي وردت فيه الأبيات، استخدم الكاتب شعر أحمد مطر ليؤكد نقده لموقف الرئيس الفرنسي شيراك من الحرية الدينية، مبيناً التناقض بين خطاب الغرب عن الحرية وتصرفاته ضد المسلمين.

³⁹⁷ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ١٧٧-١٧٨.

خاتمة الباب

خلص الباحث إلى أن رواية *يا صاحبي السجن* للكاتب أيمن العتوم تمثل دراسة شاملة تجمع بين التجربة الواقعية والخيال، وتتناول أبعاد السجن والحرية على المستويين الشخصي والسياسي والاجتماعي. وقد تناول الباحث الظروف السياسية والاجتماعية التي أدت إلى اعتقال الكاتب، وما أعقب نشر الرواية من جدل واسع وحظرها، موضحاً أثر ذلك على القيمة الأدبية والفكرية للعمل وأهميته كوثيقة تتجاوز حدود السرد الروائي التقليدي. كما لخص الباحث الأحداث الرئيسية والشخصيات والخيط السردى للرواية، مع التركيز على الربط بين الواقع والخيال لتقديم صورة واضحة وشاملة تساعد القارئ والباحث على فهم عمق النص الفكري والمعنوي.

كما أبرز الباحث ظاهرة التناس في الرواية، موضحاً كيفية توظيف الكاتب للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والأمثال والتاريخ والحكم، بما يعزز ثراء الأسلوب ويضفي قيمة أكاديمية عالية. وبذلك يبرهن الباب على أن الرواية ليست مجرد سرد لتجربة شخصية، بل هي رؤية متكاملة تعكس قدرة الأدب على تحويل المعاناة إلى عمل فكري وإنساني غني، وتقدم مساهمة قيمة لدراسة الأدب السياسي والاجتماعي المعاصر.

الباب الرابع

فضاء السجن في رواية يا صاحبي السجن: دراسة تحليلية

مقدمة

يسعى الباحث في هذا الباب إلى تحليل فضاء السجن في رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم، بوصفه فضاء إنسانيا مركبًا تتقاطع فيه الأبعاد السياسية والنفسية والجسدية والوجدانية، ويجسد تجربة السجين في صراعه مع القهر والحرمان وسعيه نحو الحرية والانعقاد. فالسجن في الرواية يتجاوز كونه مكانا ماديا للعقوبة، ليصبح رمزا للمواجهة بين الإنسان والسلطة، وبين القيد والتحرر.

يتناول الفصل الأول: المشكلات السياسية والحقوقية في رواية *يا صاحبي السجن*، التي واجهها السجين، كالقمع، وطمس الهوية، وحرمانه من حقوقه الأساسية، ومحاولات الترويض الفكري والإغراء السياسي. أمّا الفصل الثاني: المشكلات النفسية في رواية *يا صاحبي السجن*، يتناول عن العزلة والملل والفراغ، وانعدام الكرامة الإنسانية، وما يخلّفه ذلك من اضطراب نفسيّ واغتراب داخلي. ويبحث الفصل الثالث: المعاناة الجسدية في رواية *يا صاحبي السجن*، مثل التعذيب، وسوء الغذاء، والحرمان من النوم، كصورة للانتهاك الإنساني داخل السجن. بينما يركّز الفصل الرابع: المشاعر الإنسانية والوطنية في رواية *يا صاحبي السجن*، على المشاعر الإنسانية والوطنية التي خففت وطأة السجن، مثل الحنين إلى الأهل والوطن، والشوق إلى الحرية، والإصرار على الصمود، وما تولّده هذه المشاعر من صفاء نفسيّ ورؤية إنسانية عميقة رغم القيود.

الفصل الأول: المشكلات السياسية والحقوقية في رواية يا صاحبي السجن

القمع السياسي ومحاولة تدمير الهوية

يتجسد هذا المبحث صور القمع السياسي ومسعى تدمير الهوية التي تمارسها الحكومة القمعية ضد الأشخاص، خاصة في سياق السجون. وتعتبر رواية *يا صاحبي السجن* مثالا أدبيا بارزا يظهر هذا القمع، ويتجلى ذلك محاولة الأنظمة الواضحة لسلب هويته الفردية وكسر استقلاله الشخصي. بعض الأمثلة على ذلك يوردها الباحث فيما يلي:

"في نهاية إحدى الممرات، استلموا أغراضي، أو قل استلبوا هذه الأغراض، كانت تتلخص في الآتي: ساعة يد، ومحفظة فيها بعض الأوراق، ومفتاح غرفتي، وقرش أحمر.. نعثوا المحفظة بما فيها من الأوراق، وقرؤوا كلّ الأسماء، وسجلوا

ملاحظاتهم الخاصة"³⁹⁸

هذه الفقرة تعبّر مظهرًا من مظاهر السيطرة السياسي من خلال مصادرة ممتلكات السجن الشخصية عندما دخل الكاتب إلى السجن، حيث لم تقتصر السلطة باعتقاله، بل سلبته أيضًا ما يرمز إلى شخصيته وحرية الفردية، مثل ساعة يده ومحفظته ومفتاح غرفته وحتى قرش بسيط. استخدام الكاتب لكلمة "استلبوا" بدل "استلموا" يثبت أن ما جرى ليس تصرفًا عاديًا، بل عمل قسري يُعبّر عن سيطرة الحكومة في أدق جوانب حياة السجن.

- "يا أيمن... يا بش مهندس... (قالها بكثير من الودّ) شوبدك بوجع الرّاس. هسه مش

أحسن لو كنت في بيتك، وبتكمل دراستك؟!

- (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا).

³⁹⁸ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ص ٣٣.

- ما اختلفناش يا رجل. هو إنت بتفكر احنا يعني كفرة... بس كمان في الدين لازم توخذ بالأسباب.

- ومن قال لك إني لا آخذ بها.

- مش من الأخذ بالأسباب إنك ما تحطّ حالك بها الحالة؟!

- أنا لم أضع نفسي بهذا المكان، أنتم الذين وضعتوني هنا.

- إنت واحد سوفاني راسك مسكر.

- أحسن ما يكون مُرّهن!!

- تعال. وقع على المحضر.

- أريد أن أقرأه أولاً.³⁹⁹

يُظهر النص ملامح القمع السياسي ومحاولة تدمير الهوية الفكرية والدينية بشكل واضح. فالمحقق يبدأ الكلام بلغة ودّ خادعة، يسعى من خلالها إقناع السجين بالتراجع عن موقفه الثابت، مستخدمًا منطقيًا ظاهره "النصيحة" وباطنه التخويف والإخضاع. السجين يجيب بآية قرآنية تظهر ثباته الإيماني، لكن المحقق يلتفّ حوله، فيتهمه بأن رأسه "مسكر"، أي مغلق لا يفهم أو لا يستجيب، في محاولة لتصوير التشبث بالقيم على أنه عناد أو تشدد. كما يظهر النص كيف يُسأل من السجين التوقيع على محضر، في إشارة إلى إلزام الإقرارات بالقوة. هذا الموقف يعكس استخدام الحكومة أدوات الحوار الخارجي لتفكيك قناعات الفرد، مما يظهر محاولة واضحة لإخضاعه وإزالة هويته المستقلة.

"هذا هو المشهد العامّ للسّجن. ويبدو أنّ المهندس المدنيّ الذي صمّمه، اعتمد

فكرة الامتداد الأفقي، ممّا أعطى بعض الحرّية في إرسال الطّرف في الفراغ، وهو

399 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٥٧.

أمرُ غاية في الأهمية بالنسبة لمن فقد حرّيته، ويحاول أن يستعيدّها، أو يستعيد بعضها، حتى ولو على طريقته الخاصّة! فوق أسطح هذه الغرف الأفقيّة التي ترتفع حوالي أربعة أمتار تتوزع الأسلاك الشائكة لتحاول أن تُوقع في شركها كلّ مَنْ تُسوّّل له نفس التّفكير - مجرّد التّفكير - بالهرب. ويتمركز على الأسطح - في أغلب الأحيان - قناصة مُستعدّون لأيّ ظرف طارئ. وتتوزّع كاميرات المراقبة على جوانب المهاجع، ويدخل بعضها إلى غرف المساجين للسيطرة على كلّ حركة أو سَكَنَة؛ وللتلصص على الحركات المريبة.⁴⁰⁰

يبين النص كيف حاولت الحكومة أن تدمّر نفسية أيمن العتوم من خلال وضعه، وهو متهم بريء، في نفس الزنزانة مع مجرمين شديدي الخطر مثل القتال وتجار المخدرات. هذا التصرف لم يكن صدفة، بل كان مقصودا لإهانته نفسيا، وإشعاره بأنه مجرم مثلهم، فقط لأنه عبّر عن رأيه. فبدل من معاملته بعدالة، استُخدم السجن أداة لإجباره وكسر روحه، مما يشير إلى قمع سياسي واضح. وهكذا يصبح السجن أداة ليس فقط لحبس الجسد، بل لإهانة الإنسان ومحاولة طمس هوية الإنسان الحرة والمثقفة. يتحدث الروائي عن الطيور في سياق شراء الحكومة الأردنية لبعض الشعراء العرب هناك. ويقول إنه يختلف عن الشعراء الذين ينشدون القصائد وفقًا لمصالح الحكومة، وإنه يفضل أن يغني بحرية مثل الطيور، فالحرية هي أساس الإبداع والهوية. فقط الطيور التي تعيش في حرية وتطير بحرية وتموت بحرية يمكنها أن تحافظ على صوته. أما الذين يعيشون كالعبيد مثلهم فسيفقدون أصواتهم.

"بدأنا نتعرّف إلى جيراننا في الغرفة التي نشكّل معها زاوية قائمة. إنهم سجناء أحداث الخبز عام ١٩٩٦ م. وهم المجموعة التي اعتُقلت إثر قيام الجنوب بهبّته

400 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٧٨.

وانتفاضته ضدّ قرار رفع أسعار الخبز التي أقرتها حكومة (عبد الكريم الكباريتي) رئيس الوزراء آنذاك. وقد عصفت هذه الأحداث بالبلاد، واكتسبت أهمية خاصة؛ ذلك لأنّ مَنْ قام بها ينتمون - في لعظمهم - إلى عشائر الجنوب، وهي العشائر المعروفة بولائها المطلق للنظام. ممّا دعا الملك (حسين) آنذاك أن يحذّر الطّغمة المتوترة التي تتلاعب بأمن البلاد من بقايا الأحزاب والجهات المدعومة من الخارج من أنّه سيُوَعِزُّ للقوّات الأمنيّة بأن تضرب بيدٍ من حديد على كلّ مَنْ تسوّّل له نفسه العبث بمقدرات البلاد. وأُثِّمَ حزب البعث العربي الاشتراكي بتحريض النَّاس للخروج في مظاهرات ضدّ قرار رفع أسعار الخبز. وطالبت جماعة الإخوان المسلمين آنذاك في بيان لها الحكومة بالتراجع عن هذا القرار. غير أنّ رئيس الوزراء (عبد الكريم الكباريتي) تحصّن خلف مقولته التي شاعت في تلك الفترة: (الدّفع قبل

الرفع)⁴⁰¹.

يستعرض أيمن العتوم في هذا المقطع مشهد لقاء السجناء في السجن الذين اعتُقلوا بسبب مشاركتهم في "انتفاضة الخبز" التي تفجّرت في الأردن عام ١٩٩٦م. وتسمّى هذه الانتفاضة أيضا بـ"هبة الجنوب"، حيث دأت إثر قرار الحكومة الأردنية، برئاسة عبد الكريم الكباريتي، رفع الدعم عن المواد الأساسية، وفي رأسها الخبز، تنفيذًا لمتطلبات صندوق النقد الدولي. انطلقت المظاهرات في محافظة مدينة معان وامتدّت إلى الكرك والطفيلة، وكان معها إغلاق طرق وإحراق ممتلكات عامة صدامات مع القوات الأمنيّة.⁴⁰²

من خلال السرد، يظهر الكاتب كيف أن السجن احتوى ليس فقط على المعارضين السياسيين، بل حتى على الفقراء والمواطنين العاديين الذين انتفضوا ضد الفقر والجوع، ممّا يدلّ على أن

⁴⁰¹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٩٦.

⁴⁰² Ryan, Curtis R, Jordan in Transition: From Hussein to Abdullah, Lynne Rienner Publishers, 2002, Page 88—90

النظام السياسي تعامل مع المطالب الاجتماعية بنفس الطريقة الأمنية التي تستخدمها ضد المعارضة الفكرية والسياسية. أما من حيث النتائج، فرغم أن الحكومة لم تتراجع عن قراراتهم، إلا أنها لجأت إلى بعض الخطوات التخفيفية مثل تقديم الدعم النقدي للأسر الفقيرة وفرض رقابة على الأسعار. كما شكّلت الانتفاضة نقطة تحوّل في العلاقة بين الدولة والعائلات القبلية، إذ اهتزت الثقة التي كانت تربط الطرفين. وأظهرت تلك المواقف أن الاستقرار السياسي في الأردن لا يتفصل عن العدالة الاجتماعية والاقتصادية، وقد أصبحت الحكومة بعد أكثر حذرا في اتخاذ قرارات مثل هذا دون تمهيد شعبي.⁴⁰³

يظهر هذا النص بكل وضوح أن الكاتب لم يكتب عن تجربته الشخصية فقط، بل ربطها بالسياق السياسي والاجتماعي الأوسع، ليبين مقدار الظلم الذي يجعل الناس إلى يُسجنون حين يطالبون بلقمة العيش، ما يظهر النص هو كأن السجن أصبح مرآة للواقع الاجتماعي المتصدّع خارج الجدران.

لم يُعَرِّني أحدٌ من المارّة.. أدنى اهتمام، أيعقل أن تُستَلَبَ حِرَّتِي بهذه الطّريقة ولا ينتبه إليّ أحد؟! أين مَنْ يحسّ بطوفان المشاعر التي تجتاحني الآن، بدا أنّي مع النَّاسِ ولستُ معهم... صورهم تتحرّك أمامي كالأشباح، وبدا أنّي أراهم، ولكنهم لا يرونني ... أمعقول أن يتركوني بين أيدي هؤلاء الغرباء يقتادونني بهذه الطّريقة المهينة؟ توقفت قليلاً عن التّفكير بهذه الطّريقة، ثمّ قلتُ في سري: أنت أبله. أتظنّ أنّ أحداً يشعر حتّى بمروك من هنا. النَّاسُ مشغولة من رأسها حتّى أخمص قدميها في همومها الخاصّة...⁴⁰⁴

Ryan, Curtis R, Jordan in Transition: From Hussein to Abdullah, Lynne Rienner Publishers, 2002, Page 88–90

العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣١.

"الفقر يأكل النَّاس، والجوع ينهش الأرواح، والآباء يكدحون من أجل لقمة خبز يوقرونها بعد عناء لأطفالهم... ما لهم ولك أيها الشاعر؟ مَنْ كان يدري أصلاً أنَّ هناك في إربد شاعرًا. وإن كانوا يعرفون، مَنْ كان يُصدّق أنّه يُحبس لأجل شعره؟! أمام شبح الجوع، واللّهات خلف كسرة الخبز مَنْ من النَّاس يسمع الشَّعر هذه الأيام... تذكّرت صديقي الذي كان شاعرًا ثمّ اعتزل؛ قال له أبوه ذات مرّة: ابحث لك عن وظيفة محترمة يا بني؛ الشَّعر لا يُطعم خبزًا. وقد سمع الشَّاعر نصيحة أبيه فاعتزل النَّشيد إلى غير رجعة... لمع في ذهني خاطر مُشابه: أمعقولٌ أنّ أبي سيقول لي - يوما - كلاًّ من هذا القبيل؟! هنزت رأسي لأطرد طيف هذا السّؤال، وتمتتم سيرًا: مستحيل!!⁴⁰⁵

هنا، يُعبّر الكاتب التناقض الحزين بين ما فعله الشاعر من أجل الناس، وبين تصرفهم تجاه ما يحدث له. فالبطل كُتب عليه السجن لأنه كتب شعراً يرفض الظلم ويعبّر عن وجع الناس أنفسهم، لكنه يتعجب بأن هؤلاء الناس لا يهتمّون به ولا يشعرون بألمه، بل يمرّون من جانبه دون أدنى اكتراث، وكأنّه غير موجود. هذا يخلق أسئلة مؤلمة حادة في داخله: كيف يُعتقل إنسان لأجل كتابة الشعر؟ ولماذا لا يعترض أحد عليه؟ ولماذا لا يشعر به من كتب لأجلهم؟ الكاتب هنا لا يلوم الناس أجمعين، بل يشعر بخيبة أمل مريرة مؤلمة، ويُدرك أن الجوع والفقر والتعب يجعل الناس لا يهتمّون بالكلمة، ولا بمن يقولها. إنّ نقد غير مباشر لواقع يعيش فيه الشاعر من أجل الناس، والناس يعيشون دون أن يهتمّوا إليه.

405 العنوم، أيمن. رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣١.

الحرمان من الحقوق الأساسية

يصوّر الكاتب في الرواية صور الزنزانة ووضعها بطريقة مفصلة يُبرز الحرمان من الحقوق الإنسانية الضرورية التي يجب أن تُكفل لأي شخص، حتى في ظروف الاعتقال. ويسعى الباحث إلى إظهار أثرها من خلال أمثلة واقعية التي وردت في الرواية:

"الزنزانة طولها متران ونصف وهذا العرض أيضًا، يا الله... إنها أصغر من الزنزانة في إربد... غير أنّ المسألة ليس بالحجم، ولا بالسعة... فهنا من الخدمات ما لا يمكن أن يُقارَن بما هو هناك... على يميني مقعدة لقضاء الحاجة، وبجانبيها مغسلة صغيرة جدًا بالكاد تتسع لوضع رجلٍ فيها... وعلى الأرض فرشاة واحدة، والأرض حافية، وملابسي هي هي... بالقرب من الفرشة هناك مُصحف، وكتاب تفسير للقرآن، تبَيَّنْتُ - فيما بعد" 406

فالزنزانة ضيقة المساحة، لا يمكن التحرك فيها، وتفتقر إلى أبسط معايير الكرامة الإنسانية، لا يوجد سرير، فقط فرشاة واحدة على أرض حافية، ومغسلة بصعوبة استعمالها، ومرحاض مكشوف داخل نفس المكان، ما يدل إلى غياب الخصوصية والنظافة. كما أن عدم تبديل الملابس نفسها يعكس الإهمال الصحي المقصود. هذا الوصف لا يتناول مجرد صعوبات م، بل يبيّن تجريد السجن من حقه في العيش بعزة، مما يجعل السجن يتحوّل إلى مكانا للعذاب الجسدي والنفسي.

"أه... يجب أن أقضي حاجتي... كانت المقعدة في مواجهة كوة الزنزانة... كم شعرت بالخجل والحياء... الكوة مفتوحة، والحجّي قد يقصد أن يتلصّص عليّ... تردّدت قبل أن أفعلها مئات المرات، وفي كلّ مرّة أتخيّل الحجّي أو أحد الضباط يُحلق فيّ

406 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٣٤.

عبر الكوّة... أول درسٍ شعرتُ أنّهم يريدون إجباري على تتعلّمه، هو: يجب أن تكسر حاجز الحياء عندك!! أو عليك أن تفهم أنّك لا تغيب عن أعيننا حتّى في هذه اللحظات الّتي تغيب فيها أنت عن نفسك... قلت في سرّي: يا لهم من مجموعة

سَفَلَة!!⁴⁰⁷

يسلّط الكاتب الضوء على أحد أسوأ أنواع القهر النفسي الذي ينقذ بحق السجين، وهو كسر الخجل والخصوصية الشخصية. فالسجين يُجبر على قضاء حاجته أمام "كوّة" مفتوحة يراقب الحراس من خلالها، ما يحدث فيه شعورا بالعار والذل. هذا المشهد لا يُعبّر فقط عن إهمال مادي، بل يكشف سياسة ممنهجة تهدف إلى إهانة السجين نفسيًا وجعله يشعر أنه مراقب دائما حتى في لحظاته الخصوصية. هنا يصبح السجن إلى مكانا تُكسر فيها العزة عمدًا، ويصبح الخجل من قيمة إنسانية إلى عائق يجب التخلص منه.

"والكثير من العبارات والإشارات التي اختلط فيها كلام البشر بكلام الله تعالى... وجدتُ فيها شيئًا من التّسلية... بعض الخطوط لم تكن واضحة، استمتعتُ وأنا أقضي زمنًا طويلًا في تحليلها... لم تكن الخواطر كلّها كتابات، كان هناك إشارات، وخطوط متقاطعة وأشكال هندسيّة... غير أنّ الجامع بينها أنّها كانت بالكاد تُرى، وعن قريب، ذلك أنّ كاتبها استخدموا أظافرهم، وحضروا ما أرادوا هنا بصعوبة بالغة... لم يكن مسموحًا لأيّ معتقل في الزّنازين أن يحمل قلمًا ولا ورقة... ولا ساعة... ولا أيّ شيء يعينه على تمضية الوقت... اللهمّ إلّا مَنْ كان يحبّ القراءة، فهو محكوم بنوع واحد منها. آه القلم... كان مُفتقدًا عزيزا... وكان أكبر غائب مُنتظر... لم أدرك أهميّة القلم ولا قيمته إلّا عندما عرّ الحصول عليه... لم أفهم

407 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٥.

أَنَّ القلم سرّ الحياة الأولى، وقسم الله الأعظم، إلّا وأنا أردّد بذهول: (ن... والقلم

وما يسطرون..) ظلّ القلم حلما صعب المنال حتى فترة متأخرة من السجن...⁴⁰⁸

في هذا النص يشرح أيمن العتوم كيف يمنع السجن من حقوقه الأساسية داخل السجن أدوات بسيطة يستخدمها الإنسان يوميا مثل القلم والورقة والساعة، وهي أشياء بسيطة لكنها مهمة في حياة الإنسان. هذا المنع يجعل السجن يشعر بالوحدة والضعف، وجبر إلى استخدام أظافره للحفر على الجدران، فقط ليكتب ما يعبر به عن قلبه. ويظهر الكاتب من خلال هذا المشهد مدى شوق السجن للتعبير، رغم المنع والقيود. ويصف القلم بأنه "أكبر مفقود منتظر"، ويعرف أهميته الحقيقية عندما يصبح وصوله إليه صعبا، حتى إنه يربط القلم بآية قرآنية: "ن والقلم وما يسطرون" ⁴⁰⁹، ليثبت أنّ القلم رمز للحياة العزة وحق الإنسان أن يفكر ويعبر.

"ليس من أشكال الحرّية هنا أن تعرف الوقت... عليك أن تخمّنه... في البداية كان

بندول الوقت مُعطّلاً لديّ، يتراقص حسب تموجات ذهني، مرّة تراه يفعل ذلك

ببطء شديد، ومرّة يتمايل بشدّة كأنّما يريد أن ينفلت من مكانه... كانت الأوقات

تتماهى... فيما بعد تعلّمت أن أضبط إيقاع البندول وأتمكّن من أن أكون دقيقاً

إلى حدّ كبير.⁴¹⁰

يعبر هذا الجزء عن أحد أشكال المنع التي يعاني منها السجن، وهو المنع من معرفة الوقت، الذي يعتبر من أسهل الحقوق الإنسانية. فعدم معرفة الوقت يُفقد الإنسان شعوره بالنظام

409 القرآن الكريم، سورة القلم، رقم الآية ١.

410 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٣٩.

والحياة الطبيعية، ويسبب على توازنه النفسي. يصف الكاتب في بداية المقطع اضطراب شعوره بالزمن.

"مال بي عند آخر الممر إلى زاوية على اليمين... حيث كانت الحمامات، وهي عبارة عن مجموعة تزيد عن خمسة، تصطف بجانب بعضها بعضا، يفصل بين حمام وآخر جدار مبلط يرتفع مترين، وعلى كل جدار من الداخل (دوش) أما مدخل الحمام، فمفتوح للنظرين... لم يكن هناك من شيء يستر المتحمم في الداخل. ورغم أن الحرج قد يأخذ بعض الواردين هنا إلا أنه سرعان ما يزول لأن الخيارات معدومة تماما... خلعت كل ملابسني، وأبقيت على (الكلسون) فقط لأغطي عورتي عن الفضوليين والمتلصّصين من الحراس هنا... وفتحت (الدش) على مداه الكامل... تسرب الماء إلى جسني فملأني بالنشوة... لم كل هذه المتعة بمجرد أن يسيل الماء على الجسد... ألين الجسد يحن إلى أصله... ألم يكن الإنسان ماء... (أم نخلقكم من ماء مهين)... ظلّ رذاذ الماء ينهمر فوق جسدي الجائع إليه، وكأني كنت أشربه لا أستحم به... درت حول نفسي... خبطت الأرض بقدمي كطفل".⁴¹¹

يظهر هذا النص جزء من الحرمان من الحقوق الأساسية في السجن، حيث يمنع السجن من أصغر حقوقه الإنسانية، مثل الخصوصية في وقت الاستحمام. فالمكان مكشوف وغير مغلق، لا أبواب ولا ستائر، مما يحس السجن بالإهانة والحرج، خاصة في ظل وجود الحراس. ورغم ذلك، يجبر السجن إلى الاستحمام لأنه لا يملك خيارا آخر، وهو ما يكشف القسوة النفسية وظروف السجن المهينة. ومع ذلك، يكشف النص كيف يستطيع للإنسان أن يجد لحظة

⁴¹¹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢٠١٥، ص ٥٩.

سعادة في شيء بسيط كالماء، لأنه ممنوع منه، مما يُظهر مدى الشقاء الذي يعيشه، ويوضح كيف يصبح الحصول على أبسط الحاجات وكأنه إنجاز كبير.

"ربع ساعة تحت الماء في زنازين المخابرات تساوي متعة يوم كامل في بركة سباحة، المعهودات تصبح ثمينة إذا انحازت إلى صفّ المفقودات... ليس من منشفة هنا... أسرعْتُ إلى ارتداء ملابسِي التي ابتلّت لا بتلال جسدي. وفي داخل الزّزانة نشرْتُ القميص أولاً على المغسلة، خلعتُ ملابسِي الدّاخليّة، وعلى عجل ارتديت البنطال بدونها، رحْتُ - بكلّ ما أوتيت من قوّة - أعصرها لكي تتخفّف من ثقل الماء إلى أبعد حدّ، ثمّ نشرْتُها بالتناوب على المغسلة والمقعدة... بهذه الطّريقة استطعت أن أنشّف ملابسِي وأعود لللبسها من جديد..."⁴¹²

يظهر هذا النص المنع من الحقوق الأساسية الذي يعيشه السجين، مثل حقّه في النظافة والثياب الجاف والغرفة المناسب. فبعد تعرّضه للمياه في الززانة، لم يُوفّر له حتى منشفة لتجفيف نفسه، أُجبر إلى ارتداء ثيابه المبللة والقيام بتجفيفها بيديه، مما يظهر ظروفًا قاسية وغير إنسانية. هذه الصورة تبين كيف يمنع السجين من أبسط الحقوق، مثل تغيير الملابس أو الحصول على أدوات نظافة، في صورة من صور الإهمال المتعمّد، وهو ما يعترشكلا من القهر النفسي والإذلال الصامتة في السجون.

"أيقظني من الخيالات اللّذيذة شرطيّ قديمٍ من جهة الإدارة يحمل في يده ملقأ، ويدنو منّي قائلاً: أيمن علي. فأجبته: نعم... أشار إليّ أن أتبعه، فمضيتُ معه إلى غرفةٍ في قاطع الإدارة، هناك أخذ المعلومات الكاملة عنيّ، وأعطاني لباس السّجن، وهو عبارة عن قطعتين زرقاوين، واحدة للجزء الأعلى وأخرى للجزء الأسفل. وحين

⁴¹² العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥م، ص ٦٠.

فردتهما أمام عيني، سارعتُ إلى القول: إنهما لا يمكن أن يُلبسان، فهما ضيقان، وأنا سمين لحيم!! فأشار إلي مجموعة من (الأفرهولات الزرقاء) مكمّومة خلفه، وقال مُستطرفاً: قَرْمُزُونَقِي!! قرمزتُ بالفعل، وكلّما رفعتُ قطعةً أستخبرها، أجد أنّها إمّا أن تكون قصيرة الأرجل، أو ضيقة الوسط، أو مشقوقة، أو مثقوبة، أو ذات رجل واحدة، أو بمطّاط تالف، أو بغير مطّاط، أو كَحَت لونها حتّى لم تعد زرقاء، بل صارت بيضاء...⁴¹³

في هذا الجزء، يبيّن أيمن العتوم وقت استلامه لباس السجن، وهي وقت يكشف بشكل ساخر عن المنع من أبسط الحقوق الأساسية في السجن، مثل الحق في الحصول على ملابس مناسبة. فالملابس التي أعطيت له كانت غير صالحة للاستعمال، ممزقة، ضيقة، أو غير مكتملة، وكأن عزة السجين لا تؤخذ بعين الاعتبار. ويستخدم الكاتب أسلوباً ساخراً ليبين فكرة أن السجين تعتبر كشيء لا كإنسان، وتُسلب منه حتى أبسط الأساسيات ما تدل على احترام الإنسان.

"وقفنا في الدائرة، والضباط وأفراد الشرطة يصيحون: "افرد... افرد، ولهُ إنْتَ وِيَاه". فَرَدْنَا كَمَا طُلِبَ مِنَّا. ثُمَّ صاح أحد أفراد الأمن: "اخلع كلّ شيء". بالنسبة لي، لم أفهم ما يقصده هذا الشرطي، فبقيت واقفاً كالأبله، أمّا الذين حولي فيبدو أنّ خبرتهم في ذلك طويلة وممتدّة... بدأوا يخلعون قمصانهم وبلوزاتهم التي تُغطّي نصف جسداهم الأعلى... أمّا أنا فبدأتُ حدقتا عينيّ تتسعان دهشةً لما يفعله هؤلاء، وبدأتُ أستغفر في سري...

كان أكثرهم قد أتمّ خلع كلّ ما يستر النصف الأعلى من أجسادهم، وبقيت أنا أترنّح تحت وطأة الصدمة التي ازدادت عندما بدأوا يخلعون بناطيلهم... في هذه

⁴¹³ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢٠١٥، ص ٦٦.

اللحظة من حفلة التعري، لاحظ الشرطي المكلف بإصدار الأوامر لنا وجومي

ودهشتي، فصاح بي من بعيد: "ولّه... ما بتشوف؟"

فلم يكن من الشرطي إلا أن اتّجه نحوي وهو يصيح ويلوح بالعصا في يده من

بعيد: "ولك، إنت أهبل ولا بتنهبل؟! إشلح يعني إشلح... وإذا مش فاهم، اطلع

حواليك"....⁴¹⁴

يكشف النص عن مشهد في السجن يتجلى فيه المنع من الحقوق الأساسية، حيث يضطر السجناء على التعري من اللباس قسرا تحت الإنذار، في انتهاك صارخ لعزّهم الإنساني وحقهم في الخصوصية.

الاضطهاد والظلم

يتناول هذا المبحث مظاهر الاضطهاد والظلم التي تظهر لها السجناء في رواية يا صاحبي السجن، حيث يصوّر الكاتب القسوة التي تمارس داخل السجن مما يظهر واقعا إنسانيا مؤلما يهدر فيه الكرامة، وتُقتل فيه الحرية بصمت، يحاول الباحث إلى تحليل أثرها من خلال أمثلة التي وردت في الرواية:

"وإذا دخلت إلى هنا، ونظرت نظرة عامّة هالك مشهد الأجهزة التي تقارب لعشرة

تتدلى من السقوف بانتظام، وبفنّ مُحكّم، فيخيّل إليك أنك في فندقٍ أو في أحد

المنتجعات الراقية. كان هذا المهجع مُخصّصا لرجال الأعمال. وللمحكومين من

الأثرياء جدّا، وكانت إحدى قضاياه قضيّة بيع أو تسويق الخدمات السيّرلانيّات

في الأردنّ في تلك الفترة، والتي جنى منها صاحبه عشرات الآلاف، بل مئات الآلاف

من الدنانير!!

⁴¹⁴ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٥٣.

وكثيرًا ما شاهدتُ أحد هؤلاء الأثرياء الموقوفين في مهجع (ج) يقدم خدمات ترفيهية
لسجناء مقطوعين من مهاجع أخرى. كان هؤلاء السجناء يتهافتون على التوافد إليه
في مهجعه بعيدًا عن أعين الرقباء من الشرطة، ويتسلكون إلى مخدعه، ويتساقطون
بين يديه تساقط الذباب على الطعام، وكان كل سجين من هؤلاء المتجمهرين تحت
رجليه أو بين يديه، مستعدًا لتقبيل قدميه، أو تقديم أي خدمة أخرى كجلب ما
يطلب من أغراض من ركان السجن، أو أي شيء آخر مقابل باكيث من الدخان،
الذي كان يُعد كنزًا لسجين طال غياب أهله عن زيارته.⁴¹⁵

يُصوّر هذا المقطع الروائي كيف يعامل السجناء لأغنياء معاملة خاصة داخل السجن، حيث
يعيشون في غرف مريحة وكأنها فنادق، وتوجد لهم أشياء لا توجد عند باقي السجناء، مثل
التلفاز الخاص بكل سجين. بينما يعاني السجناء الآخرون من الزحام الشديد والحرمان،
فيندفع بعضهم إلى خدمة الأغنياء مقابل أشياء بسيطة كعلبة دخان. ويبين الكاتب أن هذه
المعاملة الخاصة تجعل الفقراء يعتادون الإهانة ويقبلون بأن يكونوا خدما للأقوياء من أجل
القليل من الراحة. وهكذا يصبح السجن إلى صورة مصغرة من المجتمع الظالم، حيث يُفضّل
الغني ويترك الفقير، ويضيع العدل حتى بين جدران السجن.

الرقابة على الفكر والكتابة

تعتبر حرية التفكير والتعبير من أهم حقوق الإنسان، لكن في السجن تفرض رقابة شديدة على
الكلمة والفكرة. ويحرم السجن من الكتابة أو حتى امتلاك قلم وورقة، لأن الحكومة تخاف
من تأثير الكلمة. وفيما يلي بعض الأمثلة الواردة في سياق رواية يا صاحبي السجن.

⁴¹⁵ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٧٧.

"وقفت ووجهي إلى الحائط أمسكت إصبعي كقلم... ورحت أخط بعض الأبيات...

لا قلم... ولا ورقة... لو كان القلم لكتبت على يدي... الممنوعات من هذا النوع

تستفزني... هاجت بي عاطفة الشعر... تذكّرت أتيام الجامعة والمساءات الشتوية

الرّائعة... محاولات الترويض الفكري أو الإغراء السياسي".⁴¹⁶

في هذا الجزء يصور الكاتب كيف تُمنع حرية التفكير والكتابة للسجين. فالبطل لا يُسمح له بقلم أو ورقة، لكنه لا يستسلم، بل يستخدم أصابعه قلمًا، ويده ورقة. هذا يشير إلى أن السجين لا يمكن سجنه تمامًا. فالممنوعات تزيد من رغبته في الكتابة والفكر والتعبير، يظهر النص كيف يحاول السجن السيطرة على عقول السجناء، إمّا بالقوة أو بالإغراء، لكن السجين يرفض ويقاوم.

"اجتزنا بعض الحواجز، دخلنا إحدى السّاحات، نزلنا جميعا، اقتيد الشّاعر إلى

داخل المبنى، واجتزنا ممرًا طويلًا تصطفّ على جانبيه مكاتب ضباط المخابرات

وأفراده، لم أكن أعرف أنّ استراق النّظر عبر المكاتب من المحرّمات، كنت لا أزال

أنظر في كلّ غرفة، حين هوت يدٌ من خلفي على رأسي وأدارته بغلظة إلى الجهة

المقابلة للممرّ الطّويل، حيث تواجه الحائط فحسب غير أنّي - قبل أن يهوي الضّابط

بيده الغليظة على رأسي - استطعت أن أميّز بعض الجالسين خلف تلك المكاتب

وللحق أنّ صاعقة ذات خدر غائم هبطت على رأسي حين أبصرت اثنين من زملائي

في قسم الهندسة في جامعة العلوم والتكنولوجيا يجلسان بكامل زهوهما خلف

بعض هذه المكاتب"⁴¹⁷

⁴¹⁶ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٥٣.

⁴¹⁷ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٣٢.

في هذا المقطع، يتجلى النفوذ القوي لفريق الاستخبارات، حيث يسيطرون بكل تفاصيل السجين وتصرفاتهم معه بعنف بالغ. الممر الطويل الذي تصطف فيه مكاتب ضباط الاستخبارات لا يظهر فقط البنية التنظيمية للأمن، بل يشير إلى شيء أعمق. أكثر ما يثير دهشة وألم السجين هو من يجلسون خلف هذه المكاتب وهم ليسوا غرباء عنهم، بل زملاؤه السابقون ومعارفه من الجامعة الذين تعلموا معه، ممن أصبحوا من طلاب علم إلى أدوات قمع. هذه المفارقة العنيفة تزيد الشعور بالخيانة والانكسار، وتوضح كيف يمكن للحكومة أن تفرغ حتى العقول الواعية من إنسانيتها لتجعلها جزءاً من رمز لنظام الظلم والاضطهاد.

وكان الشاويش يملك قلمًا، ويملك حرّية أن يشتري قلمًا، ولم يكن أحدٌ منّا يحوز هذه الميزة الكبيرة والسّاحرة في أن معًا. علي سبيل المثال؛ لقد كنْتُ من الذين ينظرون إلى القلم المترّع على أذن الشّاويش كما لو كان ملكًا مُترّعًا على عرشه، أو كما لو كان أسدًا رابضًا في عرينه، لقد كانت أسمى آمنياتِي في الشّهر الأول من وجودي في السّجن أن يكون لي قلمٌ أخبئه كنزًا ثمينًا في ثنايا برّشي!!⁴¹⁸

يوضح السجين في هذا النص عن شعوره بالمنع من حرية الكتابة، حيث كان ينبغي فقط أن يملك قلمًا، لأنه ليس شيئًا عاديًا في السجن، بل رمز غالي للحرية. الشاويش (رئيس السجناء) كان يملك قلمًا، وهذا جعله يبدو في نظر السجين كأنه ملك أو أسد لهم، لأنه يملك ما لا يملكه السجناء الآخرون. فالقلم كان يعني له حرية التعبير والتنفيس عن مشاعره، ولهذا كان يحتاج امتلاكه ككنز ثمين يخفيه، مما يشير إلى أن المنع من الكتابة مؤلم جدا لمن يشاق إلها.

"وجاء أحد أفراد أمن السّجن صباح يوم الاثنين ٢١/١٠/١٩٩٦م، لينادي عليّ:

- وين أيمن العتوم؟!

⁴¹⁸ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٨١-٨٢.

- هَيْنِي هُون!!
- نائب المدير بدّيالك...
- ليش؟!
- هات أغراضك ولحقني... وبعدين بتعرف ليش.
- همدت الدّئاب، ودخلت الثعالب ججورها كأنها تختبئ عن نفسها، وهزت
الأسود الجريحة، ورمقتني الفهود بودّ مبالغ فيه، ونظرت إليّ الضّباع بتشفّ
كثيف. وخرجت مع الشرطي لا ألوي على أحد. عند فاصل الإدارة، تركت
أغراضي خارج الفاصل، وتبعث الشرطي. تلقاني نائب المدير قائلاً:
- شو اللي عملته؟!
- شو؟! عملت شي؟! (تساءلت ببراءة أكثر ممّا ينبغي)
- شو عالمي محاضرات في السّجن، مفكّر حالك أستاذ جامعي؟!
- لم أفعل شيئاً يستحقّ شيئاً.
- يا محترم، هذول مجموعة من الحمقى والمجرمين... إنت شو دخلك فيهم؟!
- ولا إشي... كلّ واحد بحاله.
- أنا فاهم شو قصداك... بدّك تخربهم. بكفّيش قضيت على حالك بها القصائد
اللي جابت لك الدّور!!
- أنا هون عشان أصلح حالي.
- طب... طيب... عامل حالك شاعر... (ينادي على الشرطي الواقف بالباب قائلاً
له)

- على مهجع (٦)... خّلينا نشوف آخرتها معه..⁴¹⁹

يوضح النص أن حين ألقى البطل الشاعر شعره داخل السجن بين السجناء، اعتبرت إدارة السجن والموظفون ذلك تصرفاً يستدعي المساءلة. فجاء الشرطي ليذهب به إلى نائب المدير، وهو واجهه باتهامات بأنه يحرض السجناء أو يؤثر فيهم بأفكاره للحرية، معتبراً أن الشعر في هذا

419 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ١٥٨-١٥٩.

المكان شكل من أشكال "التخريب الفكري". وهذا يعكس جو الرقابة الشديدة في السجن، حيث ينظر حتى إلى الإبداع الأدبي كذنب يستحق العقاب جزاء.

محاولات الترويض الفكري أو الإغراء السياسي

يتناول هذا المبحث محاولات الترويض الفكري والإغراء السياسي في رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم، وهي من أبرز الجوانب التي تكشف طبيعة الصراع بين المعتقلين والسلطة، حيث سعت الأخيرة إلى إخضاعهم فكرياً أو استمالتهم سياسياً بوسائل الترغيب والترهيب. ويسعى الباحث إلى إبراز أثر هذه المحاولات من خلال أمثلة واقعية وردت في الرواية تُظهر ثبات السجناء وتمسكهم بمبادئهم رغم ضغوط القمع والإغراء:

"ظلّ صامئاً زمناً ظننتُ أنّه طال لعشر ساعات، ثمّ عدّلت بإصبع سبّابته نظارته، وهتف:

- نحن لا نطلب منك شيئاً كثيراً.
- مجرد اعتراف بسيط...
- نحن نريد منك أن تأخذ فكرةً حسنةً عنّا..
- نحن لسنا كما تظنّ..
- نحن مؤسسة وطنية، نحافظ على أمن البلد، وأنت مواطن أردني شريف...
- بدا أنّه يرمي بدلّو من المعلومات، يريد توصيلها إليّ ... تعوّدتُ في التّحقيق، أن تنهال عليّ الأسئلة الصّارخة، وتضرب رأسي بطرفها المدبّب...
- تابع بصوته الحادّ الذي لفت انتباهي أكثر ممّا فعلتُ كلماته:
- وقّع على ورقة أنّ هذه الأشعار لا تقصد بها... و...
- ربّما تخرج من هنا ...⁴²⁰

في هذا الجزء نرى محاولة جلية للترويض الفكري والإغراء السياسي. فالمحقّق لا يستخدم العنف الجسدي، بل يحاول التأثير بالحوار الهادئ والإقناع، مظهرًا نفسه كممثل لـ"مؤسسة

⁴²⁰ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢٠١٥، ص ٤٧-٤٨.

وطنية" تهدف بأمن الوطن. يقدّم عليه إطلاق من السجن مقابل توقيع بسيط ينفي فيه أن شعره تحتوي أي نية متعلقة بالسياسة. هذه الوسيلة غير مباشرة من الضغط، ويُطلب من السجن أن يتخلى فكره وقناعاته مقابل الحرية، مما يكشف نوعاً آخر من التعذيب، تعذيب الضمير والمبدأ.

"الدّئاب تتبع رائحة الدّماء، والنّساء تتبع دم الرّائحة، وفي تلك اللّيلة بالنّذات،

كنتُ مُثخّناً بدماء الحبّ، وعلى موعد رائع مع الدّئاب..."⁴²¹

يُبرز الكاتب خلال هذا المقطع كيف تُمارس السلطة السجن الخفي على أهاليهم. فالتخويل بتفتيش المنازل ومصادرة كل ما "يهدّد أمن الدولة" هو انتهاك صارخ للحرية الشخصية والحقوق الإنسانية. هذا الإجراء يحوّل المساحات الخاصة إلى سجون غير مرئية، حيث يعيش الناس تحت قيود على الفكر والتعبير بحجة الأمن. إنه سجن نفسي يُقوض الاستقلالية ويُخلق بيئة من الخوف والترهيب وغير الأمن، مما يجعل الأفراد سجناء لأفكارهم حتى وهم أحرار جسدياً.

⁴²¹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م، ط ٢١، ص ١٥.

الفصل الثاني: المشكلات النفسية في رواية يا صاحبي السجن

التعذيب النفسي

في رواية *يا صاحبي السجن*، يصف الكاتب أيمن العتوم كيف يتعرض السجين لتعذيب نفسي قاسٍ. هذا التعذيب لا يترك أثرًا على الجسد، لكنه يسبب ألماً كبيراً في النفس. من خلال مواقف كثيرة، نرى كيف يُمنع السجين من النوم، ويُراقب طوال الوقت، ويُجبر على الوقوف دون راحة. هذه الأساليب تؤذي الإنسان من الداخل، وتجعله يشعر بالضعف والانهيار. مثلاً:

"فاستلقيت... ما كدت أفعل ذلك حتى صاح الحجي:

-وقف يا.. ممنوع النوم..

-قعدت على الفرشة، ولكنه صاح..

-على الحيط.

امتثلت... وقفتُ وأسندتُ جسدي إلى الحائط... ظللتُ زمناً لا أدري كم هو، والحجي

لا يغادر أبداً كوة الزنزانة.. فأنا على مدار الدقيقة تحت بصره... بدأ التعب

والنعاس يُحكمان سيطرتهما عليّ... ارتخي جسدي فجأة، وسقطت على الأرض...

سارع الحارس إلى قرع الباب بشدة أعلى، وصياح يفوق سابقه:

-وقف يا... قتللك وقف.. هسه.

جبرتُ نفسي إلى الحائط... قاومت انهيار الخلايا في جسدي، بدأ ديب كديب

النمل يغزو راحة قدمي، حركتهما في وقفتي، فتوقف سرب النمل قليلاً ثم عاد...

قفزتُ إلى الأعلى، شعرت به يقفز معي ويتدلى خيطه من تحت رجلي... هبطتُ إلى

الأرض، توقعت أن أخطمه بقدمي هاتين وأتخلص منه إلى الأبد... غير أنني أدركتُ

أن سرب النمل كان داخل قدمي، ولم يكن خارجهما." ⁴²²

⁴²² العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٤٩.

في هذا المقطع من رواية يا صاحبي السجن، يصوّر الكاتب التعذيب النفسي الذي يتعرّض له السجن بشكل دقيق ومؤلم. فالسجين يُمنع أن ينام ويُجبر أن يقف لساعات طويلة وأدّى إلى إرهاق جسدي ونفسي شديد. ويوضح التعذيب النفسي في الإحساس بالانهيار، وفقدان الإحساس بأطراف الجسد، وتشعر الألم كأنّه نمل يتحرك داخل قدميه. هذا المشهد يظهر كيف يُستخدم المنع من النوم والضغط المستمر لإذلال السجن والإهانة وكسر إرادته دون اللجوء إلى الإيذاء الجسدي الصريح، بل من خلال السيطرة الكاملة على تصرفه وراحته، مما يجعل الألم يتغلغل في النفس قبل الجسد.

"وهو بعيد شيئاً ما، ولم أكنُ أستطيع الاختلاط بسجناء ذلك المهجع. أمام غرف

الإدارة وأمام المهجع (أ) في زاوية قائمة، تربض السّاحة الكبرى، التي يُفترض أنّها

ساحة ملعب، يفرّغ فيها السّجناء طاقاتهم الجسديّة والنّفسيّة، لتخفيف آثار

الكبت الجنسيّ، قبل أن يُصيبهم هذا الكبت بالسُّعار. بيدَ أنّ هذا الملعب لم أراه

- خلال إقامتي هنا - يُستخدم مرّة واحدة لهذه الأغراض الشّريفة!! أكانت الإدارة

لا تهتم بالهياج الجنسيّ الذي يُصيب التّزلاء؟! أين كانت تظنّ أنّهم يفرّغون هذه

الحمولات الزّائدة؟!!⁴²³

في هذا المقطع يشرح الكاتب نوعاً من التعذيب النفسي الذي يعاني منه السجن، حيث يفصل عن الآخرين دون تواصل مع الآخرين، ويحرم من استخدام الساحة المخصصة للتنفيس عن التوتر والطاقة. ويوضّح أن إدارة السجن لا تهتم بالضغط النفسي أو الكبت الجنسي الذي يعاني منه السجناء، مما يزيد من ألمهم الداخلي. هذا التجاهل المقصود يجعل السجن يعيش

⁴²³ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٧٦.

في ضغط نفسي مستمر، وهو نوع من التعذيب الخفي الذي يؤدي إلى أذى كبير دون استخدام التعذيب الجسدي المباشر.

"مجتمع السّجن مجتمعٌ تتدنى فيه الكرامة إلى أقلّ مستوياتها. ليس من هدف للشرطي هنا إلا أن يحترف الطرق التي يُهين بها السّجناء. ولذلك كان السّجناء يشكّلون جماعات، ليحموا أنفسهم من تغوّل بعض الشرطة الفاسدين. لم تكن الشرطة تتجرّأ على هذا النوع من التّجمّعات كان بعضهم - لطول معاشرته للسّجناء هنا - يعرف الجماعات من الأفراد المنكفئين على أنفسهم. ولعلّ قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يأكل الذّئب من الغنم إلا القاصية) قد صدق هنا. كان الشرطي المتبعج يستخدم طريقته الفظة مع السّجناء الجدد، أو الذين لا يسيرون في تكتّلات. وقد يحدث أن ينفرد بسجين، فيضربه دون سبب، وينهال عليه بالأكفّ دون داعٍ، ويتبعها بثتائم مُقذّرة، يندى لها الجبين، وتشمئز منها الأسماع."⁴²⁴

يبرز هذا النص مشاهد التعذيب الجسدي التي يواجهها السّجناء في السّجن، ويستنكر الإجراءات الظالمة التي تنفذها الشرطة. يستخدم بعض رجال الأمن سلطتهم لإذلال السّجناء وضربهم دون سبب بدلا من حمايتهم، مما يعكس واقعا من القمع وغياب العدالة. ويظهر الكاتب كيف أن السّجناء يضطرون إلى الاتحاد لحماية أنفسهم من بطش الشرطة، في إشارة إلى تحوّل السّجن إلى موضع يهان فيه عزة الإنسان، وينقذ فيه العنف كسلوك معتاد.

"كانت الزّنزنة خانقة، لا مسرب للهواء حتّى ولو كان حارّا كي يدخل إليها، أنفاسي التي تتقطّع لهاثا بسبب وزني الثّقيل زادتني اختناقًا..."

⁴²⁴ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السّجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ١١٢.

حاولتُ أن أنام لكي أتناسى ما أنا فيه... وعبثًا ذهبتُ كلَّ محاولاتي... تقلّبت على

البلاط، وباغتني سيلٌ من الأسئلة التي لا تصحوا إلا عندما تريدُ أنت أن تنام...

لماذا أنا هنا؟ وما الذي جاء بي؟ وكم سأمكث في هذه الزنزانة؟ وهل سأرى النور

غداً أم سابعي غارقاً في السدّفات؟ وماذا تفعل أمي الآن؟ وكيف يقضي أبي وقته

بعد أن شاهدني أُعتقل اعتقلاً صارخاً أمام عينيهِ؟⁴²⁵

هذا المقطع يبين حالة الخنقة الجسدية والنفسية التي يعيشها السجين، حيث السجن الضيق وقليل الهواء يعكس الضيق والمعاناة في الزنزانة، وتُضاعف أنفاس البطل المتقطعة شعور الاختناق. محاولته للنوم هرباً من الواقع تبوء بالفشل، ويهاجمه سيل من الأسئلة المؤلمة التي تعكس التوتر، والخوف من المجهول، والحنين إلى الأهل واشتياقه إليهم. هذه التساؤلات ليست مجرد انعكاساً للحزن، بل هي جزء من تفكك الهوية والانكسار النفسي الذي يعيشه السجين فجأة. ويبيّن النص كيف يتحوّل السجن إلى فضاء من الوحدة والاضطراب الداخلي، حيث يصبح ساعة الليل وقت لمحاكمة الذات والتفكير في المصير الغامض.

العزلة والوحدة النفسية

يتناول هذا المبحث والوحدة النفسية في رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم، ويُظهر أثر الانعزال على السجناء وصراهم الداخلي. ويحاول الباحث تحليل هذا الأثر من خلال أمثلة وردت في الرواية تكشف تأثير العزلة على وعيمهم وصمودهم.

"كنّا نحسّ أنفسنا قصاصات من الورق، توزّعت مِرْقاً صغيرةً صغيرةً، وتناثرت في

الفضاء، في كلّ اتجاه. ولن تجتمع من جديد، إلا حين تمتدّ يدُ إليها فتلمّ شَعَثُها،

⁴²⁵ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م، ص ٢٧.

وتُعيدُها سيرتها الأولى. كانت تلك اليد هي التي تُمسِكُ بأصابعها ثقوب شبك الزيارة

على الطرف الآخر!!⁴²⁶

يظهر النص عن الانفصال والوحدة النفسية العميقة التي يعيشها السجين، حيث يشبه نفسه ورفاقه في السجين بقصاصات ورق ممزقة ومتناثرة، في مشهد يدل على تفكك الذات والشعور بالضيق الداخلي. هذا التشبيه يبين كيف يفقد الإنسان في السجن تماسكه النفسي، ويشعر بأنه محطم ومنفصل عن نفسه وعن العالم من حوله. فالعزلة هنا ليست مجرد عدم حضور الناس، بل انكسار داخلي وسقوط ثقيل يبعثر الروح، ولا يمكن إعادة ترميم هذا التقطع إلا بلحظة تواصل إنساني تعيد إليه شيئاً من نفسه المفقودة.

أَنَّ التَّارِيخَ شَاهِدٌ وَلَنْ يَرْحَمَ الْمَزَايِدِينَ، وَلَنْ يَغْفِرَ لِلْكَذِبَةِ... هَا هُوَ يَحَاوِلُ - مَا

استطاع - أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الَّذِي تَوَقَّفَ عِنْدَهُ الزَّمَنُ خَارِجَ الْحَيَاةِ وَدَاخِلَ قَضْبَانِ

السَّجْنِ فِي تِلْكَ الْحَقْبَةِ مِنْ حَيَاتِهِ...⁴²⁷

يدعي الكاتب في هذا المقطع أَنَّ الإنسان يجد نفسه وحيداً في هذه اللحظات الرهيبة من الصمت، محاصراً داخل قضبان السجن، حيث يتوقف الزمن عن الحركة. يشعر وكأنه معزول عن العالم الخارجي، محبوساً في دوامة من الأفكار والذكريات التي لا تنتهي. هذا العزل القاسي يسلبه حريته، ويجعله يشعر باليأس والعجز. يتوق إلى لمسة من العالم الخارجي، إلى همسة من شخص آخر، لكن لا شيء يأتي. الوحدة تخنقه، والذكريات تصبح سجنه. في هذا الظلام، يبدأ في استكشاف أعماق روحه، يبحث عن بصيص من الأمل، عن قصة تستحق أن تروى، حتى لو لم يكن هناك من يسمع.

⁴²⁶ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٨.

⁴²⁷ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٦.

"كان الظلام سيّد الموقف، لم أر شيئاً، خلتُ أنني أسبح في أمواج الليل، لا أدري

كيف قفز إلى ذهني المشوّش بيت امرئ القيس:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي⁴²⁸

في مشهد اعتقالي مظلم كثيف للغاية، يستحضر الكاتب بيت امرئ القيس من معلقته، وذلك في محاولة لوصف شعوره بالغربة والخوف والاضطراب النفسي. لا يُرى فيها شيء بعد أن أسلمته القيود إلى عتمة، يجد في صورة الشاعر الجاهلي تجسيدا حيا لما يعتمل في داخله من قلق ووحشة. وكأن الليل نفسه كائن ثقيل، موجي، يغرقه في بحار الهم والانتظار. هذا التناص مع الشعر الجاهلي يعكس علم الكاتب في الأدب.

"مال الضّابط يميناً، وسلك دهليزاً آخر أشدّ ظلمة، وفتح باباً قصيراً، خلتُ أنني

سأستقرّ هنا، غير أنه تقدّمني، خفضتُ رأسي لكيلا يرتطم بهذا الباب وأنا أتبعه،

ثمّ مشى أمتاراً قليلة، وإذ بنا نواجه باباً أقصر من سابقيه، تساءلتُ في نفسي:

لماذا تقصر الأبواب كلّما تقدّمنا، وتُظلم الممرّات كلّما مشينا؟! لم أجد- بالطبع-

جواباً على سؤالِي، بدا الباب الثالث أنّه باب زنزاني، وكان بالفعل كذلك، فتحه

الضّابط، ودعاني إلى الدّخول. كان باب زنزاني من حديدٍ ثقيل، حين همّ الضّابط

بفتحه، استجمع كلّ قواه كي يُزيح⁴²⁹

يجسّد الروائي هذا المقطع ببراعة لحظة التحول المفصليّة من فضاء الحرية إلى أسر السجن، مركّزا على تفاصيل حسيّة موحية كالممرات المظلمة والأبواب بالحديد الثقيل المتقاصرة، والتي تعكس بدورها التغير النفسي العميق الذي يعتري الشخصية الرئيسية. فمن وضع الدهول والترقب إلى إدراك الواقع الجديد بكلّ ما فيه من عزلة وقسوة. وتظهر أمام القارئ صورة

⁴²⁸ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٣.

⁴²⁹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢١.

مُكثَّفة عن تجربة الدخولِ إلى غير معروف، حيث يضيق العالم تدريجياً ويُطبق الظلام على كلِّ ما هو مألوف، في نهاية المطاف ليُسَلِّم الشخصية إلى مصير محتوم خلف قضبان الحديد الشديد.

"على هذا السرير استقرت (بطانية) واحدة، كان عليّ أن أجعلها غطائي أو فراشي،

إذ لم تكن الفرشة الإسفنجية تقي من وخزات (رقاس) السرير... من تحت شقوق

الباب، تسرب كم ضئيل من الضوء ليخفف حدة الظلام الجارحة..."⁴³⁰

يصف الكاتب في هذا المشهد معاناة السجين وصعوبتهم داخل الزنزانة من خلال تفاصيل بسيطة، مثل البطانية الواحدة التي لم تكف له لتكون غطاء وفراشا في نفس الوقت، والسرير المعدني المؤلم غير مريح. وكما يظهر الضوء القليل يتسرب من تحت الباب كأمل ضعيف وسط الظلام، لكنه لا يستطيع إزالة شعور العتمة والخوف، مما يزيد الإحساس بالوحدة والضيق داخل السجن.

الصراع الداخلي بين الأمل واليأس

يتناول هذا المبحث الصراع الداخلي بين الأمل واليأس في رواية يا صاحبي السجن لأيمن العتوم، ويبرز أثره النفسي على السجناء. ويحاول الباحث تحليل هذا الأثر من خلال أمثلة وردت في الرواية توضح تأثير الصراع على وعيهم وصمودهم.

"في السقف هذا الضوء اللعين... تساءلت: ما أغرب الإنسان!! أمس، وأمسي فقط

كنت أتمنى أن أجد بصيصاً من النور في زنزاني، واليوم في هذه الزنزانة ألعن هذا

النور... بين المتناقضات يصنع الإنسان عالمه الخاص، ويفكر به على طريقته هو...

⁴³⁰ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٣.

ليس شرطاً أن تُعجب هذه الطّريقة الآخرين، بل ليس شرطاً أن تُعجب صاحبها،
في لحظة ما قد يتخلّى عنها مَنْ صَنَعَهَا دون سابق إنذار، وبدون أيّ شعورٍ بالندم...

هذا هو الإنسان!!!⁴³¹

يوضح هذا المقطع عن الصراع داخل الإنسان بين الأمل واليأس. كان البطل يتمنى بالأمس وجود نور في زنزانته، لكنه اليوم لا يحب هذا النور نفسه. وهذا يدل على أن مشاعر الإنسان تتحول بسرعة بحسب حالته النفسية. فالإنسان يعيش أحياناً في عالم مليء بالتناقضات، وقد يختلف آراؤه أو مشاعره فجأة دون سبب واضح أو شعور بالندم. هذا يظهر كيف يتأرجح الإنسان بين الأمل واليأس في الظروف القاسية.

"كاد صبري ينفد، وأنا أنتظر مَنْ يُعلمني بهمتي التي من أجلها أعيش هنا. كان من عادة شرطيّ القضايا أن يمرّ على غرف السّجن وفي يده سجلّ مكتوب عليه أسماء الذين سيُعرضون على المحكمة في اليوم التالي. كم كنا نشوّق أن نسمع أسماءنا. إنها فرصة للخروج من هذا السّجن وكسر الرّوتين القاتل هنا. غير أنّ هذا الشرطيّ كان بارعاً في تخيب آمالنا. يأتي من بعيد فيحقني الأمل بأن أكون مطلوباً للمحكمة غداً. وعندما يقصد غرفتنا يزداد منسوب الأمل. وعندما يصل إلينا أمّ عنقي كزرافة، أتطلّع لعلّ اسمي يبرز من بين الأسماء. فينادي على عكرمة ويوسف وعليّ. وفي كل مرّة يفعل الأمر نفسه، حتّى أصابني رذاذ من اليأس. كأنّ دعوة أحدنا إلى الحكمة تُعادل فرحة إخباره بالإفراج عنه!! ألهذا الحدّ تقنا إلى تغيير أماكننا؟! نعم. إنّ الماء إذا لم يجرّ أسين، يبقى الماء عذباً إذا ظلّ منساباً، وحين يتوقّف عن الجريان، يواجه أحد أمرين: إمّا أن يتبخّر في أعالي السّماء، وإمّا أن يغور إلى بواطن الأرض.

⁴³¹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٣٨.

وفي الحالين يفقد حياته، ويتنازل رغماً عن وجوده. ولم أكن أرغب في أي من

الأمرين!!⁴³²

يصور أيمن العتوم في هذا النص الصراع النفسي الشديد الذي يمر به السجين بين الأمل واليأس. ينتظر الكاتب بفارغ الصبر أن ينادى اسمه ضمن قائمة المحالين إلى المحكمة، لأن ذلك في نظره فرصة ثمينة لكسر رتابة السجن القاسية، وكأن الخروج إلى المحكمة نوع من أنواع الحرية، ولو كان مؤقتاً. ويكون الكاتب هذا التوتر النفسي عبر صور بلاغية مؤثرة، مثل تشبيهه لنفسه بالزرافة التي تمد عنقها، لعله يرى اسمه، إشارة إلى الانتظار والرجاء الشديد. كما يستعمل كناية قوية حين يصف "رذاذ اليأس" الذي يشعر به، دلالة على تراكم خيبات الأمل شيئاً فشيئاً في داخله، حتى أصبح الأمل مجرد سراب يتبخر.

ويظهر النص أيضاً نظرة فلسفية عميقة إلى الحياة، من عر مقارنة حالته بالماء، فالماء إن لم يتحرك لم يتعفن، وإذا توقف عن الحركة إما يتبخر أو يختفي في باطن الأرض، وفي كلا الوضعين يفقد صفته كماء نافع. هذه الصورة تعكس شعور السجين بأن الجمود والبقاء في مكان واحد بلا حركة يُفقد الإنسان معناه، ونشاطه. إنه صراع بين التمسك بالحياة مهما كانت مظلمة، وبين السقوط بسبب التكرار والانتظار. في النهاية، يبقى الأمل موجوداً رغم ضعفه، ويستمر السجين في رفض اليأس يتسلل بهدوء إلى داخله.

"في اللحظات الصّمت الرّهيبه، كان يحّدق في الأفق، وأيّ أفق تحمله البئر المُسكينة؟

لكنّه ببصيرة جاءت من السّماء تكشّف له هذا الأفق عن مدى واسع... اخترق

⁴³² العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٩٧.

المسافة الشحيحة عند أول اصطدام بهذا الجدار الأبله، لكي يصنع أفقه الخاص

به، أفقه الذي امتد بعيداً بعيداً... وصنع فيه حكايات وحكايات...⁴³³

يبرز تأثير الأمل كقوة دافعة تحول اليأس في هذه الفقرة، ممثلاً في "البئر المسكينة" وأفقها الضيق، إلى رؤية أوسع وأفق خاص. فبالرغم من الحدود السجونية، يتمكن الكاتب بـ"بصيرة جاءت من السماء" من تجاوز الواقع المقيد ليصنع "أفقه الخاص" الذي "امتد بعيداً بعيداً"، التي تدل على قدرة الأمل على خلق واقع جديد.

"الدَّئاب تتبع رائحة الدَّماء، والنِّساء تتبع دَمَ الرَّائِحَةِ، وفي تلك اللَّيلة بالدَّات، كُنْتُ

مُتَخَنِّناً بدماء الحبِّ، وعلى موعد رائع مع الدَّئاب..."⁴³⁴

يُبرز الكاتب خلال هذا المقطع كيف تُمارس السلطة السجن الخفي على أهاليهم. فالتحويل بتفتيش المنازل ومصادرة كل ما "يهدد أمن الدولة" هو انتهاك صارخ للحرية الشخصية والحقوق الإنسانية. هذا الإجراء يحوّل المساحات الخاصة إلى سجون غير مرئية، حيث يعيش الناس تحت قيود على الفكر والتعبير بحجة الأمن. إنه سجن نفسي يُقوض الاستقلالية ويُخلق بيئة من الخوف والترهيب وغير الأمن، مما يجعل الأفراد سجناء لأفكارهم حتى وهم أحرار جسدياً.

"كُنَّا غرقى في يَمِّ التهميش والإهمال، ومنسّين في جوف الرّمال، ومتروكين في قيعه

الوحدة. ولأنّ الغريق يتعلّق بقشّة، فقد كانت إشاعات العفو العام أو الخاصّ

تجد رواجاً كبيراً بين السّجناء. عندما اتّسعت دائرة معارفنا هنا في سجن الجودة،

سمحَتْ لي الظروف بأن ألتقي العشرات، وأستمع إلى قصصهم. كانت هذه

⁴³³ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ص ٦.

⁴³⁴ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٥.

القصص قنطرة العبور فوق نهر الزمن. كم من تلك الأنهار قطعناها ونحن نرهف
السَّمع إلى أحدهم ليقصّ علينا إحدى بطولاته التي ساقته إلى هنا. كانت القصص
مختلفة متباينة، لا يجمع بينها إلا شعورُ المسجون هنا بالظلم! لم أجد بين كلِّ
من رَووا لي قصصهم واحدًا اعترف بأنّه يستحقّ السجن، وأنه لم يُسجن ظلمًا!"⁴³⁵

يلعب الأمل في هذا النص دورا مهما في حياة المعتقل، حيث يسانده على التحمّل في ظل الجور
والانفراد. فحتى إشاعات العفو تمنحهم بعض الأمل، وتقلّل عنهم شعور اليأس. والكلام مع
الآخرين وسماع تجاربهم يجعلهم يشعرون أنهم ليسوا بمفردهم، ويمنحهم قوة لتحمّل الحياة
الشاقة داخل السجن.

"كم حزنتُ وأنا أستمع إلى الكثيرين من المساجين هنا، وهم يُخطّطون لمرحلة ما
بعد السجن: ماذا سوف يفعلون؟ وكيف سيعيشون حياتهم بعد الإفراج؟ كأنهم
كانوا متيقّنين من إطلاق سراحهم. لم يكونوا أكثر من فراشٍ أغرته النار، فسارع
بالقاء نفسه فيها، ظانًّا أن النجاة في لهيبها، ولم يدرك أن الهلاك كامنٌ في ذلك
اللهيب!"⁴³⁶

يعبّر الكاتب في هذا النص، عن الصراع الداخلي العميق بين الأمل واليأس في نفس المعتقل.
فالسجناء يُخطّطون لحياتهم بعد السجن وكأنهم متأكدون من الإفراج، وهو ما يعكس رغبتهم
الشديدة في التمسك بالتفاؤل رغم شدة الواقع وظروف السجن المؤلمة. غير أن الكاتب، من
جانب آخر، يشعر بالحزن، لأن هذا الأمل قد يكون خادعا، مثل الفراشة التي تميل إلى النار
وهي تظنّ منها أن فيها الإنقاذ، بينما تأخذها في الحقيقة إلى الهلاك. وهكذا، فإن الأمل في هذا
السياق ليس أملا صافيا مطمئنا، بل هو أمل مشوب بالخطر والخيال. فالسجين يعيش في

⁴³⁵ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ١١٩.

⁴³⁶ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ١٢٢.

حالة من القلق بين رغبة في الحياة وحلم بالحرية، وبين خوف من أن يصح هذا الأمل إلى وهم يؤدي إلى خيبة أمل أشد.

"لم يئأس صاحب الطّرق، فأعاد طَرَفه من جديد، ولكنّي كنتُ لا أزال متشكّكًا في
أنّه أحد حراس المعتقل يريد أن يستلّ مَنّي معلومات مُعيّنة، أو يستدرجني إلى
ساحته، ويُوقع بي... كان حسّي الأمني يفرض عليّ - وأنا في تلك الحالة - أن أحافظ
على هدوئي، وأراقب الأشياء من حولي دون أن أُحدث أيّة ضوضاء"⁴³⁷

هنا يُبرز الكاتب حالة عدم أمنه وانعدام الثقة في داخل الزنزانة. فرغم الطرق المتكرّر على
الجدار من السجين الآخر، يتردّد الراوي في التكلم معه، ويغلب عليه الشكّ والخوف من أن
يكون هذا نداء خادعا من أحد الحراس. هذا التوتر من البطل يعبر عن الواقع النفسي الصعب
الذي يعيشه السجين، حيث يُصبح كل صوت أو محاولة تواصل مصدر تهديد محتمل. إن
الحسّ الأمني العالي لدى السجين لا ينبع من ضعف أو جبن، بل من تجربة مريرة أليمة علّمته
أن الحذر هو وسيلة للبقاء. هكذا، يعبر المقطع عن أثر القمع والخوف في تشكيل نفسيّة
السجين، حتى تجعله يخاف ويشكّ في أبسط مظاهر الإنسانية من حوله.

"سمعتُ خطواتك عندما قدمت إلى هنا، وسمعت الضّبابط اللّعين وهو يُخاطبك.
لم أكن قد اطمأننتُ بعدُ إلى أنّه ليس من ضُبّاط المعتقل أو مُخبريه، ولكنّي
تشجّعتُ قليلاً، وأجبت: وماذا تريد مني؟ لا شيء... فقط شعرتُ بالوحدة، فأردتُ
أن أُسرّي عن نفسي.."⁴³⁸

437 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٥.

438 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٤.

العبارة في هذا المقطع "فقط شعرت بالوحدة، فأردت أن أسري عن نفسي" تتعبّر عن الحاجة الإنسانية العميقة للسجين في ظروف السجن القاسية، وهي الرغبة والشعر في الحديث والتواصل. هذا السجين لم يكن يريد معلومات، ولا المساعدة، بل فقط صوتا يشاركه وحدته في انفراديته. فالوحدة في الزنزانة ليست مجرد غياب للناس، بل هي ثقل نفسي مؤلم يجعل الإنسان باحث الطرق لتخفيفه. هذه الجملة تكشف أن الكلمة البسيطة، أو الحوار القصير، أو السمع الحنون قد تكون بمثابة دواء للروح، وأن الإنسان، حتى في أشد حالات المشقة، قد يظل كائنًا اجتماعيًا، ويحتاج إلى الآخر كي لا يهلك داخليًا.

"انعطفت السيّارة باتجاه شارع الحصن، ولم تقف على الإثارة، واستحرت في
ميرها.... أحفظ هذه الأمكنة غيبًا... غير التارة الإشارة، واستمرت في مسيرها...
أحفظ هذه الأمكنة غيبًا... غير أنني شعرت أنني في عالم، والناس في عالم آخر... لم
يعرني أحد من المارة أدنى اهتمام، أيعقل أن تُستلب جرّتي بهذه الطّريقة ولا ينتبه
إليّ أحد" 439

يُعبّر الكاتب في هذا المقطع عن شعورٍ بالغربة والانعزال، رغم مرور السيارة في شارع يعرف البطل ويحفظها جيدًا. لكنّ السجن قد خلق جدارًا نفسيًا بينه وبين العالم الخارجي، حتى شعر أنّه في عالم، والناس في عالم آخر. وما سجنه هو الشعور والفكر من أجل الناس، بينما الناس أنفسهم يعيشون لأجلهم خارج السجن بلا ملاحظة ولا تفكير فيه، وأنهم منشغلون بحياتهم العادية، لا يدرك الناس معاناة من يناضل من أجلهم بالكلمة. فبينما هو في الداخل السجن، هم في الخارج أحرار، لكن دون وعي أو اهتمام بمنّ ضحّى لأجلهم. هذا التباين يُبرز مرارة الوعي في المجتمع الغافل.

439 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٠.

الملل والفراغ القاتل

يتناول هذا المبحث الملل والفراغ القاتل في رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم، ويبرز أثره النفسي على السجناء. ويحاول الباحث تحليل هذا الأثر من خلال أمثلة وردت في الرواية توضح تأثير الملل على وعيهم وصمودهم.

"أُشْرِقَتْ شَمْسُ الْيَوْمِ الرَّابِعِ ... كَادَ يَمْرَ بَطِيئًا وَثَقِيلًا، لَوْلَا أَنَّهُ حَدَثَ تَغْيِيرٌ مَفَاجِئٌ...

نُقِلْتُ ظَهْرًا إِلَى زَنْزَانَةٍ رَقْم (٩٥) ... هَتَفْتُ فِي سِرِّي وَأَنَا أَدْخِلُهَا: إِذَا نُقِلْتُ مِنْ أَجْلِ

وَفُودَ مَعْتَقِلِينَ جَدَدٍ، فَلَا بَدَّ أَنَّ نَصَفَ الشَّعْبِ الْأُرْدُنِيِّ مُسْتَضَافٌ هُنَا!!

لم يكن في الزنزانة شيء جديد، يختلف عن سابقتها ذات الرقم (٦٧)، إلا أمران: الأول أنني تخلصت من الرقم (٦٧) ذي الإشارة المقيمة إلى النكسة التي أطاحت بالجيوش العربية المهترئة، ومكنت لليهود في بلادنا. وقد تكشف اليوم ولاحقًا أن الحكام العرب المبدعين في الحفاظ على كراسيهم هم السبب الرئيس في فقدان الأرض المقدسة. أما الأمر الثاني، فهو تغير طفيف في نوعية الكتب هنا، مما وقرع علي التفكير بكيفية قضاء سحابة هذا اليوم، وليلته الثقيلة.⁴⁴⁰

يوضح النص كيف يتعب السجن من التعذيب النفسي في السجن، ليس بالضرب، بل بالشعور بالوحدة والملل والوقت البطيء. اليوم يمضي ثقيلا، وتغيير الزنزانة لا يخفف عنه، بل يكثر إحساسه بالقهر. الرقم (٦٧) يُذكره بنكسة العرب وخسارة الأرض، مما يزيد ألمه النفسي. حتى الكتب لا تكفي لتخفيف هذا التوتر، فيعيش السجن في ظرف تعب داخلي مستمر، وهذا نوع من الألم النفسي الصامت.

⁴⁴⁰ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٥٨.

"دخلت... أغلق الباب، وقال لي من كوة استقرت في الثُلث الأعلى من الباب: هل تريد

مُصحفاً؟! هتفتُ: نعم... غاب قليلاً، ثم عاد: ناولني المُصحف من الكوة، وقال لي

بلهجة استهزاء واضحة: خُذ، تستطيع الآن أن تُنشد: السّجن جنّات ونار..."⁴⁴¹

الشاعر الذي كان يتعامل مع العالم الواسع وخلق قاعدة جماهيرية، فجأة يجد نفسه في يوم من الأيام محصوراً في غرفة ضيقة، يشير عمق هذه العزلة إلى بداية سجنه. الشاعر الذي اعتاد التحدث مع الجمهور في أجواء واسعة، تبدأ محادثته الأولى مع ضابط السجن الآن عبر فتحة صغيرة، وبذلك يدرك الشخصية أنه بعيد جداً عن الحياة الطبيعية. هنا تبدأ تجربة الكاتب الأولى في السجن. ويقول الضابط له ساخراً أنّ السجن هو جنة ونار في نفس الوقت بأنه مكان شبيه بالجحيم حيث تُفقد الحرية. ومع ذلك، فهو أيضاً جنة يمكن للسجين أن يتعمق فيها في أفكاره ويتأمل ذاته.

"بعد لحظات من الصّمت صدق حدسي كان أحدهم يضرب الجدار المُقابل بيده،

ويُتبعه بصوت خفيض، مُحاولاً ألا يخرج الصّوت عن دائرتنا. في البداية عَقَدتِ

الدّهشة لساني فلم أبح مكاني، ولم أنطق بحرف... غير أنّ صاحب الطّرق عاد

ليُفعل ذلك من جديد، ويهتف بكلمات لم أتبيّن ما يقصد... وبحذر شديد اقتربتُ

من الجدار، وانتظرتُ مُتسمّراً قريبه، فأعاد الكرة، وسمعتُه حينها يقول: مَنْ

أنت؟ كان سؤالاً يبدو ساذجاً بالنسبة لي، ويبدو أنّ صاحبه توقع مَنّي أن أجيب

على الفور... ولكنّي خيبتُ ظنّه... وعاد المكان ليغرق في الصّمت من جديد."⁴⁴²

في هذا المقطع، يصوّر الكاتب لحظة مؤثرة من حياة السجن في الزنزانة، حين يحاول أحد السجناء أن يتواصل مع زميله في الغرفة الجارية من خلال الطرق على الجدار بينهما. هذا

⁴⁴¹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٢١.

⁴⁴² العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٢٤.

الفعل يعكس حاجة الإنسان إلى التواصل والمشاركة حتى في أقصى وأصعب ظروف العزلة. فالسجن، رغم قسوته، لا يمنع الأنفاس من البحث عن السلام النفسي والعلاقات الإنسانية. سؤال السجين "مَن أنت؟" يبدو عامياً، لكنه يحمل في طياته رغبة صادقة نقياً في كسر الصمت وبناء جسرين القلوب حوله. تردّد السجين في الردّ يدلّ على أثر الصدمة والانغلاق النفسي، ولكن مجرد هذا التواصل يُعتبر بداية لبناء فضاء من الطمأنينة والأمل داخل الزنزانة المغلقة.

"نظرتُ في السّاعة، كانت عقاربها الفسفوريّة تشير إلى الواحدة بعد منتصف اللّيل..."

مرّت ليلتي الأولى كسلحفاة في مضمار سباق ...⁴⁴³

يُصوّر الكاتب المعاناة النفسية القاسية التي واجهها السجين في ليلته الأولى في السجن، حيث يبدو له الزمن يمرّ بطيئاً ومُرهباً كزحف السلحفاة في مضمار سباق. والنظر إلى الساعة في الظلام يعكس قلقه وتوتره، ويُجسّد شعور الانفرادية والعزلة، إذ تمرّ اللحظات بصعوبة بالغة. هذا التشبيه يُبرز كيف يمرّ الزمن داخل السجن إلى عبء ثقيل، خاصة في بدايات التجربة حين يكون السجين غارقاً في الصدمة والخوف من المجهول.

انعدام الخصوصية والكرامة الإنسانية

يتناول هذا المبحث انعدام الخصوصية والكرامة الإنسانية في رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم، حيث يعاني السجناء من فقدان حريتهم الشخصية والتعرض لممارسات تقوُّض كرامتهم. ويحاول الباحث تحليل أثر هذه التجربة من خلال أمثلة وردت في الرواية، تُظهر تأثير الانتهاكات على نفسية السجناء ووعيهم بمحدودية حقوقهم وصمودهم أمام الضغوط.

⁴⁴³ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م، ص ٢٧.

"وقال لهم: كل شيء تمام. يمكنكم الانطلاق. ما إن استلمني الرجلان الآخران، حتى قيّداني وشدّا الوثاق على يدي، لأوّل مرّة تُوضع القيود في يديّ بهذه الطريقة الفظّة، وصدقًا شعرتُ بقدر كبيرٍ من المهانة، كادت دمعَةٌ تطفّر من عيني لولا أنّي عاجلُتها بالكتمان... دفعني الاثنان من ظهري وعَبَّرَا بي بضعة أمتار"⁴⁴⁴

يصف الكاتب في هذا المقطع لحظة مؤلمة من لحظات الاعتقال، حيث وُضعت القيود في يديه بطريقة قاسية مؤلمة. كان شعوره بالمهانة شديدًا لدرجة أن الدموع كادت تنزل من عينيه، لكنه حاول أن يُخفيها ويتمالك نفسه. وتُظهر هذه اللحظة كيف يُعامل المعتقل قسوة وما واجه من السجن والحكومة دون رحمة أو احترام لأجل كلامه للفقراء والجائعين عبر الشعر، حتى في أبسط الأمور فربط يديه بشدة ودفعه من الخلف يُجسّد الذلّ، ويرمز عن الألم النفسي العميق الذي يعيشه الإنسان حين يُسلب من حريته وكرامته.

"أذان المغرب قد ارتفع، وأنا صائمٌ... لم يطل المقام كثيرًا حتى سرّت خلف الشرطيّ الذي أوصّلني إلى غرفةٍ عرفتُ فيما بعد أنّها تقع في الترتيب الثاني من اليمين في المهجع (ب) وتُسمّى (المستودع)، ويبدو أنّها بالفعل كانت مُستودعًا لحاجيّات أفراد الأمن العاملين في السّجن، وأنّها غير صالحة للسّجناء، ولما امتلأ السّجن عن بكرة أبيه، وفاض بالسّجناء حتى رَكِبَتِ الأسرّة بعضها، لم يجدوا مناصًا من البحث عن مساحات جديدة لإيواء السّجناء، فكان هذا المستودع من نصيبنا.

فتح الشرطيّ الباب الخارجيّ المغلق بقفل ومزلاج حديديّ، ودَفَعَنِي إلى الدّاخل، فدخلتُ وكان دخولي إلى غرفة المستودع، بداية عهدي الجديد في هذا السّجن.

⁴⁴⁴ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٠.

بل إنها بداية المعرفة الحقيقية لعالم السجناء... من هنا ستبدأ الحياة دورتها الخاصة، وسنقف متابعين، ومشاهدين، ومتفاعلين، غير أنّ تجاربنا هنا ليست بالدرجة الأولى نابعة عما عشناه أو صنعناه نحن، بل هي نتاج ما عاشه الآخرون وصنعوه، فأثر فينا، وكتب على صفحة قلوبنا أنّ هناك دائماً حياة غير التي نحياها!!!

خطوت أولى خطواتي في غرفتي الجديدة، كتلميذ يتهجّأ أولى أبجديات اللغة، ويلتغ بأبسط العبارات... تعثرت، أولم أتعثر. كنتُ أبدأ المشي على حافة الحبل، ولم أكن بهلواناً في حياتي، وكنتُ أجرب السباحة في اليم العميق، ولم أكن قد تدربْتُ على ذلك يوماً..⁴⁴⁵

في هذا الجزء يصف أيمن العتوم وقت دخوله إلى زنزنته الجديدة في السجن، ويظهر من خلاله عن فقدان الخصوصية والعزة الإنسانية. فقد أُدخل في غرفة كانت بالأصل مستودعا للأمتعة، وغير معدة للسجناء، لكن بسبب ازدحام السجن تغيرها غرفة للسجناء، دون أي اعتبار لإنسانية السجناء. الطريقة التي يُفتح بها الباب ويدفعه الشرطي للدخول تشير على الإهانة وانعدام الاحترام.

"اللحظة التي كنتُ محتاجاً إلى كائنٍ بشريٍّ أسامره لكي أخفف من الظلام الذي يحيط بكلّ شيء، تخلّيت عن هذه المسامرة مُكرّها نفسي على الصّمت، كي لا أذلّ أمامها أو أنهزم، فأفقد احترامها لي.."⁴⁴⁶

⁴⁴⁵ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٠.

⁴⁴⁶ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٢٧.

هذه القطعة تصف صراعاً نفسياً شديداً يمر به البطل، حيث يريد بالحاجة الماسة للمؤانسة البشرية لتخفيف آلامه النفسية في ظروفه الضيقة التي أحاطت به، لكنه يختار التخلي عن كل هذه الحاجة ويبعد نفسه عن الكلام. ما دفع عن هذا الاختيار المؤلم هو الحفاظ على كرامته الذاتية ومنع نفسه من الظهور بمظهر الضعيف أو المنهزم أمام الآخرين، مخيفاً من فقدان احترامهم له. وتعكس النص بذلك تضحية شخصية مؤلمة ومظلمة للحفاظ على صورة الذات والكرامة وبعدين يختار حريته أن يكون منفرداً في الزنزانة بلا صاحباً وصديقاً له آنذاك.

"تَحَسَّسْتُ السَّرِيرَ، لَمْتُ نَفْسِي عَلَى تَفْكِيرِي بِأَنَّهُ غَيْرُ مَلَائِمٍ، جَلَسْتُ عَلَى طَرَفِهِ، ثُمَّ
فَكَّرْتُ: يَصْنَعُ الْإِنْسَانُ فِي الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ عَالَمَهُ الْخَاصَّ، لَيْسَ مَهْمًا السَّرِيرُ
وَصَلَاحِيَّتُهُ لِلنُّومِ عَلَيْهِ، بَلِ الْمَهْمُ أَنْ يَكُونَ اسْتِعْدَادِي النَّفْسِيَّ قَدْ تَمَّ لِمُوَاجَهَةِ
الْأَسْوَأِ." 447

في هذا المشهد، يعبر الكاتب عن التحوّل الداخلي في نفس السجين، وهو يدرك أن المهم ليس صلاحية الغرفة وراحة السرير، بل هو الاستعداد النفسي لتحمل الظروف القاسية. وهو يلوم نفسه على التفكير في الراحة، ثم يتقبل الواقع، ويؤمن بأن الإنسان قادر على صنع عالمه الخاص حتى في أقسى الظروف والألم، إذا كان مستعداً نفسياً لمواجهة الأسوأ والصعبة.

"لَمْ يَكُنْ أَمْرَ تَقْيِيدٍ يَدِّي بِأَسْلُوبٍ مَهِينٍ هُوَ صَدْمَةٌ بِالْمَعْنَى الْكَامِلِ، بَيْدَ أَنَّ مَا صَدَمَنِي
هُوَ الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ اقْتَدَا نِي، كَانَا يَحْمِلَانِ رَشَاشَتَيْنِ، وَيَقُودَانِي كَمَجْرَمٍ خَطِيرٍ،
وَيَجْلِسَانِ عَن جَنْبِي تَحَسُّبًا لِأَيِّ تَحَرُّكٍ مِنْ جِهَتِي. ظَلَا صَامَتَيْنِ مَعْظَمَ الطَّرِيقِ." 448

447 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٢٣.

448 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٠.

في هذا المقطع، يعبر الكاتب عن وقع نفسي قوي ومؤثر جداً، هذا لم تكن فقط بسبب تقييد يديه، بل بطريقهم التي تم التعامل بها معه، وكأنه مجرم خطير أو لص مشهور. فعلى الرغم من أن السجن معتقل سياسي، إلا أنهم يتعاملون معه كأنه مجرم، إذ كان الرجلان الموظفان اللذان اقتاداه مسلحين، ويجلسان بحذر شديد على جانبيه، ويتصرفان معه وكأنهما يخافان منه. هذا الأسلوب المبالغ فيه في الحذر والمرافقة أشعر البطل بالإهانة الشديدة، وأكد له أنه أصبح في مكان يُعامل فيه الإنسان حسب الشك والخوف، لا بحسب الحقيقة. كما أن الصمت الذي خيم على طريقهم اشتد إحساسه بالعزلة والقلق.

"ظلّ بعض حراسي يصرخون وهم يدفعونني من الخلف: راسك بالحيط يا ...

راسك بالحيط يا..."⁴⁴⁹

توضح الرواية بوضوح كيف أن السلطة تتصرف مع السجناء بدون رحمة حتى في الأشياء الصغيرة. فالنظر إلى غرفة مثلاً يُعتبر شيئاً غير مسموح، وقد يُقابل بالعنف الجسدي والإذلال، كما في منظر توجيه رأس السجن بقوة نحو الحائط. هذا يشير إلى أن السلطة لا تعتبر السجن إنساناً له قيمة ولا كرامة، بل تعتبره خطر يجب التحكم عليه بالعنف والإذلال. واستعمال القوة هنا لا يكون بسبب خطورة الفعل، بل لإبقاء المعتقل تحت الخوف المستمر. فحتى الأمور البسيطة تُقابل بالترهيب.

⁴⁴⁹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٣٣.

الفصل الثالث: المعاناة الجسدية في رواية يا صاحبي السجن

التعذيب الجسدي

يُعدّ التعذيب الجسدي من أبرز مظاهر القمع في أدب السجون، لما يخلّفه من آثار جسدية ونفسية عميقة في السجين. وقد صوّر أيمن العتوم في رواية *يا صاحبي السجن* مشاهد متعددة من التعذيب الذي تعرّض له المعتقلون، كاشفاً من خلالها قسوة السجّان ومعاناة السجين. ويقوم الباحث في هذا الفصل بتحليل هذه المشاهد بالاستناد إلى نصوص الرواية، للكشف عن دلالاتها الفنية والإنسانية ودورها في تجسيد التجربة السجنية.

"بعد دقائق معدودة سمعتُ صوت باب زنزانتِي يُفَتَّح، ويدخل اثنان من الحرس... اقتاداني من يديّ، وضعا العصا على عيني، وسارا بي لا أدري إلى أين...؟ ومع أنّ الموقف فاجأني؛ فالأوّل مرّة أخرج بهذه الطّريقة، إلا أنّني أملت رأسي إلى اليمين قليلا، وسألت حارسي في تلك النّاحية: أليست السّاعة التّاسعة؟! ظلّ الحارس صامتا ولكنّه دفعني بقوة أشدّ..."⁴⁵⁰

في هذا المشهد يوضح أيمن العتوم لحظة إخراج المفاجئ من السجن، حيث دخل الحارس وغطّوا عينيه وسحبوه بعنف. هذه الطريقة توضح بداية التعذيب الجسدي، إذ يُجبر السجين على الخروج دون أن يعرف المكان الذي يؤخذ إليه، ويُعامل بشدّة دون توضيح. حتى عندما سعى أن يسأل عن الوقت، لم يردّ عليه بالكلام، بل بضربة قوية، يعكس هذا المشهد كيف يبدأ التعذيب بإهانة الجسد وكسر عزة الإنسان، ويظهر الظلم الذي السجين في السجون.

⁴⁵⁰ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٤٤.

"وقفنا في الطابور اثنين اثنين. يُقَيّد يمينُ المتهم الأول بإحدى حَلَقَتَي القيد، والحلقة الثانية يُقَيّد بها يسار المتهم الآخر. وقفْتُ إلى جانب ناهض؛ ووُضِعَ طرف القيد في يميني، واحتلَّ الطَّرَف الآخر يساره. هتفتُ في سِرِّي: هل أنا يميني وهو يساري!! حاولنا أن نُدشغل ببعض الحديث العابر، ريثما نصعد إلى سَيَّارة السَّجن المتحرِّك. ينزلق من خلفيَّة هذه السَّيَّارة سَلَم من ثلاث درجاتٍ أو أربع، لا يمكن أن يتَّسع سَلَمها إلَّا لسجين واحدٍ يقف عليها، لذا كان عليَّ أن أضعُ درجةً وأنتظر ريثما يلحق بي (ناهض)، وقد يشتدَّ القيد على يد كلِّ واحدٍ مِنَّا لِقصره، فأمدَّ يدي وأنحني إلى الخلف لأخفِّف الألم، ويفعلُ هو أيضًا مثلي، غير أنَّه ينحني إلى الأمام، ويبدو منظرنَا معًا مُضحكًا للزَّائي، لكنَّه مؤلِّمٌ لنا معًا. استقرُّرنا داخل السَّيَّارة التي بدأت تتحرَّك باتجاه محكمة أمن الدَّولة. كان الجو في الدَّاخل مُعتَمًا وخانقًا، وزاد الطَّيْن بَلَّة الرَّائحة الكريهة التي راحت تنبعث من أفواه مدمني المُخدرات وأجسادهم. ظلَّ القيد يُدمي يديَّ، جلسْتُ على يسار (ناهض)، لأقلِّل المسافة الفاصلة بيننا، ولأخفِّف آثار الألم."⁴⁵¹

يبين الكاتب في هذا المقطع صور الظلم الجسدي التي تتعرض لها السجناء، حيث يُجبرون على الصعود إلى سيارة المحكمة وهم مقيدون بقيود حديدية مؤلمة تشد كل اثنين معًا، ما يسبب لهم آلاما شديدة في الحركة. كما أن ظروف النقل نفسها تعكس الذلّ، فالسيارة مظلمة، خانقة، تفوح حولها روائح كريهة، ما يشير إلى الإهمال المتعمد لعزة الإنسان. هذه الإجراءات التعسفية، بدءا من طريقة الاعتقال دون محاكمة عادلة، وصولا إلى النقل المهين،

العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م، ص ٩٨.

تظهر عن منظومة قمعية لا تراعي أبسط حقوق المعتقل، وتستخدم المعاناة الجسدية كوسيلة لإهانة السجين وكسر نفسه.

"حدث مرّة أن شرطياً يبدو أنّه طالّت عليه إجازته، ولم يرَ أهله منذ فترة، فأراد أن يتسلّى، ليرّوح عن نفسه قليلاً كما يظنّ. توجّه نحو أحد السّجناء، وجّهز نفسه لاتهمه إذا اقتضى الأمر. كان هذا السّجين أحد أعرق السّجناء وأقدمهم، غير أنّه لم يَفِدْ على هذا السّجن إلا منذ عدّة أيّام، لذلك لم يتعرّف إليه هذا الشرطيّ بعدُ. قضى سنواته السّابقة متنقلاً في سجونٍ أخرى. وما إن واجهه الشرطيّ، حتّى هوى بيده على وجهه ولطمه، صائحاً فيه:

- يا خنيث!

ثمّ أراد أن يُتبعه بلطمةٍ أخرى، فلم يكن من السّجين إلا أن أمسك يده، وشدّ عليها بقوة، وصاح بالشرطي:

- ليش بتضربني؟!

في هذه اللّحظة، توقّف سيل الحياة عن الدّوران، وجمد كلّ مَنْ في السّاحة من المساجين، وتوجّهوا بكلّ جوارحهم إلى المشهد الذي نادراً ما يتكرّر، يتابعونه بشغف. أمّا الشرطيّ، فلم يتوقّع أن يردّ عليه سجينٌ مهما علا شأنه، فأصيب بالصّدمة، وصار ينظر إلى يده التي يمسكها هذا السّجين، وإلى العيون التي تشقّى به وتحاصره من كلّ جانب. فما كان منه إلا أن نزع يده بقوة، ونوى أن يثأر لموقفه المهين، فهوى بيده الحرة ليلطمه، وفي هذه المرّة أمسكها السّجين، ولواها بشدّة، فانحنى الشرطيّ وهو يتلوّى من الألم. وصاح به السّجين بنبرة تحدّ جارحة:

- قتلّك... ليش بدّك تضربني؟! شو عاملك أنا؟!

- لأنك ابن...

تجمع أفراد الشرطة على الصّباح من زوايا المهاجع، وخلصوا الشرطي من بين
يدي السّجين، وهجموا عليه، وقاموا بتقييده بالكلبشات. ثم هُرع بعد ذلك عددٌ
من الضّباط كالثيران الهائجة.⁴⁵²

في هذا الجزء، يصف الكاتب ما يجري في السجن من ظلم وتعذيب. الشرطي يضرب السجين
بغير سبب، فقط ليسلي نفسه أو يثبت سلطته. ولا يتعامل مع السجناء باحترام، بل يهانون
ويُظلم عليهم وتُقال لهم كلمات شديدة يقوم عدد من الشرطة بضربه بشدة، ليكسروا عزتهم
ويمنعوا أي شخص آخر من الاعتراض. وهذا المقطع يبيّن كيف أن السجن مكان يهان فيه
المعتقل، وتمارس فيه القوة بلا رحمة، ويسكت فيه أصوات السجناء.

"في وسط السّاحة الفسيحة الخالية من كلّ شيء، لم نرَ غير السّجين وقد عُري
تمامًا إلا من اللّباس الذي يستر عورته، وقد رُبط إلى كرسيّ أراه لأوّل مرّة. كان
كرسيًّا غريبًا، مربّع القاعدة، وقوائمه كأنّها من حديد، وظهره قنطرة متحرّكة.
رُبطت أيدي السّجين بالكلبشات إلى ظهره مع قنطرة ظهر الكرسيّ، وقُيّدت رجلاه
إلى قائمتي الكرسيّ، وبدأ أنّه سيواجه مصيرًا فظيئًا.

من حوله تجمع حوالي عشرة من أفراد الشرطة، ومعهم عددٌ من الضّباط، من
بينهم مدير السّجن. وقف المدير واضعًا يديه على وسطه، وأخذ يدور حول
الكرسيّ، وهو يوجّه كلامه إلى الغرف المنتشرة عبر الأطراف:

- والله لأدبّكوا كلّكوا يا كلاب!

⁴⁵² العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ص ١١٣-١١٤.

حبسنا أنفاسنا، ونحن نترقب ماذا سيحدث. لم تستطع الكلمات أن تخرج من الجوف إلى الشفاه في تلك اللحظات؛ ظلت تتزحلق على مجرى التنفس، وكلما همت بالصعود هوت إلى الأعماق، فلا نملك بعدها إلا أن نبلغ ريقنا، وكان حتى هذا الشيء صعب المنال. كم من الكلمات والدعوات كانت تنوي أن تخرج من جوفنا لتدعول هذا المسكين البائس، ليخفف الله عنه المصيبة التي ستحل به الآن، ولكنها ظلت محبوسة هناك، حيث يستطيع الخوف أن يفعل الأعاجيب.

أشار المدير لأفراد الشرطة، فهجموا عليه كأثمهم قطيع من الذئاب أطلقوا من عقالهم، ووجدوا الفرصة سانحة لممارسة حفلهم الدموي. كل شرطي من هؤلاء كان يحمل في يده كبراجاً من الأسلاك المعدنية، يهوي به على جسد السجين بكل ما أوتي من قوة، وهو يصرخ:

— خذ يا ابن الـ...

كان صياح السجين يبلغ عنان السماء. أحسست أنه يناطح كل الحجب والأستار، وظننت أن كل من في المشرق والمغرب قد سمعه.

- مشان تفكرتمد إيدك، يا ابن الكلب! (يصرخ شرطي آخر، وهو يهوي بالكبراج على ظهره العاري

- آه!...

- ولك إنت ش...! (يصرخ الثالث، وهو يتفان بسلك السجين المعذب على فخذه)

- مشان الله... مشان الله

- ولك إنت بتعرف الله؟! يا حقير! (يصرخ الرابع، وهو يهوي بالكبراج على قدميه)

- خلص... خلص... بتحبوا الله... مشان الله!

وكأنَّ أحدًا من الشرطة لم يسمع صياحه، ولا استغاثاته المكثومة. ومن بعيد، سمعنا - نحن القابعين خلف النوافذ نتابع المشهد - صوت الكبراج، وهو يحفّ الهواء، ويُطلق صفيره وزفيره قبل أن يأكل من جسد ذلك السجين. ومع كلّ ضربة كبراج، كنتُ أشعر أنّ قطعًا من اللحم تتطاير، وأنّه كان يأخذ معه جزءًا من ذلك اللحم في كلّ مرّة... استمرّ أفراد الشرطة في حفلتهم التعذيبية حتى شعروا هم بالإعياء، عندها أشار عليهم المدير بالتوقّف. ابتعدوا عنه قليلاً، ووقف المدير وقفته الأولى، وصاح - وهو يدور حول السجين، موجّهاً كلامه لنا في مهاجعنا وغرفنا - قائلاً:

- رح أعمل هيك بكلّ واحد بفكر يمدّ إيدّه على شرطي... اتفوا!⁴⁵³

يعكس هذا الجزء صورة صادمة من صور التعذيب الجسدي المنظم داخل السجن، ويظهر عن غياب العدالة والرحمة في تعامل الشرطة مع السجناء. يظهر السجين ضحيةً لتوحش جماعي منظم، تستعمل فيه أدوات تعذيب بشعة مثل الكراييج والأسلاك الحديدية، بدعم مباشر من مدير السجن نفسه. المثير في هذه الصورة هو أن التعذيب لم يكن رد فعل على خطأ فعلي، بل إظهار وحشي للحكومة بهدف نشر الخوف في نفوس باقي السجناء.

"شعرتُ بالقيود تحرّيديّ، وتؤلّمانني ألماً شديداً، نظرت باتجاه رجل الأمن القابع على يميني، ذي البدلة العسكرية المُبرّقة، ففهم، وسّع دائرة القيد حول المعصم فبان أثر القيد، وقد حرّ اليدين وترك أثراً عميقاً مختلطاً ببعض الدّم."⁴⁵⁴

⁴⁵³ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥م، ص ١١٥-١١٦.

⁴⁵⁴ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٢.

يظهر النص شدة الظلم والذي يعانيه المعتقل داخل الزنزانة، حيث الأصفاد تشد على يديه وتؤلمه بشدة، وتترك أثرًا مؤلمًا مختلطًا بالدم. هذا المنظر يدل عن الاعتداء الجسدي والنفسي معًا، فالسجين يُعامل معه بعنف كأنه ارتكب الجريمة، رغم أنه صاحب فكر. لا يسمح له بالكلام، ويعيش في صمت وألم، بلا شفقة أو اعتبار لإنسانيته. فالزنزانة ليست فقط غرفة ضيقة، بل فضاء للقهر وكسر الكرامة.

المنع من الغذاء الجيد والنوم المريح

يسعى الباحث إلى إبراز أثر الحرمان من الغذاء الجيد والنوم المريح في رواية *يا صاحبي السجن*، بوصفه أسلوبًا من أساليب الإيذاء النفسي والجسدي الذي ينفذ على المعتقلين. وهما عنصران مهمّان في الحفاظ على التوازن الجسدي والنفسي. غير أن السجين السياسي يُحرم غالبًا من هذين حقّهما بشكل ممنهج، لا بسبب نقصهما، بل كأداة التعذيب والإذلال. تُظهر الرواية جوانب هذا الحرمان من خلال مشاهد ضيق الزنزانة، والنوم على فرشاة قديمة، وقلة الطعام، مما يدل على مقدار المعاناة والقسوة المتعمّدة التي يجبر السجين على تحملها، مثل:

"الزنزانة طولها متران ونصف وهذا العرض أيضًا، يا اله... إنها أصغر من الزنزانة في إربد... غير أنّ المسألة ليس بالحجم، ولا بالسعة... فهنا من الخدمات ما لا يمكن أن يُقارن بما هو هناك... على يميني مقعدة لقضاء الحاجة، وبجانها مغسلة صغيرة جدًا بالكاد تتسع لوضع رجلٍ فيها... وعلى الأرض فرشاة واحدة، والأرض حافية، وملابسي هي... بالقرب من الفرشة هناك مُصحف، وكتاب تفسير للقرآن، تبيّنتُ

— فيما بعد⁴⁵⁵

⁴⁵⁵ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٤.

في هذا المقطع، تكتشف ملامح الحرمان من الغذاء الجيد والنوم المريح بشكل واضح من خلال وصف الزنزانة التي تفتقر أساسيات العيش الإنساني. فالأرض حافية، ولا يوجد سرير بل فرشاة واحدة لا تكفي للنوم، أي غياب الراحة الجسدية تمامًا. هذا الوضع يعكس سياسة ممنهجة للتجويع. الجسم وإنهاكه، تهدف إضعاف السجن ونفسيا وجسديا، ما يؤثر مباشرة في استقراره الداخلي ويعرض سلامه النفسي. ورغم ذلك، يحاول المعتقل التماسك والبحث عن راحة النفسية من داخله، مما يدل على العزم الداخلي والثبات أمام الصعوبات في وجه ظروف الإهمال القاسي.

"طرقتُ على الباب، فأتى الحَجي، قال بتدَمّر:

- ماذا تريد؟ جبتلك كلّ التّفاسير!!!

- لا، أنا أريد أن أنام...

- نام يا ... وأنا شو دخلني!!

- الضوء يا حَجي...

بتفكّر حالك ببيتكو، هُون ما في ضَو ينطفي... رَح تنام وهو مشغَل..."⁴⁵⁶

يبيّن الكاتب خلال هذا المقطع عن الإهمال المقصود لاحتياجات المعتقل الأساسية، من خلال محادثة بسيط بين المعتقل والحارس. عندما يسأل المعتقل إغلاق الضوء لكي ينام، فيردّ على طلبه بالسخرية والاستهزاء، إشارة إلى أن السجن لا يهتمّ اقل مقومات الراحة. يترك الضوء مضيءً طوال الليل يتحوّل إلى إحدى الطرق للتعذيب النفسي الهادئ، حيث يمنع السجن عن النوم المريح، ويُجبر على تكييف مع بيئة ليس فيها الراحة. هذه المحادثة تكشف الاستهتار بإنسانية السجن، ويجعل من النوم وهو حق طبيعي مطلباً يُقابل بالاحتقار، مما يزيد الإحساس القهر والضعف.

⁴⁵⁶ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٣٥.

"طال الليل في الزنزانة... الدهشة التي كانت سربال العقل في الليلة الأولى جعلتها تمرّ أسرع من ليلتي الثانية هذه... إذ هنا بدأ العقل يصحو من غيبته... بدأت أتحدّس الأشياء... طفْتُ بعيني على جدران الزنزانة... سقفها يعلو أربعة أمتار، وفي نصف المتر الأخير شبّاك يدخل من خلاله ضوء الشمس... سأكتشف فيما بعد أنّ هذا الشبّاك وإن كان صغيراً، فإنّه نافذة السّجين على الحياة، وهمزة الوصل بينه وبين العالم الخارجيّ، وهو البرزخ الذي يشدّك عن درب الموت إلى فسحة العيش..."⁴⁵⁷

"بدأت لي هذه الوسواس مثل صراخ فيل في قعر محيط... تحولت إلى نفسي، نظرت إلى قلبي، شاهدتُ خفقانه يخفت شيئاً فشيئاً... أحسستُ بأنّه محرّك يتباطأ في دورانه، عند آخر دورة لهذا المحرّك سقطت على الأرض... سارع الحصى بفتح الزنزانة هزني بعنف... ورشق الماء آلي وجهي صحوّت مجدداً كمن نام قروناً أثناء هذه السّقطة اللذيذة... دفعني باتجاه الحائط... وأعاد الموعظة: ممنوعُ النّوم... حاولتُ أن أقول: إنّ النّوم ليس ضرورياً... ما أسهل القول، وما أصعب الفعل...!! الخطوة القادمة: الإقناع الدّاخلي بالتخلّي عن النّوم كحاجة إنسانيّة... ماذا لو ساعدني الله على ذلك؟! قلتُ في سرّي: أليس هو الذي كتب علينا النّوم غريزةً وفعلاً إنسانياً محضاً؟! فليساعدني بالتخلّص منه الآن... لأنّه إن لم يحدث فستكون العواقب شرسة..."⁴⁵⁸

في الجزء الأول من النص، يشرح الكاتب كيف كان نوم السجين في اليوم الثاني في السجن، بدأ يحس داخليا بالتعب الكبير، وبدأ يلاحظ لكل شيء حوله في السجن. لم يعد ذهنه مشغولاً

⁴⁵⁷ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٨.

⁴⁵⁸ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٥٠.

بالدهشة كما في الليلة الأولى، بل بدأ يحس بثقل الوقت ووحشة المكان. يركّز نظره على الجدران والسقف والنافذة الصغيرة، ويرى أن هذه النافذة هي الشيء الوحيد الذي يربطه بالحياة خارج السجن. كل هذا يشير إلى أن غياب النوم جعله يشعر بالوحدة والتعب النفسي. أما في الجزء الثاني، فيتبين التأثير الجسدي المؤلم لمنع النوم. السجن يشعر بالضعف الشديد، وقلبه بدأ أن يبطأ، حتى سقط مغى عليه من شدة الإرهاق. عندما حاول أن ينام جاء الحارس ورش الماء على وجهه ومنعه بالقوة. فيبدأ السجن في التفكير: هل يمكن أن يترك عن النوم تماماً؟ لكنه يتذكّر أن النوم شيء ضروري إنساني خلقه الله، ويطلب من الله أن يساعده على التحمل. والصبر. هذا يدل على أن الحرمان من النوم ليس أمراً بسيطاً، بل هو عذاب نفسي وجسدي شديد.

"صوت أقفال الباب من الخارج، وصرير الباب كانا قد أيقظاني... الحارس الذي

دخل مشى خطوتين ثقيلتين، ووضع أمامي صينية صغيرة، وخرج دون أن يتفوّه

بكلمة، أغلق الباب خلفه، وتركني مع فطوري: قطعة خبز صغيرة، وبيضة مسلوقة،

ولا شيء آخر... ولأني لم أعتد الجوع، ولم أفكر في أن أتكيّف معه بعد، ولأنّ ليلة

من الهواجس والأحلام قد مرّت بطولها، وهضمت كلّ شيء في معدتي، فقد رأيت أنّ

طعاماً كهذا يبدو فاحراً جداً..."⁴⁵⁹

يُصوّر هذا المقطع الروائي التحوّل العميق في نظرة السجن للحياة داخل الزنزانة، حيث تصبح أصغر الأشياء ذات قيمة كبيرة. مشهد دخول الحارس بصمت، ووضع الفطور دون الكلام يظهر الجمود والقسوة في حياة السجن، وغياب التعامل الإنساني. ومع ذلك، فإن الجوع الناتج عن ليلة ذي القلق والهواجس يجعل المعتقل يرى في قطعة خبز وبيضة طعاماً فاحراً.

⁴⁵⁹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٩.

وطعام لا يأخذه الناس على محمل الجد في الخارج، يُصبح طعاما لذيذا في المائدة داخل الزنزانة تُشعر السجين بشيء من الدفء والراحة. فالجوع، والعطش، والتعب، والحرمان، يجعل الإنسان يُعيد تقييم أبسط النعم، ويمنحها معنى جديدا في الزنزانة، لا يقاس الطعام بلدته، بل بحضوره في لحظة احتياج، ولهذا تصبح قطعة الخبز والبيضبة إلى طعام فاخر كما وصف الكاتب، لأنها جاءت بعد ليلة من والجوع والعطش.

"الأسرة مصنوعة من الحديد الوطني، ويبدو أنّها صُنعت في السجن نفسه، ذات قوائم رقيقة ولكنها صلبة، ولم أشهد لها يوما تننّ تحت وطأة ساكنيها، مع أنّه تعاقب عليها سجناء كثر وذوو أجسام ضخمة. وفي أسفل هذه الأسرة هناك قضبان مُسطحة بعرض (٢) سم، ومتشابكة تُشكّل أرضيّة السرير التي تستقرّ فوقها الفرشة. والفرشة - عادة - من إسفنج رخيص غير مضغوط، إذا نغت عليها أحسست بتقاطع القضبان وهي تَحْتَكَ بجلدك."⁴⁶⁰

يشرح الجزء كيف يمنع السجين من النوم المريح، من خلال تصوير السرير المنتج من الحديد القاسي، والفرشة الخفيفة التي لا تمنع الشعور بالقضبان الحديدية تحتها. السجين يشعر بالألم حتى وهو نائم، لأن القضبان تفرك بجلده مباشرة. هذا يشير إلى أن السجن لا يوقّر حتى الحد الأدنى من السكينة، ويجعل النوم تجربة مؤلمة بدلا من أن تكون طريقة للراحة.

"كثيرا ما كان يأتينا الأرز المطبوخ محروقا أو غير ناضج تماما. كان السجناء العاملون في المطبخ يتعلمون الطبخ بتجريبه علينا. مرّة يأتي الأرز عجينا، ومرّة

460 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٧١.

مَهْلِيَّة، ومَرَّة شَوْرِبَة. وَأَمَّا الدَّجَاجُ فَقَدْ كَانَ يُطْبَخُ كَمَا لَوْ كَانَ يُسَلَّقُ بِالْمَاءِ. فَيَأْتِي

لَنَزْجًا مَلِيئًا بِالذَّهُونِ.⁴⁶¹

يظهر هذا النص مشكلة الإهمال المقصود في تقديم الطعام للسجناء، حيث يعطى لهم طعام سيئ الجودة، لا يصلح للأكل أحياناً. يتضح أن السجناء لا يُعاملون كأشخاص لهم عزة، بل كأجساد يُجرى عليها تجارب الطبخ. هذا المنه من الطعام الجيد يكشف ناحية من المعاناة اليومية داخل السجن، ويجعل الجوع طريقاً من طرق القهر. الطعام هنا لا يفيد الجسد، بل يُذلّ النفس، مما يُضاعف من شدة السجن وألمه.

"كَانَتْ زَنْزَانَةٌ فَرِيدَةٌ مِنْ نَوْعِهَا؛ إِذْ لَمْ تَكُنْ غَيْرَ سَرِيرٍ مَعْدَنِي يَأْكُلُ نَصْفَ مَسَاحَتِهَا،

الْبَالِغَةُ مَتْرَيْنَ عَرْضًا، وَثَلَاثَةً طَوَّلًا، السَّرِيرُ الْمَعْدَنِي هُوَ ذَاتُهُ الَّذِي يُخَصَّصُ لِأَفْرَادِ

الْجَيْشِ فِي مَنَامَاتِهِمْ، وَهُوَ ذَاتُ النَّوْعِيَّةِ الَّتِي انْتَشَرَتْ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى.... يَبْدُو

أَنَّ الْجَيُوشَ لَا تَغَيِّرُ عَادَاتِهَا"⁴⁶²

يصوّر الكاتب زَنْزَانَةَ السَّجْنِ كَرَمَزٍ لِلْقَمْعِ الْمُنظَّمِ، حَيْثُ يَحْتَلُّ السَّرِيرُ الْمَعْدَنِي نَصْفَ الْمَسَاحَةِ الضَّيِّقَةِ فِي الْغُرْفَةِ الضَّيِّقَةِ، وَيَكْشِفُ إِحَالَةَ الطَّاعِ الْعَسْكَرِيِّ الْحُكُومِيِّ وَاللَّائِنْسَانِي لِلْسَّجْنِ. وَيَشِيرُ إِلَى أَنَّ السَّرِيرَ يَبْدُو مِنْ نَوْعِيَّةِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى تَوْحِي بِأَنَّ أَدَوَاتَ الْقَمْعِ لَمْ تَتَغَيَّرْ، وَكَأَنَّ الْأَنْظُمَةَ، كَالْجَيُوشِ، تَكَرَّرُ ذَاتُ الْعَادَاتِ فِي إِخْضَاعِ الْإِنْسَانِ وَسَلْبِ حُرِيَّتِهِ التَّغْيِيرِ لِلْسَّجْنِ فَقَطْ لَيْسَ لِلْعَادَاتِ.

"لَقَدْ كَانَ بَيْضَةٌ وَاحِدَةً. قَشَرْتُهَا بَتَلَدَدٍ، وَرَحْتُ أَقْضِمُ مِنْهَا قَضِمَةً، وَأَتْبَعُهَا بِقَضِمَةٍ

أُخْرَى مِنَ الْخَبْزِ، كَانَ الْخَبْزُ يَابَسًا، وَالْبَيْضُ يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَصْرِفُهُ وَهُوَ يَتَمَسَّكَ

⁴⁶¹ العنوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٠.

⁴⁶² العنوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٣.

بجدار بلعومي رافضاً الهبوط إلى معدتي... كان بلع الطعام صعباً غير أنه يجب أن

أقنع نفسي أنه لا صعب بعد اليوم..⁴⁶³

في هذا المقطع، يعبر الكاتب عن مشقة تناول الطعام في الزنزانة، رغم بساطته. كانت معه خبز يابس وبيضضة واحدة وقشر البيضضة وهو يحاول أن يستمتع بها، لكن الطعام كان قاسياً بلا لذة، يصعب بلعه، وكأنّ الحلق يرفضه ومع ذلك، وهو حاول أن يُقنع نفسه أن لا شيء سيكون بسيطاً بعد اليوم، وأن عليه أن يعتاد هذه الحياة الصعبة. هذا المشهد يكشف كيف تتحوّل الأمور العادية مثل الأكل إلى تحدّ في السجن، ويظهر عن قهر السجين وصبره.

⁴⁶³ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٩.

الفصل الرابع: المشاعر الإنسانية والوطنية في رواية يا صاحبي السجن

يعالج هذا الفصل تجليات المشاعر الوطنية والإنسانية في رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم، حيث تتجاوز الرواية إطار المعاناة المادية في السجن لتكشف عن عالمٍ داخلي زاخر بالأمل والإيمان والحنين. فعلى الرغم من انتمائها إلى أدب السجون المعروف بقسوته، فإنها تفتح نوافذ نحو الحرية الداخلية التي تنبع من قوة الوعي وصفاء الروح وتمسك الإنسان بقيمه في وجه الإذلال والقمع. يبرز في هذا الفصل نموذج السجين الذي يحول ألمه إلى تجربة فكرية وروحية، يجد في القراءة والكتابة والتأمل وسيلةً لاستعادة إنسانيته والشعور بالتححر رغم القيود. ويركّز البحث على تحليل المظاهر التي تعبّر عن حب الوطن، والحنين إلى الأهل، والصمود، والأمل، والجمال، والسلام النفسي، من خلال مشاهد تُجسّد انتصار الذات على السجن وتحول المعاناة إلى طاقة روحية خلاقة.

ويسعى الباحث في هذا الفصل إلى الكشف عن الكيفية التي صوّر بها أيمن العتوم مفهوم الحرية، لا بوصفها خروجاً مادياً من الزنزانة، بل قيمة إنسانية تنبع من الداخل، تعبّر عن قوة الإرادة وثبات المبدأ وسموّ الوجدان في مواجهة واقع القهر والانكسار.

الحنين إلى الأهل

يظهر في الرواية شوق الكاتب العميق إلى عائلته بشكل مؤلم وصادق. فهو لا يشتاق فقط إلى الخروج من السجن، بل يشتاق إلى وجوه عائلته، إلى صوت والديه، وإلى دفء اللقاء معهم. هذا الحنين يبرز حاجة الإنسان إلى أحبائه، خصوصاً في أوقات الشدة والانفصال. وقد أوضح الكاتب عن هذا الشعور بأسلوب يجعل القارئ يشعر بالألم نفسه، وكأنّ كل سجين يحمل في داخله هذا الاشتياق الشديد. ومن شدة صدق هذا الحنين، عبّرت عنه كثير من الأمثال التي

تحدثت عن الاشتياق للعائلة وأهمية وجودهم في حياة الإنسان. يحاول الباحث إلى إظهار أثرها من خلال أمثلة واقعية التي وردت في الرواية.

"عندما يبدأ وقت الزيارة، يتشوّف كلّ من في السّجن إلى سماع اسمه. بل إنّهُ يصيخ السّمع لمكثّرات الصّوت كما لو كان يستمع إلى آيات من القرآن الكريم، ويقف عندها خاشعاً متبتّلاً... وقد يُنادى أحياناً على بعض النّزلاء، فتراهم يُهرعون إلى مكان الزيارة كما لو أنّهم يسعون بين الصّفا والمروة، أو كما لو أنّهم يسارعون إلى الحجر الأسود كي يستلموه... ويحدث في بعض الأحيان أن يتشابه الاسم الأوّل دون سواه مع المُنادى عليه، فإذا قيل عبر السّماعات: محمّد... رأيت كلّ من يحمل هذا الاسم في السّجن يتحقّر، ويقفز لدى سماعه الاسم، يودّ لو أنّه هو... وحين يُتلى الاسم الثّاني... لا يركض إلّا الشّخص المعنيّ، وينكص الآخرون على أعقابهم خائبين، كما لو أنّهم عودٌ ثقابٍ سارع بالاشتعال ثمّ لم يلبث أن انطفأ!! كانت الزيارات وسيلة التّواصل الوحيدة مع العالم الخارجيّ. صحيح أنّه كان لنا عالمنا الخاص في السّجن، بيد أنّه كان مختلفاً تمام الاختلاف عن عالم النّاس الّذين يسمّون أنفسهم أحراراً... كان التّوق إلى دَوران الحياة خارج الأسوار، لا يمكن أن تفسّره كلّ نظريّات فرويد، ولا افتراضات كارل يونغ. كانت الزيارات قطرة الماء الّتي تنزل على الصّحراء المجذبة فتحيلها رياضاً وبساتين. بل كانت شعلة من ضياء الرّوح تنتشر في الظّلمات، وهبّات للظّلمات الموغلة أن تقضى ولو على شعلة

واحدة" 464

يوضح هذا المقطع عن شدة حنين السجين إلى عائلته وتعلقه بزيارتهم، حيث تصبح وقت المناداة من خلال السماعات شيئاً مهماً يترقبه كل السجناء بشغف وخشوع، كما لو أنهم يستمعون لآيات قرآنية. فكل سجين ينتظر دوره، ويرجوا أن يكون هو المُنَادَى عليه، حتى أن تشابه الأسماء يثير في قلوبهم الرجاء، ثم يخيبون حين يقال الاسم كاملاً. وتُصوّر الزيارة هنا على أنها السبيل الوحيد إلى العالم الخارجي، فهي تعيد الأمل إلى أنفسهم، وتُنعش أرواحهم كما تُحي قطرة ماء صحراء ميتة. ويثبت النص أن هذا الشوق الشديد لا تفسره نظريات علم النفس، لأنه إحساس حقيقي من القلب إنساني صادق يظهر عن الانفصال، والاحتياج العاطفي، والرغبة في التواصل واللقاء.

"في هذا اليوم... وبعد أسبوع في التّنازين الانفراديّة، وحيداً أهدي، كان العطش إلى رؤية أحدي من عائلتي قد بلغ مُنتهاه، وأحالَ الجفافَ في روعي إلى حالةٍ انهزام عاطفيّ مُتنام... كنتُ قد شعرتُ أنّي سرتُ بعيداً في غابةٍ من الأشواك المتشابكة، تفيض بالشّعابين من جانبيها، وتكتظّ بالثعالب عن بكرة أبيها. ورحت أبحث فيها عن كأس ماء واحدة أروي بها عطشي، فما وجدت إليها سبيلاً. واستمر فحيح الثعابين يَخِرُ خاصرتي، وضُباح الثعالب ينهش صدري، والتفاف الأشواك يُحكم سيطرته على عنقي... رفعتُ بصري إلى السّماء، ثمّ خفضته إلى الأرض، وهمستُ بدفء: أين أنت؟! "465

"مرّت الأسماء - وهي تُتلى - في سمعي مرور قطع الطباء في صباح ربيعيّ، وكغيري من السّجناء لسعتني دفقةٌ من دم القلب شوقاً إلى وجه مَنْ أحب... وطوّحتني في الهواء أرجوحة الشك واليقين، تصعد فيكون يقيناً، ثمّ تهبط فيكون شكاً. وظلّت

465 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٨٤.

تُؤزِّجني هذه الهواجس حتَّى حُيِّلَ إِلَيَّ أَنِّي سمعتُ اسمي يُنادى عليه. غير أَنِّي
قابلتُ خبراً غير عاديٍّ مثل هذا بالإنكار في أوَّل الأمر، وصرتُ أخاطب نفسي: مَنْ
يُمكن أن يزروني؟ بل مَنْ يعرف أَنِّي موجودٌ في هذا المعتقل أصلاً؟ بل إِنَّ الاسم
الذي سمعته ليس اسمي!! وإن كان اسمي فليس لي... بقيتُ هكذا حتَّى هزَّني
(يوسف) من كتفيَّ بشدَّة فأيقظني من دُوار التَّساؤلات، وصاح بي: أَلَمْ تسمع
اسمك؟ أسرع يا رجل. هناك من ينتظرك!! وبخفة فراشة - وأنا السَّمين الثقيل -
بل برشاقة أَيْل فتي، رحت أقفز في المسافات الموصلة إلى شبك الزَّيارة، وما زال
خيَطٌ من الشَّك ينسحب خلفي...⁴⁶⁶

يظهر النصان عن شدة حنين الكاتب السجين إلى عائلته بعد انفراد قاسية في الزنزانة، حيث
يحس بأن روحه جفَّت وعطشه العاطفي بلغ نهايته. يصوِّر حالته النفسية برموز مؤلمة كغابة
ملينة بالأشواك والثعابين، توضيحاً عن الخوف والوحدة. وعند سماع أسماء الزائرين، يتنقل
بين الأمل والخيبة، حتَّى يسمع اسمه ولا يصدق، إلى أن يوقظه رفيقه وينتبه الكاتب بالزيارة.
فتغمره سعادة شديدة تدفعه للقفز خفيفاً رغم ثقل جسده، مما يشير إلى أن الشوق إلى الأهل
يعطي الإنسان طاقة تتجاوز معاناة السجن وظلم العزلة.

"وصلتُ إلى شبك الزَّيارة، ورحتُ أتفحص الوجوه... يتكوَّن شبك الزَّيارة من
فاصلين شبكيَّين، واحدٌ من جهة السَّجين، والثاني من جهة الزائر، وهما فاصلان
يرتفعان ثلاثة أمتار، يمثلان بالثقوب التي بالكاد تستطيع أن تضع فيها إصبعك،
وبينهما فراغ بعمق (٤٠) سم. يبدأ السَّجناء - وكذلك الزَّوار - بالمشي على الجانبين،
وعيونهم مغلقة عن شيءٍ ما عدا وجه مَنْ يتوقون إليه... تتسع حدقتا العين وهما

466 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٨٥.

تُحاولان التقاط غائب عائد من سفر قسري ... وتُخلقان في الوجوه التي تُبادلها
 البُحْلقة نفسَهَا عَلَى الطَّرَف الآخر... هل نرى ما نريد؟ أم تغيم الصُّور والهيئات في
 مجال رؤانا . . . طفُتُ بعيني في كلِّ الوجوه كي لا أخطئ وجهًا أتوقَّعه هابطًا من
 السَّماء... نعم... نعم رأيته... ها هو... شهقتُ شهقةً طويلةً... وصعدتُ إلى أعماقي
 موجة عارمةً من البكاء... حبستها قبل أن تطفر من الماقي... غير أنني لم أنجح في
 حبسها كلها... فسال بعضها على الخدين سخينًا حارًا... لقد كان وجه أبي... يااااا...
 ها أنت يا أبي.⁴⁶⁷

"ها أنت يا أبي تُوقِدَ الشَّمس في سمائي من جديد ها أنت تُعيد للحياة تفاصيلها
 التي كدتُ أنساها، وللتربيع لونه الذي كاد يهت فيصبح بلا لون... أكنتُ محتاجًا
 إلى محنة مثل هذه حتى أكتشف كم أحبُّك... وكم أشتاقك... لم تكن أبًا فحسب...
 من قال إنني قلتُ ذلك يومًا. لقد كنتُ أبًا، وأخًا، وصديقًا، ورفيقَ درب، ومعلمًا،
 ومُلهِمًا، وشمسَ نهار، وقمرَ ليل، وسحابةً مطرناعم، ورقّة ورقة خضراء، وعريشة
 ياسمين، ووردة نيسان، ودالية تموز، وكنتُ أنت... كان يكفي أن تكون أنت أبي
 لأكون أنا أنا!! ها أنت يا أبي تبدأ معي حوار العاشق. لقد كنّا عاشقين، منذ أن
 هبط ملاك الشَّعر ساحة أرواحنا، فبذرناها له حبًا. تقول:

- ولدي الحبيد

- أبي... (وتخنقني العبّرة)

- هل عذّبوك؟!

- بُبعدك!!⁴⁶⁸

العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٨٦.
 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٨٦.

في هذان المقطعان، يبيّن الكاتب عن وضعه النفسي والإنساني شديد الحساسية في السجن، حيث يصف مشاعره العاطفية عند أول لقاء له بأهله أي بوالده بعد وحدة قاسية في الزنزانة الانفرادية. كان في حالة من الترقب والانتظار المختلط بالخوف والرجاء، يتحرك بعينيه وقلبه وهو يبحث بين الوجوه عن دفء الأهل، كأنّه غائب عن الحياة يعود إليها فقط بلقاء من يحبه. فالسجين في هذا المشهد يضع نفسه في موقف إنساني ضعيف، يشعر بأنه ممنوع من كل شيء ما عدا الأمل، متعطش للرؤية والحنان، حتى أن وجه والده بدا له كمن نزل من السماء. دموعه، رغم محاولته منعها، انهمرت لأن الحنين كان أقوى من التحمّل، ولأن اللقاء بالوالد شكّل لحظة استعادة للنفس بعد التمزق الداخلي. بهذا، يكشف المقطع أن السجين كان في حالة انكسار داخلي انفرادية قاتلة لم يخفّفها أمر غير لقاء وجه الوالدين، فكان اللقاء مهدئا لجراحه النفسية ومحطة مؤقتة من الحنان وسط برودة الوحدة.

أنتقل إلى مكتبي؛ أجهّز دفتر المحاضرات، والأوراق والأقلام، ثم ألقى نظرة من بعيد على حذائي الأسود. أغلق خلفي باب غرفتي ذات الترتيب الشاعري، وأخرج لأبدأ الفصل الأخير الذي يسبق تخرّجي في قسم الهندسة المدنيّة من جامعة العلوم والتكنولوجيا. شعورٌ بالأمل لا يُقارَن، وطوفان من الأمانى تجتاحني؛ لم يتبقّ إلا أربعة أشهر لأصبح (باش مهندس) كما كانت تحلم أمّي، وكما كان يتمنّى أبي. تسقط ورقة من شجرة اللّزاب أتابع سقوطها على الأرض، وحين ترتطم بها، أستيقظ من أحلام يقظتي على أصوات مدمني المخدّرات وهم يهرفون.⁴⁶⁹

يصف أيمن العتوم مشهد حلمه الحميم الذي رآه في السجن، يتضمن في طيّاته العواطف الاشتياق العميق إلى الحياة السابقة، وإلى أمّه تحديدا. في هذا الحلم، يظهر شوق الكاتب

469 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ١٠٠.

الشديد لأمه حين يتذكّر أمنيتها بأن تصبح مهندسا. فكل تفاصيل المشهد ترتبط بأمنية والدته، وكأنّ الحلم طريقا للهروب من السجن والعودة إلى دفء والدته، ما يعبر عن حب داخليّ صامت يؤلمه أكثر من قضبان الزنزانة.

"كانت الأم حاضرة كشتلة ياسمين في معظم أغانيها التي غنيناها هناك. لا أحد يجهل كم تتلازم صورة الأم وحضورها الشفيف مع لحظات الصفاء الروحي. ولا أدري لماذا تُداهمنا ذكراها كعصفور يحطّ على ساحة القلب، ثم ينقر منها دموعنا مرّة، وضحكاتنا مرّة، وأحزاننا ثالثة.

الحنان، الحنين، اللمسة الحانية، الدفء الوثير، البسمة الدائمة، خضرة الروح، سماء الأمل... كلّها كانت انعكاسا لصورة الأم على مرآة الذكرى.

ظلت أُمّي تمدّ لي يدها طوال فترة السجن، وعبر السجون التي تنقّلت خلالها ظلت واقفة إلى جانبي، ولم تسحب يدها من يدي ولوللحظة. لم أرها ولم تزرني، مع أنّها كانت هناك ولم تُغادرني أبدا. روح أُمّي ظلت تصنع حولي هالة من السكينة؛ كانت هذه الهالة زادي من الجوع، ودفئي من البرد، وربّي من العطش، وظليّ من الهجير، ولقائي بي من الضياع!!⁴⁷⁰

يصف الكاتب في هذا النص عن شوقه الكبير لوالدته، ويبين كيف أن صورتها لم تفارقه وهو في السجن. كانت في خياله مثل النور الذي يقلّل عنه الألم، وكانت رمزا للحنان والراحة. رغم أنها لم تزره، إلا أنه كان يحسّ بأنها معه دائما، وهي تمدّ يدها إليه وتشجعه ليتحمّل. كانت روح أمه هي التي تمنحه القوة، وتجعله يشعر بالدفء وسط البرد، وبالأمان وسط الخوف. ويُبرز الجزء كيف أن الحنين إلى الأهل، وخاصة الأم، يعطي الإنسان الثقة بالنفس

470 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٠.

والثبات في المحن. فالحب الصادق والدعم المعنوي من الأسرة، حتى وإن كانوا غائبين بالجسد،
يبقون حاضرين في الروح، ويصبحون مصدرا للقوة والتحمل داخل الزنزانة.

"وَلَأَنَّ الْأَمَالَ فَسْحَةَ الْحَيَاةِ كَمَا يَقُولُ الشَّاعِرُ: (مَا أَضْيَقُ الْعَيْشَ لَوْلَا فَسْحَةُ
الْأَمَلِ)، فَقَدْ رَوَدَنِي أَمَلٌ بِأَنَّهُمْ سَيُفْرَجُونَ عَنِّي، أَوْ عَلَى الْأَقْلَى سَيَقُومُونَ بِتَحْقِيقِ
بَسِيطٍ ثُمَّ لَا أَلْبَثُ حَتَّى أَرَى نَفْسِي خَارِجَ هَذِهِ الْجُدُرَانِ الْمَيِّتَةِ عَائِدًا إِلَى أَهْلِي
وَبَيْتِي..."⁴⁷¹

في هذا المقطع، يُعبّر البطل عن أمنيته بالخروج من الزنزانة، فالأمل وهو شيء وحيد ليخفف
عنه الألم. ويفكر أن هناك فرصة أن سيفرج عنه قريبا، أو على الأقل عودته إلى البيت والأهل
سيحقق معه. ثم يقول قول الشاعر: "ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل" ليبيّن أن الحياة
في السجن صعبة لا تحسي قدرها، لكن الأمل يجعلها ممكنة. وكل ما يريده هو الرجوع إلى
حريته كما كان من قبل.

الصمود والتحديات

يتناول هذا المبحث الصمود والتحديات في رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم، حيث يُبرز
الكاتب قدرة الإنسان على التحمل والثبات في مواجهة الظلم والمعاناة. ويصوّر السجن في
الرواية ساحة لاختبار الإرادة والإيمان، تظهر فيها قوة الشخصية أمام ظروف القيد والعذاب.
ويحاول الباحث تحليل مظاهر هذا الصمود من خلال أمثلة وردت في الرواية تُجسّد انتصار
الإرادة الإنسانية على الضعف واليأس.

"الزَّيْنَانَةُ أَنْثَى، إِذَا عَانَدَتْهَا عَانَدَتَكَ، وَإِذَا تَوَدَّدَتْ إِلَيْهَا تَوَدَّدَتْ إِلَيْكَ... الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ

الزَّيْنَانَةُ لَا تَتَكَلَّمُ، وَحِينَ تَغِيبُ فِي جَوْفِهَا تَتَمَتَّى أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ، وَيَقْتُلُكَ صَمْتُهَا"⁴⁷²

⁴⁷¹ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٢٩.

⁴⁷² العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٣.

في هذا المقطع، يصوّر الكاتب الزنزانة كأنها أنثى، فيعطىها بُعداً إنسانياً يُمكن السجين من الدخول في علاقة نفسية معها، تتراوح بين المقاومة والتقبل. فعناد الزنزانة هو انعكاس لمقاومة السجين لها، وتودّدها يأتي حين يسعى للتكيف معها. هذا التشخيص لا يقلل فقط من قساوة المكان، بل يعكس الثبات النفسي من الداخل في مواجهة التحديات. فالزنزانة، رغم صمتها الشديد، تُصبح مكانة صراع بين الانهيار والاستقرار. صمتها لا يضعف السجين إلا إذا استسلم له، لكنه أيضاً يشجعه إلى أن يُعيد بناء عالمه الداخلي خلال التحمل والمواجهة. ومن هنا، يتحوّل الألم إلى وسيلة المقاومة، وتحوّل الزنزانة إلى مرآة يرى فيها الثبات النفسي العزم الداخلي في أصعب وأقسى الظروف.

"يولد النَّاسُ أحراراً، هكذا صرخ ابن الخطاب في وجه ابن العاص... حقيقةً بديهية، غير أنّ الإنسان كما استطاع أن يشوّه وجه الأرض الطبيعيّ، وبسطها الأخضر باتخامها بالملوثات الصناعيّة، استطاع أن يشوّه حقيقة الحرّية حين ظنّ أنّ القوّة تملكها، وأنّ النَّاسَ عبيد السلطة... وقد تواطأ النَّاسُ عبر العصور على ذلك، فعاشُوا أرقاء حين نكسوا رؤوسهم أمام السيّف والنّطع، وحين تستنفض غريزة الحرّية الكامنة في أعماقهم، يصمتون، ويخفضون أبصارهم قائلين: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ)... ألا بُدّت هداية من هذا النوع، إنّها ليست هداية ولكنّها الضّلال بعينه..."⁴⁷³

في هذا النص يشرح الكاتب عن أن الحرية طبيعية يخلق بها الإنسان، لكنّ الظلم عبر العصور أفسد هذه الطبيعة، حين ربط القوة بالحرية، وجعل الناس عبيداً للحكومة. ويوضح النص كيف خضع الناس للظلم وسكتوا خائفين، رغم أن في داخلهم رغبة للحرية. كما ينتقد الكاتب

⁴⁷³ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٦.

الاتباع الأعمى للآباء، ويبيّن أن الصمود الحقيقي هو في رفض الاستسلام، والتمسك بالحق في وجه التحديات والمصاعب، لأن الهداية التي تقوم على الذل ليست هداية، بل ضلال يجب مواجهته بالوعي والثبات.

"في البداية، كان من المتعذر أن أرى شيئاً، غير أنّ الظلمة تتحوّل شيئاً فشيئاً إلى

صديق تُقاسمه الوقت، وهكذا اتسّعت حدقتا البؤبؤ وتكيّفتا مع الظلام، فبدأتُ

أُميّز الأشياء الموجودة في الزنزانة"⁴⁷⁴

يكشف هذا المقطع تتكيف الذات البشرية مع قسوة السجن، فمن العى الأولى الناجم عن الظلام الدامس، يتحول المعتقل تدريجياً ليرى الظلام "صديقاً"، الذي يعكس تكيفاً نفسياً عميقاً يتجاوز مجرد التغيرات الفيزيولوجية في العين. هذا التحول من اليأس والعجز إلى التعايش مع الحرمان الحسي يُظهر مرونة النفس الإنسانية في مواجهة الظروف المؤلمة.

"قَرَرْتُ أن أفعل شيئاً مُفيداً... بدأت بوضع الخيارات:

- أكتب قصيدة... (ولكن أين القلم والورقة...؟)

- أقرأ في التّفسير... (ولكنّي أنهيتُ ما بين يديّ، ولا أرغب بالمزيد)

- أحفر على الجدار بعض العبارات أسوة ببقية مَنْ سبقوني إلى هذه الزّنزانة

(ولكن أظافري لم تطلّ بعدُ)

- أضبط بندول الوقت لكي أُميّز أوقات الصّلاة (ولكن كيف؟)

بقي السّؤال الأخير مفتوحاً، وهذا ما شجّعني... دَعْنِي أصنّع طريقي الخاصة في

معرفة الوقت... سأبدأ بمراقبة الأشياء من حولي بدقة...

⁴⁷⁴ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٣.

أولاً سأبقى مستيقظاً في الليلة القادمة حتى أعرف متى تشرق الشمس، قبل شروقها بقليل أستطيع أن أعرف أنّ الساعة هي ما بين الخامسة والخامسة والنصف صباحاً، تشرق الشمس حوالي السادسة... سأفترض أنّ الحَجِّي الذي يأتي بالفطور، يأتي به في الساعة الثامنة صباحاً... قد أكون مُصيباً في ذلك أو مُخطئاً، ولكن يمكن أن أتأكد غداً صباحاً، سأحاول أن أعدّ المسافة الزمنية بين الشروق ومجيء الفطور..

سيرفعون الفطور بعد ساعة، لأنّ توزيعه يستغرق نصف ساعة على الزنازين، ونصف ساعة يُمهّلون بها المعتقلين لتناول إفطارهم... إذاً في التاسعة سأرى الحَجِّي يطلّ بوجهه مرّة ثانية يطلب الصينية... اليوم صباحاً قبل مجيء الحَجِّي، تناهى إلى سمعي صوت شاحنة وهدير محركها، يبدو أنّها تستقرّ في الساحة المجاورة للزنازين، تفرّغ حمولتها من الطعام الذي جاءت به من المطبخ (هكذا فكّرتُ وتخيلت) إذا صحّ حدسي فإنّني يُمكن أن أسمع هدير محركها حوالي السابعة صباحاً..

صمتٌ قليلاً... ولكن كلّ هذه الحسابات لفترة ما قبل الظهر...

ماذا عن ضبط الوقت بعد ذلك...

أمس بعد أن استقرّ بي المقام هنا، سمعتُ بعض أبواب الزنازين المجاورة تُفتح وتُغلق... وأصوات مساجين وحُرّاس يصبحون... وبعد حوالي الساعة من هذه الأصوات سمعتُ الأصوات ذاتها وأبواب الزنازين نفسها... فكرت: ماذا يمكن أن يكون ذلك؟

قلت في نفسي: لا بدّ أنّها فترة التّحقيقات، وأنّ هؤلاء المُعتقلين يُذهب بهم إلى المحقّقين... أقنعتُ نفسي بذلك، وتخيلتُ أنّ ذلك حدث أمس في الساعة التاسعة

ليلاً... هي ما زالت فرضية حتى الآن... اليوم أو غداً حين يطلبونني للتحقيق سوف أثبتّها أو أبحث عن تفسير آخر لها.. عددتُ كم صفحة من كتب التفسير قرأت أمس... وحين رجعتُ في ذهني إلى الأعداد: قدرتها بمئتين وخمسين صفحة، وبما أنني أقرأ في الساعة بين (٣٥-٣٠) صفحة، فمعنى ذلك أنني قضيتُ في القراءة ما لا يقلّ عن (٨) ساعات، وبما أنّ دخولي أمس إلى هذه الزنزانة كان في الواحدة ظهراً، إذ كانت ساعة اليد معي ولم تؤخذ مني إلا بعد دخولي إلى الزنزانة... فهذا يعني أنني أنهيتُ القراءة في حوالي التاسعة...

وهو الوقت الذي تزامن مع سماعي لأصوات أبواب الزنازين وأصوات المعتقلين... إذا فرضية أنّ وقت التحقيق مع المعتقلين هو التاسعة ليلاً فرضية قوية وهذا إثبات أولي ومبدئي لها... اليوم مساءً أو غداً سيتكشف المزيد.. مرّ الوقت وأنا أنشئ فرضية جديدة في حساب الوقت، ممّا ساعدني على التخلّص من ضجر الزمن... نسيت أن أثبت في بندولي وقت المغرب... ليس من الصعب تحديده، إنّه وقت قرع أبواب الزنازين من أجل وجبة إفطار الصائمين...

مع الأيام صار بندولي أكثر دقة... ولا أبالغ إن قلت: إنني صرت أتوقع الحدث قبل

حدوثه⁴⁷⁵

يسعى البطل في هذا الجزء ألا يستسلم أمام التحديات القاسية داخل السجن، مثل الانفراد، والفراغ، وفقدان الأدوات السهلة مثل الساعة. بدلاً من اليأس، عزم أن يواجه هذه الأوضاع بالتفكير والملاحظة، فبدأ يراقب الأصوات والحركات من حوله لينشئ نفسه مرتبة لتحديد

475 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢٠١٥، ص ٤١-٤٢-٤٣.

الوقت. هذا يدل على أن البطل لم يستسلم نفسياً، بل واجه التحديات بالصبر والتفكير، وغيّر محنته إلى فرصة للبقاء قوياً ومرتباً رغم القيود.

"على مكوثي في هذه الرّنازين ما يقرب من أسبوع... تحوّلتُ خلالها إلى إنسان آخر...

لا أحد يبقى على حاله ما بين لحظتين، فكيف بهذه الليالي الاستثنائية التي قضيتها

هنا؟! تذكرت بيت كثير عزة:

لقد زعمتُ أنّي تغيّرتُ بعدها ومن ذا الذي يا عزلاً يتغيّر⁴⁷⁶

يُبرز أيمن العتوم في هذا النص، ناحية من الثبات في وجه التحديات النفسية التي واجهها أيمن العتوم في السجن، حيث يشرح كيف غيّرت التجربة المؤلمة، موضحاً أن الإنسان لن يبقى ثابتاً أمام الألم والضغط. ويُعبّر عن هذا التغير باستخدام بيت الشاعر كثير عزة الذي دافع عن نفسه أمام لوم محبوبته على تغيّره، قائلاً إن التغير نتيجة طبيعية بعد الخسارة. بهذا التضمين، يُظهر أيمن العتوم أن الصعوبات التي مرّ بها لم تكسر عزمته، بل جعلته أكثر وعياً بذاته وبمعنى الثبات. فالثبات هنا ليس في رفض التغير، بل في قبول أثر الألم وتحويله إلى وعي داخلي.

الشوق للحرية والانعتاق

يسعى الباحث في هذا المبحث إلى توضيح مظاهر الشوق العميق للحرية والانعتاق في رواية يا صاحبي السجن، من خلال تحليل النصوص التي تبيّن الشوق الإنساني الفطري للخروج من دائرة الظلم والاستبداد. فالحرية، في هذا السياق، لا تناقش كمفهوم سياسي فحسب، بل تُجسّد كـرغبة النفس الشديدة، يوضّح عنها السجين بلغة مؤلمة ومملوءة بالتمرد الصامت. وتبيّن الرواية هذا الشوق من خلال أحداث تأملية ونقدية تظهر كيف يتآمر الواقع القمعي

⁴⁷⁶ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥م، ص ٦١.

على تحطيم عزيمة الإنسان، مقابل احتفاظه بإيمان داخلي بحقه في الخروج من القيود. ومن أبرز هذه المشاهد من الرواية التي تمثل هذا المعنى:

"يولد النَّاسُ أحراراً، هكذا صرخ ابن الخطاب في وجه ابن العاص... حقيقةً بديهية، غير أنَّ الإنسان كما استطاع أن يشوّه وجه الأرض الطبيعيّ، وبسطها الأخضر باتخامها بالملوثات الصناعيّة، استطاع أن يشوّه حقيقة الحرّيّة حين ظنَّ أنَّ القوّة تملكها، وأنَّ النَّاسَ عبيد السلطة... وقد تواطأ النَّاسُ عبر العصور على ذلك، فعاشوا أرقاء حين نكسوا رؤوسهم أمام السيّف والنّطع، وحين تستنهض غريزة الحرّيّة الكامنة في أعماقهم، يصمتون، ويخفضون أبصارهم قائلين: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ)... ألا بدست هداية من هذا النوع، إنّها ليست هداية ولكنّها الضّلال بعينه..."⁴⁷⁷

في هذا النص يتضح الشوق العميق للحرية والانفكاك من ظلم الحكومة، عندما يتذكّر الكاتب بأن الإنسان يخلق حرّاً، لكن الأنظمة الظالمة أفست هذه الحقيقة، وربطت السلطة بالتحكم في الناس. وبين الكاتب كيف أن الناس وافقوا الاستعباد وسكتوا عن القهر، تقليداً لأبائهم والأجداد، مع أنّ في أنفسهم رغبة للحرية. ويكشف النص عن التناقض بين طبيعية الإنسان التي تبغي الحرية، والواقع الذي يجبره للاستسلام، مُدِينَا هذا الضعف الذي يظهر على أنه هداية، لكنّه في الحقيقة ضلال فعلي.

"أنا شاعر بسيط يحاول أن يبتلع آلة الزمن ليرجع بذاكرته إلى الوراء قليلاً فيكتب ما غيّبته سجونُ الأيام والسنين... لكنّ ألف صارخة في الطّريق تُعول وتصيح، ليس لأتّنها ثكلي، ولكنّها تفعل ذلك لكيلا تمنحني الطّمأنينة والسّكينة اللتين بهما

⁴⁷⁷ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٦.

أكون قادرًا على استصفاء مجاري النَّبع في مخيلتي فأكتب بأمانة، أو قل بدقّة

معقولة".⁴⁷⁸

لا يُظهر السجن في هذا الجزء كشيء مادي فحسب، بل هو يُظهر شيئًا يقيد العقل أيضًا. حتى عند محاولة الهروب من خلال الكتابة والخيال والفكرة، وتظل "الألف الصارخة" تذكيرًا بالألم. يدل هذا على الصراع من أجل الحرية. وبالإضافة إلى ذلك، على الرغم من أن الرغبة في الحرية شديدة، إلا أن بعض العقبات الداخلية تربط الشخص.

"وراحت تسألني بعض الوقت معها، كنتُ - من أجل عينيها - مستعدًا أن أبقى

مُسامرًا لها حتّى ظهور صلاح الدّين مرّة ثانية، أو حتّى يطلع علينا أسامة بن منقذ

ممتطيًا صهوة جواده عابرًا الممرّات المتشابكة، وصولاً إلينا هناك، حيث التّاريخ

يُسجّل لقاء استثنائي بين عاشقين..."⁴⁷⁹

إن انتظار الشخصيات التاريخية مثل صلاح الدين الأيوبي وأسامه بن منقذ في هذا المقطع يرمز إلى الرغبة والتعطش الشديد للحرية. إنه تعبير عن الأمل في أن تكون اليوم حركات قوية مثلما شهد عصرهم في مجال الحرية والعدالة.

"فقد صرختُ في وجه كينونتي مؤثّبًا: مَنْ كان مستعدًا أن يسمع صدى صوتك

وأنت تصرخ في الجبّ، وحده القابع في قعر تلك البئر كان ينادي بلا مجيب، ويصرخ

ويذهب صدى صُراخه هباءً"⁴⁸⁰

يجد السجين نفسه هنا في عزلة شبيهة بالصراخ في بئر عميقة، مما يرمز إلى عجزه وضعفه عن التواصل الفعال والتعبير عن الذات بحرية. هذه العزلة تفرض قيودًا على حريته، لكنه في

⁴⁷⁸ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٧.

⁴⁷⁹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٩.

⁴⁸⁰ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٥.

الوقت نفسه، يكتشف فضاء داخليا للتأمل والإبداع. من خلال تأملاته، يتمكن من استخلاص قصص وحكايات من غبار السنين، مما يشير إلى قدرته على إيجاد معنى وقيمة حتى في أكثر الظروف تقييداً. ومع ذلك، يظل التساؤل حول جدوى هذا التعبير الذاتي قائماً، مما يعكس صراعاً بين الرغبة في الحرية المطلقة والاعتراف بالقيود التي تفرضها الوحدة والعزلة. هذا الصراع يكشف عن رؤية معقدة للحرية، لا بوصفها غياباً للقيود فحسب، بل بوصفها أيضاً قدرة على إيجاد معنى والتعبير عن الذات في ظل هذه القيود.

"وشعور بالحميمية يغمر كياني، وهُرعَت إلى حيث كتب صلاح الدين على حجارها

تاريخ الحرية والشهادة، بدماء لم تسَل هدراً وهي تحفظ لنا عالمنا في البقاع

المباركة، الخالدة بخلود آية في كتاب الله العزيز." ⁴⁸¹

"كان صلاح الدين الأيوبي بطلاً عظيماً للمسلمين في القرن الثاني عشر. أنه وحد المسلمين وحرر القدس خلال الحروب الصليبية مع النصارى. ودافع عن الحرية والعدالة، وكان رمزاً للأمل. حياته تذكرنا بأهمية الحرية وضرورة النضال من أجلها. بالتأكيد، صلاح الدين الأيوبي يصبح رمزاً للعدالة والحرية." ⁴⁸² عند زيارة بطل الرواية قلعة عجلون، تتجسد ذكريات نضاله من أجل الحرية، مما يبرز أهمية الحرية وتضحيات أولئك الذين قاتلوا من أجلها. ويؤكد الكاتب أن جهد السجناء ودمهم وعرقهم الذي نبذله من أجل الحرية لن يذهب سدى أبداً. إنه ستسجل في صفحات التاريخ الذهبية إلى الأبد.

"البئر وجد كثيراً من الكنوز المدفونة...رموه هناك وقالوا: يلتقطه بعض السيّارة،

ولم يعلموا أنّ النبوءة أولها إلقاء في الحبّ...!! مساكين أولئك الذين ظنّوا أنّ الموت

⁴⁸¹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٨.

⁴⁸² مقالة: الموقع الإلكتروني: <https://www.moh.gov.jo/ar/ajlounhd/SubSitePages/73/1>، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/١٢/٠٩ م.

أو الغياب السّحيق سوف يُودي بصاحب الجبّ، لم يُدر في خَلدهم يومًا أنّ

الفضاءات المطلقة تبدأ من الجحور الضيّقة... هناك تُصنع الحياة، ويُعاد ترتيب

مكوّناتها... هناك يتهجأ الإنسان حروف ولادته من جديد..."⁴⁸³

هذه الفقرة تستلهم قصة النبي يوسف (ع) في البئر لتعكس فكرة ثمينة: السجن أو المحنة الظاهرية يمكن أن تكون بدء لنمو روحي وحرية داخلية لا تقيدها الجدران. وإن البئر، رغم كونه رمزا للقهر، يتحول إلى مكان لإظهار كنوز داخلية كالصبر والحكمة. فما كان إيقاع اليوسف إقصاء بل كان في الواقع نقطة انطلاق لنبوءته. وهنا يؤكد الكاتب أن الحرية الحقيقية ليست مجرد حرية جسدية، بل هي حرية الروح والفكر التي يمكن أن تزدهر حتى في أشد الظروف قمعًا. "الفضاءات المطلقة تبدأ من الجحور الضيقة" تعني أن القيود الخارجية تدفع الإنسان نحو التحول الداخلي وإعادة بناء الذات، مما يؤدي إلى ولادة جديدة وإدراك أعمق للحياة.

"إنّ الحرّية صرخة (لا) في وجه طوفان (نعم)، حين تكون (نعم) غناء القطيع، الذي

لا يعرف غير هزّ الرؤوس والأذنان..."⁴⁸⁴

يُعبّر هذه العبارة عن أصل الحرية بوصفها موقفًا شجاعًا في قول "لا" في وجه التبعية الجماعية، حيث يمثل الكاتب الخضوع الجماعي بقطع يجب "نعم" دون فهم، ويحرّ الرؤوس والأذنان في طاعة مهانة. ف"لا" هنا تشير إلى الوعي والتمرد، بينما "نعم" تمثل الخضوع الأعمى. وبهذا الشكل يظهر العبارة فكرة عميقة للحرية، على أنها رفض واعي للسير مع القطيع حينما يكون السكوت دليل على الظلم.

⁴⁸³ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٦.

⁴⁸⁴ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٣٦.

"الحرية... الدين... الإيمان... الأخلاق... تعب الناس وهم يحاولون إيجاد تعريفات لها... غير أنني لم أجد للحرية تعريفاً من بين هذه المفاهيم أشد وضوحاً من الحالة التي أعيشها الآن في هذه الزنزانة... إنني حر بالمعنى الحقيقي رغم هذه القضبان؛ لأنني استطعت ألا أشتت نفسي حتى هذه اللحظة بخوضي مع الخاضعين، وانبطاحي مع المنبطحين... لا تتجلى الحرية في مكان ما أكثر من السجن، إنها تُباغتك برائحتها الشديدة، تقول الرائحة الطيبة: أنت حر لأنك استطعت أن تصرخ ب: (لا)!! كم من الناس يتمنون أن يفعلوا ما فعلت، غير أن (نعم) حكمت عليهم بالعبودية المقيتة... أقرع على جدار الزنزانة ذاهباً إلى أقصى درجات الترنم:

رمل الأبحر تروبه الثقات

لا ل لا لا... لا ل لا لا... لا ل لا لا...

آية متعة يحس بها الشعراء وهم يرفضون أن يُنعموا ب (نعم) خلفيات

الرعماء...⁴⁸⁵

في هذا المقطع، يظهر الاشتياق العميق للحرية من خلال تجربة السجن، التي يراها المعتقل لحظة وعي حقيقي بمعنى الحرية، لا على مستوى المكان، بل على مستوى الموقف. على الرغم من أن القضبان يحس أنه حر لأنه لم يستسلم ولم يتنازل، ورفض أن يكون عدا للمستسلمين. فمعنى الحرية في هذا السياق لا تُقاس بالمشي والخروج، بل بالعزة والاحترام للنفس والقوة على قول "لا" في وجه الظلم. ويقارن المعتقل حاله بمن قالوا "نعم" فصاروا عبيداً، بينما هو في زنزانته يترنم الأبيات، شاعراً بلذة المقاومة. بهذا التوضيح، تصبح الزنزانة رمزا للتحرر النفسي، بينما يصبح الخارج سجناً لمن ضيعوا بعزهم.

⁴⁸⁵ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٦-٣٧.

"كلّ ما يهمني في هذه اللحظة أنّي شعرتُ بمساحة مذهلة من الحرّية... إنّ أيّ

قطعة زرقاء من السماء تساوي نصف حرّية وثلاثة أرباع كرامة رحت أمشي وأعدو

في المثلث الفسيح كحصانٍ جامح، أُطلق من لجامه في السهول الخضراء المرعة"⁴⁸⁶

تُعبّر هذا النص عن رغبة شديدة في الحرية، إذ يشعر السجين بلحظة نادرة من التحرر، وكأنّ

رؤية السماء فقط تمنحه كرامة وحرية. يمثل نفسه بحصان جامح أطلق في السهول، وهو

تشبيه يشير إلى شدة رغبته للخروج من الأغلال والانطلاق بحرية تامة. هذا النص يظهر كيف

يوضح أصغر الأشياء، كالسما، دلالة للحرية المفقودة داخل السجن.

"رحت أركض كحصان بريّ، وأقفز كغزال وسط أشعة الشمس الدافئة... يكتشف

من فقد الشمس الليلتين أنّ متعة التّعرّض لدفتها لا تعادلها متعة أخرى... دفءٌ

يحيط بجدار القلب فيشيع فيه جواً من الطمأنينة والسكينة... تستمرّ فترة

التّشميس لثلاث ساعة تقريباً، هكذا قدّرتُها... بعدها تعود إلى الزّزانة، وحين تستقر

داخل جدرانها المصمتة، تعيش على حلم أن يطرق سمعك ذلك السّؤال المانع:

(تتشمّس؟) غير أنّ سؤالاً كهذا يحتاج إلى أن تنزف كثيراً من دم الوقت حتّى

يفتديك ببعض النّور..."⁴⁸⁷

في هذا الجزء، توضح الكلمات عن أمنية قوية للحرية، تظهر في مشهد بسيط هو الوقوف

تحت أشعة الشمس. فالبطل يجري بحرية مثال حصان بريّ ويقفز كغزال، في وصف يبيّن عن

شوقه للحرية والانطلاق بعد ظلمة السجن. ويبيّن الكاتب كيف تتحوّل أبسط لحظات النور

والدفء إلى حلم عظيم لمن مُنع منها. فالشمس هنا ترمز إلى الحياة والحرية، بينما السجن تدل

⁴⁸⁶ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٥٣.

⁴⁸⁷ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٥٣.

على القيد ومنع الحرية، ويُصبح سؤال "تَشَمَّس؟" رغبة يشتااق إليها الأسير بفارغ الصبر، وكأنّ دقائق التشميس تساوي كنزا غاليا جدا يدفع ثمنه سنوات طويلة من الألم.

"هتفتُ في سرِّي: إذّا يستطيع الإنسان حتّى لو كان في السّجن أن يُمارس طقوس الحرية التي وُلِدَت معه!! ويمكنه من خلال الأسلاك الشائكة أن ينظر إلى الأفق!!
إنّ الحواجز الماديّة تبدد بسيطة ضئيلة ليست ذات قيمة أو أهميّة أمام فضاءات الروح. دَع روحك تحلّق، تر العالم يبسط أمامك لوحة الجمال ذاتها!!"⁴⁸⁸

يبين هذا المقطع عن أن الكاتب يمكن أن يحس بالحرية حتى وهو داخل السجن. فمع أن الجدران والأسلاك الحديدية الحادة تقيّد جسده، إلا أن روحه تبقى حرة، قادرة على التخيل والتأمل. السجين يرى الأفق من بعيد، ويتأمل الجمال، وكأنّه يعبر إن الحرية الحقيقية ليست في الخروج من السجن فقط، بل في أن تبقى الروح حيّة قادرة على الطيران. فالحواجز المادية مثل الجدران لا تمنع الإنسان إذا بقي قلبه وروحه طليقين.

"في الفسحة المستطيلة المتبقية من غرفة المستودع بعد احتجاز الأسيرة للجزء الآخر، كنّا نقيم صلاتنا... وكانت تهوي على الأرض - هناك - جباهنا، وتنبط في السجود عليها أكفنا... وكانت الصلاة نورًا يضيء العتمة الصامتة، وضياء يُشع في أعماقنا الحائرة..."⁴⁸⁹

النص يوضح عن الأمل والطموح من داخل السجن، حيث كان السجناء يؤدّون الصلاة في زاوية ضيّقة من الغرفة، ويضعون جبينهم على الأرض بكل خضوع. الصلاة هنا لم تكن مجرد عبادة، بل كانت ضوء يزيل كآبة المكان، ونورا يدخل قلوبهم الحزينة. بهذا يظهر النص أن

⁴⁸⁸ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٨٠.

⁴⁸⁹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٦٤.

الأمل لا يغيب حتى في أقصى الظروف، وأن الطموح في الفرج والحرية يبقى حيًا سب قوة الإيمان والثبات.

"ولكن أمام هذه المسؤوليات الجسام، ما المميزات التي كان يحصل عليها الشاويش، حتى يتقاتل على هذا المنصب، ويتنافس عليه أكثر من. آه ... هناك أشياء كثيرة؛ فالشاويش يتمتع بحرية الحركة أكثر من كل المساجين الآخرين، وبما أن الإنسان هنا يتوق إلى ما يفقده، فقد كانت الحرية أعز مفقود. كان الشاويش يستطيع أن يخرج من غرفته في معظم الأوقات، ويذهب إلى دكان السجن، ويعود، والآخرين يكونون في تلك اللحظة محرومين حتى من الخروج خارج باب غرفتهم. وكان يمتلك حرية التنقل بين مفردات الدكان وانتقاء الأغراض بيده، ودفع الثمن من النقود التي تتجمع من المساجين بين يديه. وكل هذه الأمور يفتقدها المساجين أجمعون، ولها من المتعة ما لا يعرفه إلا من جرب فقدها.

وكان الشاويش يملك قلمًا، ويملك حرية أن يشتري قلمًا، ولم يكن أحد منا يحوز هذه الميزة الكبيرة والساحرة في أن معًا. علي سبيل المثال؛ لقد كنت من الذين ينظرون إلى القلم المترفع على أذن الشاويش كما لو كان ملكًا مُترفعًا على عرشه، أو كما لو كان أسدًا رابضًا في عرينه، لقد كانت أسمى أمنياتي في الشهر الأول من وجودي في السجن أن يكون لي قلمٌ أخبئه كنزًا ثمينًا في ثنايا برشي!!⁴⁹⁰

الكاتب السجن يعبر عن اشتياقه الشديد في الحرية، حتى لو كانت حرية بسيطة ومؤقتة، كأن يخرج من غرفة السجن أو يشتري شيئًا بنفسه. فقد كان يرى في الشاويش رمزا لهذه الحرية،

490 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٨١-٨٢.

لأنه كان يملك حقوق لا يملكها باقي السجناء، مثل التحرك بحرية وامتلاك قلم. وكان الكاتب يرغب لو يملك قلماً واحداً، مما يدل على أن أصغر الأشياء تصبح غالية كبيرة عندما يمنع الإنسان من حريته.

"وفد علينا بعد حوالي أسبوع في سجن الجويذة ضيفان جديدان انضمّا إلى غرفتنا. الأوّل كاتب وسياسيّ، ناهز الخمسين، يرتدي نظّارات ذات إطار أسود، حليق اللحية، وشارباه كَثّان. ليس بالطّويل ولا القصير. ولجّق بنا على مقالةٍ كتّبتها. وهو نصرانيّ، وعرفت أنّه: ناهض. والآخر شاب جامعي نحيل، نصرانيّ أيضاً، ما زال طالباً في السّنة الثالثة في قسم الهندسة المدنيّة، من الكرك حيثُ الأحداث الأسخن عادةً، وناشط سياسيّ. وعرفت أنّه: شادي. أوّل شيء فعله بعد دخوله المستودع، أن غَطّ في نومٍ عميق ليومٍ كامل. يبدو أنّه عانى كثيراً في ظروف اعتقاله!! ها نحن نجتمع تسعةً في هذه الغرفة، اختلاف الدّين، وتباعد القضايا، لم يحولا دون انصهارنا هنا كمجموعةٍ واحدة، جَمَعها هَمُّ الفقدان المؤقّت لطائرٍ

عذب يُدعى: الحرّيّة." 491

في هذا النص يبيّن الكاتب مشاعر الاشتياق الشديدة للحرية التي توحد بين السجناء رغم اختلافاتهم. فمع دخول سجناء جدد، تزيد مساحة الألم المشترك، حيث لا فرق بين مسلم ونصراني، ولا بين كاتب وطالب وسياسي، كلّهم يشاركون مرارة السجن والمنع. يمثل الكاتب الحرية بطائر جميل كناية عن جمالها وصعوبة الإمساك بها، ويصف إقامتهم في الزنزانة كفقدان مؤقت لهذا الطائر. يتبيّن من هذا أن السجن لا يجمع الأجساد فقط، بل يشعل في القلوب رغبة واحدة لأمر أكبر من خروج السجن إلى التنفس الحقيقي، إلى الحرية.

491 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٩٥.

"أتركهم ثم أعود ثانية إلى أحلامي. كم أنت غالية أيتها الحرية. كم أنت جميلة. كم أنت رائعة!! ألسنت أنثى، وقد ركب الله في طبيعة العباد عشقك منذ أن خلقت. يا لك من أنثى ذات سطوة جبّارة. من أجل عينيك، وجد الآلاف أنفسهم في غيابات الحب، ومن أجل الحصول عليك سألت دماء الملايين على التراب الطهور. أي أنثى مثلك يبذل في سبيلها البشر هذا الحجم المرعب من التضحيات!!"⁴⁹²

يظهر هذا المقطع الشعور الشديد بمعاناة فقدان الحرية داخل السجن، حيث يظهر الكاتب شدة رغبته إلى الانعتاق من القيد والعودة إلى حياة ذو الشرف. فغياب الحرية لا يدل فقط على حالة جسدية، بل أزمة نفسية وروحية يمر بها السجين في كل لحظة. ورغبة الكاتب فيها تبين عن صراع داخلي دائم، إذ تصبح الحرية الحلم الأعلى الذي يسيطر على تفكيره، ويمنحه معنى للمواصلة في مواجهة قسوة السجن ومرارته.

طبيعة وجمال

يتناول هذا المبحث الطبيعة والجمال في رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم، حيث تُعدّ الطبيعة في الرواية رمزا للحرية والانعتاق من القيود، ومتنفسا روحيا يخفف قسوة الحياة في الزنزانة. ويحاول الباحث تحليل حضور الطبيعة وتجليات الجمال من خلال أمثلة وردت في الرواية تُبرز دورها في تهذيب النفس، وتجديد الأمل، وإحياء الإحساس بالحياة رغم ظلمة السجن.

"- ما التهمة التي لفقوها لك؟

- تهمتنا معًا.

- حُبنا لأوطاننا يحبسنا يا أبي!!

- كن قويا!!

⁴⁹² العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢٠١٥، ص ١٠١.

- ثقافتنا أصل مصيبتنا يا أبي!!
- كن أبياً!
- موسيقى الشعر تزعجهم يا أبي!!
- ابق بها صادقاً. ولا تخش إلا الله. ولا تخف إلا جنوح القلب.
- قصائدنا أعواد مشانقنا!!
- بل هي أعواد مشانقهم.
- أحرام على بلبله الدوح؟!
- حلال للطير من كل جنس!!
- كلمائنا تملأ دروبنا بالحقر يا أبي!!
- بل تملؤها بالورود والرياحين!!
- أما لهذا الليل من آخر!!
- وأين الشمس!!
- أخاف من قلبي على قلبي.
- وأين الله!!
- بيم تملأ حقيقتي قبل أن يأخذوها منّا؟!
- بالعزيمة... بالحب... بالإرادة... بالكلمة الحرة... بالثبات...
- إلى اللقاء يا أبي...
- إلى اللقاء... إلى اللقاء...⁴⁹³

يجسد هذا الجزء حالة السجين النفسية في انفرادية السجن، إذ يشعر كأنه ممزق إلى جزء صغيرة، تطايرت في كل جهات، ولا تستطيع العودة إلى حالتها الأولى إلا إذا امتدت يد حنونة تجمعها. هذه اليد التي يشار إليها هي يد أهله التي يشتاق إليها بشدة، ويشعر أن وجودهم وحده قادر على إصلاح حالته النفسية وجمع ما تفرق منه. والنص يصور بوضوح الانعزال القاسي

493 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٨٨.

والفراغ العاطفي الذي يمر به السجين، ويبين اشتياقه الشديد لأهله الذين يمثلون له الحماية والحب والانتماء.

"أستطيع اليوم استعادة تلك الأحاسيس التي تملكنتني في ذلك اليوم... كان يومًا حافلاً، واستثنائيًا... ظلت الأشجار ترافقنا على جانبي الطريق لفترةٍ غير قليلة، لأول مرة أهم في خيالي باحتضانها، وتلمس أوراقها ورقةً ورقة، ظلالها ألقت بالطمأنينة على نفسي، لم يتمكن الرشاشان المحيطان بي من كسر هذه الظلال، فكرت: أكون ظلّ الشجرة أقوى تأثيرًا من الرشاش أجبت: نعم.. كم مرة تغلب الورد على

السكين⁴⁹⁴

في هذا المقطع، يتذكر الكاتب لحظة إنسانية نادرة في قلب تجربة الحبس المؤلمة، حيث جمال الطبيعة يعطيه شعورا بالطمأنينة بالرغم من الحصار العسكري حوله. فالأشجار التي تظلل الطريق لم تكن مجرد مشهد، بل أصبحت علامة للطمأنينة، لدرجة أنه تمنى عناقها ولمس أوراق الشجرة. هذه الظلال تفوقت نفسيًا على وجود الرشاشين يقفان بجانبه، في مفارقة مؤثرة: الظل أقوى من السلاح، والأزهار تنتصر على السكين. ويوضح هذا النص قوة الجمال في مواجهة العنف، وقوة النفس في مقاومة الخوف. فحتى في لحظة الإهانة والتقييد، يبقى لدى الإنسان قوة على الإحساس بالجمال والتعلق التفاؤل، وكأن الطبيعة تعطيه لحظة مقاومة داخلية صامتة، ضد كل ما يُريد تدميره.

494 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ص ٣٢.

يتناول هذا المبحث السلام النفسي في رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم، حيث يعبر الكاتب عن لحظات الصفاء الداخلي التي يصل إليها السجين بعد معاناة طويلة. فوسط الألم والعزلة، يجد الإنسان طريقه إلى الطمأنينة عبر الإيمان والتأمل والصبر. ويحاول الباحث تحليل مظاهر هذا السلام النفسي من خلال أمثلة وردت في الرواية تظهر كيف يتحول السجن من مكان للعذاب إلى فضاء للتأمل والسكينة الروحية.

"الزنازين أوطان المعتقلين، وملاجئهم الاضطرابية، وحقول قمعهم؛ عندما

تستقبلك زنزانة ما، فإنها تمد لك ذراعها بداهة، وهي تقول لك: إِمَّا أَنْ تَحَبِّي أَوْ

تكرهني، الحب والكره قضيت شخصية ولكن عليك أن تعتاد التعايش معي..."⁴⁹⁵

يدل النص إلى حالة من التكييف الإجباري التي يضطر المعتقل إلى تبنيها داخل الزنزانة. فالمعتقل لا يملك خياراً آخر من تحويل الزنزانة إلى "وطن" و"ملجأ"، ليس لأنه يحبها، بل من أجل أن يحافظ على توازنه النفسي. السلام هنا ليس طمأنينة صادقة، بل هو وسيلة دفاع داخلية تحمي المعتقل من السقوط. الكامل، وتمنحه القدرة على التعايش مع الألم الانفصال.

"دخلت موطني؛ أعني زنزانتني... ويا لها من زنزانة... إنها تُعد نصراً بالنسبة للزنزانة

التي قضيت فيها الليلة الأولى أمس في دائرة مخابرات إريد..."⁴⁹⁶

يجسد هذا المقطع لحظة تكييف داخلي يمر بها المعتقل، عندما يُطلق على زنزانتته كلمة "موطني" في دلالة رمزية على تغير المكان القسري إلى مكان من الأمان المؤقت. فالسجين لا يجد مفراً من بناء ارتباط نفسية مع سجنه، ليصنع نوعاً من التوازن النفسي وسط الألم. كما أن موازنته

⁴⁹⁵ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٣.

⁴⁹⁶ العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٣٤.

بين الزنزانة الحالية وتلك التي أمضى فيها الليلة الأولى تكشف عن تطور في مشاعره النفسية إذ يرى في تحسّن الوضع ولو بسيطاً فوزاً صغيراً يعزز صموده. ومن هنا يبرز السلام النفسي بوصفه وسيلة للانسجام مع الوحدة، وبناء توازن داخلي يسهل السجين على المقاومة لا السقوط.

"لم أكن أبذل أدنى مجهود يُذكر لأستهلّ دمعة عابرة على وجنتي. ما أسهل أن تبكي.. ما أجمل أن تبكي. ما أروع أن تبكي لترتاح!. أرتاح!! أرتاح من ماذا؟ من ذكرياتي.. من قصائدي.. من مسيرة حياتي.. من ألوية أشواقِي.. من منابع حنيني!!"⁴⁹⁷

"ليس السرير الوثير هو الذي يوقرك النومة الهادئة، كم من أناس أسرهم الأرق، وهم يتقلبون على أفخر أنواع الأسرّة، وكم من أناس غفوا ليلهم الطويل، وهم ينامون على قوارع الطّرق، أو على ألواح من الخشب."⁴⁹⁸

في ليلة السجين الأولى في السجن، يقرر بناء عالمه الخاص رغم الظروف القاسية. يدرك أن السعادة الحقيقية والحرية ليستا في الرفاهية المادية، بل في القوة الروحية والقدرة على التأقلم. عندما يقارن الكاتب بين حياة الأغنياء الذين يعانون من الأرق ومن ينامون بسلام في ظروف الفقر، يفهم أن الحرية الحقيقية داخلية ولا تعتمد على المكان والمواد. يرى أن الحياة البسيطة والسلام الداخلي أفضل من حياة الرفاهية. ويقرر مواجهة الصعاب وإيجاد المعنى لحياته. يصبح السجن مكاناً للنمو الروحي، ويكتشف أن الحرية والسعادة داخله، وليستا في العالم الخارجي.

⁴⁹⁷ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٦٠.

⁴⁹⁸ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٤.

يعكس أيمن العتوم في هذا الجزء لحظة من السلام النفسي القوي الذي يأتي عبر البكاء، إذ لا يظهر البكاء هنا كعلامة ضعف، بل كطريقة للتفريغ العاطفي والتفاهم مع الذات. فالسجين لا يحتاج إلى تعب كبير ليبكي، وكأن دموعه تحولت إلى وسيلته الوحيدة للتخفيف عن التراكمات التي يحملها: ذكرياته، قصائده، حياته، شوقه وحنينه. وهذا الانهيار الهادئ لا يشير على الانكسار، بل على لحظة صدق داخلي تعطيه راحة مؤقتة. فالنص يكشف كيف يصير البكاء، في ظروف القهر والعزلة، وسيلة لتحقيق هدوء داخلي وسلام نفسي، حتى وسط العذاب.

"أليست حصيرة بالية مهترئة ينام عليها عُفاة الأنفس المتصالحون مع أنفسهم

خيرًا من فُرش الذهب والاستبرق ينام عليها المرضى والمعتّلون...؟" ⁴⁹⁹

هنا يسأل الكاتب "هل قيمة الإنسان تُقاس بالمكان الذي ينام فيه أم بالسلام الذي يحمله في داخله؟" في هذا السياق، السجين يُظهر قناعة بأن التصالح مع الذات والرضا الداخلي في أي ظروف هو أعظم من أي مظاهر خارجية مهما بلغت رفاهيتها، مما يعكس فلسفة تعني بأن الطمأنينة تنبع من الداخل لا من البيئة.

"مضت اللَّقم تهبط في الحلاقيم، ومضت الأفواه تنطق بالمفاهيم... وبدأنا حفلة

التعارف الأولى كنّا كأصحاب الكهف، جمع بيننا سوط السلطة، فأوينا من

لسعته إلى هذا الكهف، لنبدأ حكايةً بيّنة لا يتنازع أمرها بيننا أحد." ⁵⁰⁰

يظهر أيمن العتوم في هذا الجزء حاجة الإنسان الفطرية إلى الصحة والسلام النفسي، حتى في أشدّ البيئات شدة كالسجن. وقت جلوس السجناء للطعام تحوّلت من لحظة عادية إلى

499 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٢٤.

500 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٦٩.

مساحة للراحة والكلام والتعارف، وكأنهم وجدوا في بعضهم مأوى نفسيا من قسوة الحكومة. يشبه الكاتب حالتهم بأصحاب الكهف، الذين جمعهم الخوف والظلم، فالتجأوا إلى مكان واحد طلبا عن الأمان. بهذا الوصف، يظهر العتوم أن الإنسان بطبعه يميل إلى الاجتماع لا العزلة، وإلى السكينة لا الصراع، وأن الصحبة الصادقة تمنح النفس بعض السلام حتى في أشد ظروفها.

"كان هذا أحد تدريباتي الأولى، لكي أسيطر على حوائتي ومشاعري، حين يستعدي

ذنب الرغبة على قطع الشهوة، كنت أطلق عليه سهم الإرادة فأجرحه أو أصيب

فيه مقتلا.."⁵⁰¹

يكشف هذا المقطع تدريباً شخصياً عميقاً يهدف إلى التحكم في الذات، حيث يصف الكاتب صراعاً داخلياً ضد الرغبات والشهوات. باستخدام استعارة "ذنب الرغبة" الذي يستعدي على "قطع الشهوة"، يقول الكاتب كيف كان يستخدم "سهم الإرادة" لاستهداف هذه الميول الفطرية، إما لإضعافها "فأجرحه" أو للقضاء عليها تماماً "أصيب فيه مقتلاً". هذا يعكس رحلة وعي لتعزز الانضباط الذاتي والسيطرة الذهنية على الدوافع الروحية والجسدية.

"تحتسست السرير، لمت نفسي على تفكيري بأنه غير ملائم، جلست على طرفه، ثم

فكرت: يصنع الإنسان في الظروف الصعبة عالماً الخاص، ليس مهماً السرير

وصلاحيته للنوم عليه، بل المهم أن يكون استعدادي النفسي قد تم لمواجهة

الأسوأ."⁵⁰²

⁵⁰¹ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٥.

⁵⁰² العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٣.

هنا يلمح الكاتب إلى أن الزنزانة هي قد تكون بداية لرحلة داخلية نحو السلام، رغم قسوتها. فبدلاً من التفكير عن صعوبة السرير، يتوجّه تفكيره نحو تهيئة نفسه نفسياً لقبول الواقع. هذا يدلّ على أن السجين يبدأ بصناعة عالمه الخاص داخل السجن، عالم قد يجد فيه نوعاً من الراحة الداخلية والحرية النفسية، حتى وهو محاصر بالجدران.

حب الوطن

يتناول هذا المبحث حب الوطن في رواية *يا صاحبي السجن* لأيمن العتوم، وهو جانبٌ محوري في التجربة الروائية، إذ كان الانتماء الوطني من الأسباب الرئيسة وراء اعتقال الكاتب. ويقدم العتوم من خلال السرد صورة السجين الذي يدفع ثمن صدقه ووفائه لوطنه، فيتحوّل حب الوطن إلى موقف مقاوم وثابت أمام القمع والاضطهاد. ويحاول الباحث تحليل هذا البعد من خلال أمثلة وردت في الرواية تُبرز كيف جسّد الكاتب الوطن رمزاً للحرية والكرامة رغم قيود السجن وضغوط السلطة.

"- ما التّهمة التي لَفَقوها لك؟

- تهمتنا معاً.

- حُبّنا لأوطاننا يحبسنا يا أب

- كن قوياً!!

- ثقافتنا أصلُ مصيبتنا يا أبي!!

- كن أبيعاً!" 503

هذا الحوار وقع بين الكاتب ووالده في اللقاء الأول في السجن، ويعبّر عن الأسى والألم الذي يشعر به بسجنه. عندما قال له والده عن التهمة، يجيب: "حُبّنا لأوطاننا يحبسنا يا أبي"، في إشارة إلى أن حب الوطن أصبح جريمة في نظر الحكومة. ويقول إن سبب اعتقاله هو ثقافته

503 العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ٨٨.

ووعيه، لأن المثقف يعتبر إليه كخطر. لكن الأب يشجعه بكلمات قوية: "كن قويًا"، "كن أبيًا"،
ليمنحه الثبات والصبر. يُظهر النص العلاقة الشديدة بين الوالد وابنه، والتمسك بالكرامة
رغم الظلم.

"عادوا ذات يومٍ من الجلسةِ الأخيرةِ لمحاكمتهم، كانوا يحملون مشروعَ شهداء مع
وقف التنفيذ. تلقَّيْهم في الثانية ظهرًا خارج بابِ المستودع، وسارعتُ إلى احتضانهم
قبل أن أعرف الأحكامَ التي صدرت بحقهم. وسألتهم:

- بِمَ حُكِمْتُمْ؟ طمئنوني!

- اطمئن... بالإعدام، ثم خُفِّفَتْ إلى مؤبَّد.

- غيرُ معقول!

- لماذا غيرُ معقول؟

- لا أكاد أصدِّق... أهذا جزاءٌ مَنْ يُدافع عن وطنه؟!

- لا بأس، زوايا النظر إلى المفاهيم متباينة!

- لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله!

- الحمد لله على كلِّ حال.

- قال لي (يوسف) يومها:

عندما نطق القاضي بالحكم في البداية: "إعدام"، ثم سكَّت للحظة، ثم أتبعها بالمؤبَّد ما
بين الحكمين سارت الحياةُ في دورتها إلى النهاية، ووجدنا أنفسنا لحظتها مرفوعين على
أعواد المشانق من أجل أوطاننا. إنَّها اللحظة الفارقة بين الموت والحياة. أخيرًا، يمكن أن
يموت الإنسان من أجل قيمة، أن يضحي من أجل فكرة. ما أصعب أن يموت الإنسان
موتًا اعتياديًا!!⁵⁰⁴

504 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م، ص ١٢٦.

في هذا النص حاول الكاتب أن يُعبّر عنه هو حبّ الوطن الصادق، حيثُ صوّر الشباب وهم يقولون أحكاماً قاسية دون خوف، بل بروح شديدة، لأنهم كانوا يعتقدون أن التضحية من أجل الوطن شرف. كما أبدى الكاتب القلق العميق على وضع وطنه، من خلال إعجابه من أن مَنْ يُدافع عن وطنه يُجازى بالإعدام، وكأنّ الوفاء والحب أصبح تهمة، وهذا ما يظهر عن ألم داخليّ وخوف على مستقبل الوطن وقيمه.

"تلقاني (ناهض) بعد أن عدتُ إلى القفص في القاعة الرئيسة لمحكمة أمن

الدولة. سألني: انحكمت؟!

- نعم.

- قدّيش؟!

- سنة وخُفّفت إلى ثمانية أشهر.

- بسيطة...

- بسيطة...

- مشان الوطن.

- الحمد لله. "505

يسجّل النص موقف من تجربة الكاتب في محكمة أمن الدولة حين استقبل حكم السجن بثمانية أشهر بابتسامة وكلام "بسيطة... مشان الوطن"، مظهرًا عن قناعته بأن التضحية بالحرية تصبح سهلة الاحتمال إذا كانت في طريق الوطن.

"حاولتُ أن أعيد التعريف بنفسي في تلك اللحظة ... مَنْ أنا؟ سألن القابع في أعماقي،

وهتفت: أنا معتقلٌ سياسيّ، في قسم المخابرات، في زنزانة انفراديّة، في منتصف

505 العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ١٣٣.

الليل، على رقعة وطني الحبيب... لم يُعجبني هذا التعريف، فأعدته على النحو الآتي:

أنا شاعرٌ يحبُّ وطنه وهذا الحبُّ أوصله إلى هنا! ⁵⁰⁶

في عزلته الأولى بالسجن، يصارع الكاتب لإعادة تعريف هويته في مواجهة الظلام والانقطاع عن العالم. يتمسك بالمصحف، ويرفض تعريف نفسه كـ "معتقل سياسي"، بل يعتبر نفسه "شاعرا يحب وطنه كثيرا"، محولا الأسر إلى نتيجة لشغفه بالحق ومصدر قوة روحية. ويمثل نفسه أنه منتقل من الضحية إلى حامل الرسالة من المظلومين.

"حَتَّ أَبِي كُلَّ مَنْ حَدَّثَهُ عَنِّي عَلَى زِيَارَتِي. كَانَتِ الزِّيَارَةُ لِأَيِّ سَجِينٍ تُشْبِهُ فِي أَثَرِهَا النَّفْسِيَّ الإِيجَابِيَّ زِيَارَةَ الْمَرِيضِ الْمَوْجُوعِ الَّذِي يَرَى فِي وَجْهِ زَائِرِهِ بَعْضَ الْخِلَاصِ... وَهَكَذَا زَارَنِي مِمَّنْ عَرَفْتُ: أَخِي سَهْلٌ، وَأَخْتِي أَرْوَى، وَأَخْتِي زَيْنَبُ، وَأَخِي مُعَاذُ، وَعَدَدٌ مِنْ أَخْوَالِي وَأَعْمَامِي، وَنَفَرٌ مِنْ أَقَارِبِي... إِلَّا أُمِّي. لَمْ تَزِرْنِي أُمِّي خِلَالَ فَتْرَةِ سَجْنِي، لِأَنَّ أَبِي ظَلَّ يُمَنِّيهَا طَوَالَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ بِخُرُوجِي الْقَرِيبِ، وَبِمُكَانِيَةِ صُدُورِ عَفْوٍ عَنْ عَدَدٍ مِنَ السَّجَنَاءِ السِّيَاسِيِّينَ. وَقَدْ لَاقَى هَذَا الْأَمْرُ مِنْ جِهَتِي قَبُولًا تَامًا؛ ذَلِكَ أَنَّهُ مَعَ شَوْقِي الْعَظِيمِ إِلَى رُؤْيَا وَجْهِ أُمِّي، إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ عَلَيْهَا أَلَّا تَحْتَمِلَ رُؤْيَايَ خَلْفَ الْقَضْبَانِ، وَخَفْتُ عَلَى قَلْبِهَا الرَّقِيقِ أَنْ يُصِيبَهُ الْانْكَسَارُ. وَخَبَّاتُ كُلَّ أَشْوَاقِي إِلَيْهَا

ليوم اللقاء الكبير؛ يوم الخروج من السجن!!" ⁵⁰⁷

النص يصف بعمق أثر زيارة الأهل في السجن على نفسية السجين، إذ يجعلها الكاتب بمنزلة علاجاً للمريض المتألم، لما تثيره من أمل وخلصٍ مؤقت من شدة السجن. ويبيِّن النص أيضاً عن البعد النفسي والعاطفي في علاقة السجين والده خاصة، فبرغم حنينه الشديد إليها، فإنه رضي بعدم رؤيتها حفاظاً على قلبها الرقيق أن يضعف أمام مشهد قضبانها. يظهر في ذلك

⁵⁰⁶ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٢.

⁵⁰⁷ العتوم، أيمن، رواية: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥ م، ص ٢٣٦.

التوازن فيما بين الحنين والرحمة: وشوق الابن الشديد، واهتمامه في الوقت نفسه على حماية أمّه من الحزن. وهكذا يظهر النص أن السلام النفسي في الزنزانة لا يأتي من الزيارة نفسها فقط، بل أيضاً من القدرة على التحمل والصبر، ومراعاة مشاعر الأقارب، وتوقع اللقاء الأكبر لحظة الحرية.

خاتمة الباب

خلص الباحث في هذا الباب إلى أن رواية *يا صاحبي السجن* تُعدّ وثيقة أدبية وإنسانية عميقة تكشف الواقع القمعي والسياسي الذي يعيشه الإنسان العربي تحت أنظمة تُقضي العدالة وتصادر الفكر الحر. فقد تبين أن الكاتب يصوّر السجن بوصفه أداة سلطوية لإخماد صوت المثقف وإلغاء الرأي المعارض، حيث يتحول إلى رمز لغياب الحرية والكرامة الإنسانية. كما أبرزت الرواية أشكال الظلم الممنهج التي يتعرض لها السجن السياسي من اعتقال تعسفي وتعذيب جسدي ونفسي، لتجعل من التجربة الفردية شهادة على واقع اجتماعي يعاني من القهر والبطش.

وتوصّل الباحث إلى أن الرواية لا تكتفي بعرض المعاناة، بل تكشف محاولات طمس الهوية الفكرية والوطنية للسجين عبر الترويض النفسي والحرمان المتعمّد من التعليم والعلاج والراحة، إلا أن البطل يواجه ذلك بثبات فكري وروحي يجعل من الكلمة والوعي وسيلتين للمقاومة والانتصار. كما بين التحليل أن الكاتب جعل من القراءة والفكر رمزين للتحرر الداخلي، مؤكداً أن الوعي لا يمكن سجنه حتى خلف القضبان. وفي المستوى الإنساني، أوضحت الدراسة أن الرواية تجسّد الصراع النفسي العميق بين الخوف والأمل، واليأس والرجاء، وتعبّر عن مقاومة الإنسان للانكسار بالإيمان والوعي. كما تتجلى فيها مشاعر الحنين

إلى الأهل والوطن، فتنحول تجربة السجن الفردية إلى صوت وطني وجماعي يرفض القمع ويدعو إلى الحرية.

واستنتج الباحث أن الحرية في الرواية ليست مطلباً سياسياً فحسب، بل قيمة وجودية وروحية تمثل جوهر الإنسان وكرامته، وأن المقاومة لا تكون بالسلح فقط، بل بالكلمة والثبات والصبر. كما لاحظ توظيف الكاتب لعناصر الطبيعة والنور والمطر كرموز للأمل والجمال، تعبّر عن سمو الروح وسط الظلام. وفي الختام، يرى الباحث أن تجربة البطل تنتهي إلى صفاء نفسي عميق يجعل من السجن فضاء للارتقاء الإنساني، ومن المعاناة طريقاً إلى الحرية الداخلية والانتصار على القيد.

خاتمة البحث

بعد أن عرض الباحث هذه الدراسة في أربعة أبواب مترابطة، تناول من خلالها الإطارين النظري والتطبيقي لمفهوم السجن في الأدب العربي، ويتّضح أن رواية *يا صاحبي السجن* تمثل تجربة إنسانية فريدة في أدب السجون العربي الحديث، لما تتضمنه من تصوير واقعي ومعان فكرية ونفسية تعبّر عن معاناة الإنسان في مواجهة القهر والحرمان. وقد سعى الباحث إلى إبراز الكيفية التي حوّل بها الكاتب فضاء السجن من مكان العقوبة إلى مساحة التأمل والمقاومة والنهوض بالوعي الإنساني. تنتهي الدراسة بأنّ أيمن العتوم استطاع من خلال رواية *يا صاحبي السجن* أن يجعل السجن فضاء رمزيا واسع الدلالات، يعكس صراع الإنسان بين القيد والحرية، وبين الانكسار والأمل. كما بيّنت النتائج أن السجن في الرواية كان نقطة تحوّل في الوعي الإنساني، ومنطلقا من رؤية جديدة للحياة، تؤكد قدرة الإنسان على تجاوز الألم وصناعة الحرية بالروح والفكر. وهكذا قدّمت الرواية نموذجا راقيا للأدب المقاوم الذي يجمع بين الصدق الفني والعمق الإنساني.

نتائج البحث

توصّل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى عدد من النتائج المهمة، وهي كما يأتي:

النتائج الأولية

1. فضاء السجن هو لا يقتصر على كونه مكانا ماديا تحبس فيه الأجساد، بل هو مفهوم أوسع وأعمق يشمل الجوانب النفسية والاجتماعية والفكرية التي يعيشها السجين داخل هذا المكان.

2. يُعد أيمن العتوم من أكثر الكتّاب العرب إنتاجا في العصر الحديث، إذ كتب أكثر من عشرين رواية إلى جانب دواوين شعرية ومسرحيات ومقالات فكرية، مما يجعله نموذجا فريدا من حيث الإبداع والاستمرارية في الكتابة. وتتّسم أعمال أيمن العتوم بدقة الأسلوب

وتنظيم البناء الفني للرواية، ويعود ذلك إلى خلفيته العلمية في دراسة الهندسة. يظهر هذا التأثير في ترابط الأحداث وقوة السرد، مما يجعل نصوصه متماسكة وواضحة البنية. ولعبت خلفيته العائلية والثقافية دوراً مهماً في تشكيل وعيه الأدبي والفكري، فقد انعكس ذلك في اهتمامه بالقضايا السياسية والاجتماعية، وفي معالجته لها بوعي ومسؤولية إنسانية عالية.

3. تظهر المرجعية الإسلامية بوضوح في معظم أعماله، حيث يوظف النص القرآني في عناوين رواياته، ويستلهم شخصيات تاريخية إسلامية ليمنح أعماله بعداً رمزياً وروحياً. كما يسعى من خلال التناسق القرآني إلى نشر اللغة القرآنية وإغناء مضامينه بالعمق الدلالي والفكري.

4. تناول في رواياته موضوعات متنوعة تمزج بين الحزن والظلم من جهة، والمقاومة والانتصار من جهة أخرى. وقد خصّص خمس روايات لتجربة السجن ومعاناة المعتقلين، مما يعكس اهتمامه الإنساني والاجتماعي والسياسي في الأدب العربي المعاصر. ويقدم أيمن العتوم من خلال أدبه السجني رؤية عميقة للحرية والتحرر من القيود، بعيداً عن الأطر السياسية الضيقة، ليجعل من تجربته الأدبية رسالة إنسانية تهدف إلى التغيير والبحث عن الحقيقة.

5. رواية *يا صاحبي السجن*، التي تتكون من ٣٤٤ صفحة ومقسمة إلى ١٦ فصلاً، تميّزت بغنى التناسق الديني، ولا سيما الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وقصص الأنبياء، والأمثال الشعبية، والشعر، إلى جانب معالجة القضايا السياسية الأردنية. هذا التداخل جعل منها عملاً أكاديمياً مرجعياً يتجاوز حدود السرد للترفيه.

6. جاء الأسلوب السردى معتمداً على تقنية المونولوج الداخلي، حيث صيغت الرواية على شكل مذكرات يومية أو سجل شخصي لبطل القصة، على الرغم من تصنيفها الأدبي ضمن جنس الرواية. واتسمت لغة الرواية وأسلوبها السردى بالجزالة الأدبية والفصاحة، مع غلبة الطابع الشعري والكثافة العاطفية، مما أضفى عليها جاذبية خاصة.

7. في رواية *يا صاحبي السجن* يتحول الفكر إلى جريمة تُعاقب بالمنع والمصادرة. تُبين الرواية كيف تُراقب الكتب والحوارات وتُعتبر القراءة خطرا على النظام. ومع ذلك، يظل السجناء يتشبثون بالمعرفة بوصفها عمل مقاومة خفي، يؤكد أن الوعي لا يمكن حبسه حتى وإن أُغلقت الجدران من حوله.

8. تُبرز الرواية الصراع النفسي الذي يعيشه السجن بين الخوف والرجاء، وبين الألم والأمل. يعيش البطل عزلة طويلة تفصله عن العالم الخارجي، فيتحول إلى إنسان يتأمل ذاته ويعيد اكتشاف معاني الحياة من جديد. وهكذا، يكشف أيمن العتوم عن قدرة الإنسان على تجاوز الانكسار النفسي بالإيمان والفكر والوعي.

9. ترسم الرواية مشاهد التعذيب بدقة مؤلمة، تُظهر مدى القسوة التي يُعامل بها السجناء. تتنوع أشكال التعذيب بين الجسدي كالتقييد والضرب، والنفسي كالعزلة الطويلة والتهديد المستمر. ومع كل ذلك، يظل البطل ثابتا، فيتحول الألم إلى وسيلة لتقوية الإرادة بدلا من كسرها. حيث يجعل أيمن العتوم من هذا الأمل محورا إنسانيا يعبر عن إصرار الإنسان على الحياة رغم القيود.

10. يُصوّر أيمن العتوم في الرواية واقع السجون بوصفه بيئة تُهدم فيها الخصوصية تماما. فالسجين يُراقب في نومه وأكله واستحمامه، حتى يفقد الإحساس بآدميته. ويكشف هذا المشهد عن أبشع مظاهر الإذلال الإنساني، حيث يتحول الإنسان إلى رقم بلا قيمة، بينما يصير البطل على الدفاع عن كرامته بالفكر والموقف.

11. وأن اقتباس أيمن العتوم لعناوين رواياته وفصولها من القرآن الكريم لم يكن مجرد توظيف ديني مباشر، بل جاء بوصفه تقنية سردية وجمالية تخدم البنية الفنية للعمل، في الوقت الذي تعكس فيه توجّها فكريا إسلاميا واضحا يبرز في معالجته للقضايا الإنسانية والسياسية، ويؤكد على هويته الأدبية ذات المرجعية الإسلامية.

12. تكشف رواية *يا صاحبي السجن* عن الواقع السياسي القمعي الذي يعيشه الإنسان في ظل أنظمة لا تعرف العدالة ولا تحترم الحقوق. يُصوّر السجن كأداة تستخدمها السلطة لإخماد صوت المثقف الحر وإلغاء الرأي المعارض. ومن خلال هذا، يُظهر الكاتب كيف يتحوّل القانون إلى وسيلة لتبرير القهر، فيغدو السجن رمزا لغياب الحرية والعدالة معا.
13. تُجسّد الرواية صورا متعددة للظلم الذي يتعرض له السجن السياسي، بدءا من الاعتقال التعسفي إلى التعذيب الجسدي والنفسي. ويصف الكاتب هذا الظلم بوصفه مرضا اجتماعيا لا يقتصر على السجن فحسب، بل يمتد إلى كل مؤسسات الدولة. ومن خلال ذلك، تصبح الرواية شهادة أدبية على غياب الإنسانية في واقع تحكمه القوة والبطش.
14. تُبرز الرواية أن الهدف الأعمق من السجن ليس العقاب، بل محو هوية السجن الفكرية والوطنية. فالبطل يواجه محاولات مستمرة لترويضه فكريا وإخضاعه نفسيا، إلا أنه يتمسك بقيمه ومبادئه رغم القهر. ويُظهر أيا من العتوم في هذا الصراع أن الكلمة الصادقة والفكر الحر أقوى من كل أشكال العنف السلطوي.
15. تُصوّر الرواية الحرمان بوصفه أحد أوجه القهر الممنهج في السجن، حيث يحرم السجن من التعليم والعلاج والطعام الجيد وحتى من النوم الكافي. هذا الحرمان المتعمد لا يهدف إلى التأديب فقط، بل إلى تحطيم كرامة الإنسان وتجريده من إنسانيته. ومن خلال هذا الوصف، تُدين الرواية كل نظام يستخدم الحرمان وسيلة للسيطرة على البشر.
16. تمتزج في الرواية مشاعر الحنين للأهل مع حب الوطن الطبيعي. يربط الكاتب بين تجربة السجن ومعاناة الوطن تحت القمع، فيصبح الألم الفردي رمزا لوجع جماعي. ومن خلال هذه الصورة، تتحول الرواية إلى صوت وطني يرفض الاستسلام ويؤكد على قوة الانتماء.
17. تُظهر الرواية أن المقاومة لا تكون بالسلاح فقط، بل يمكن أن تكون بالكلمة والثبات والصبر. فالبطل يواجه القهر بالكتابة والإيمان بالقيم، رافضا الخضوع أو المساومة. وتؤكد

الرواية من خلاله أن الفكر الحر أقوى من القيود المادية، وأن الصمود هو شكل راق من أشكال الانتصار.

18. الحرية في الرواية ليست مطلبا سياسيا فحسب، بل هي جوهر الوجود الإنساني ومعناه. فحتى خلف القضبان، يبحث البطل عن حرية الروح والفكر قبل حرية الجسد. وتُبرز الرواية أن السجن لا يستطيع تقييدَ إنسان آمن بحرية الضمير والإرادة.

19. يوظف أيمن العتوم في الرواية عناصر الطبيعة، كالنور والمطر، رموزا للجمال والصفاء الداخلي. فبين جدران السجن المظلمة، يتذكّر البطل الجبال والهواء والشمس كصورة للحياة الحرة. كما تحضر في ذاكرته رغاء الرياح وأغاني الرّاعات، ورائحة الورد، وضوء الشمس، والمروج الخضراء، وأوراق الأشجار وظلالها، واتساع السماء، فتغدو هذه الصور رموزا للأمل والمقاومة النفسية، وطريقا إلى تجاوز القبح والظلم

20. تنتهي الرواية بإيحاء إلى أن البطل قد بلغ مرحلة من الصفاء النفسي بعد التجربة القاسية. لم تعد الحرية بالنسبة إليه مجرد خروج من السجن، بل فهمٌ أعمق لمعنى الوجود والكرامة. وبذلك تتحول المعاناة إلى تجربة روحية ناضجة، تنتهي بانتصار الإنسان على ضعفه وألمه.

النتائج الثانوية

21. أصول كلمة "السجن" تعود إلى اللغة اللاتينية (Caracer)، التي تعني "حبس واحتجاز"، ويشير المصطلح اصطلاحا إلى أي حالة يُمنع فيها الإنسان من ممارسة حريته الطبيعية، سواء جسديا أو نفسيا أو سياسيا أو اجتماعيا. وحضور السجن في الأدب العربي تطور عبر العصور: كان أكثر وضوحا في الشعر في الفترات السابقة، بينما أصبح في العصر الحديث أكثر غنى وتجليا في الرواية.

22. الرواية الأردنية جاءت كالجنس الأدبي الأكثر تفصيلاً في تصوير تجربة السجن والاعتقال السياسي والاجتماعي، بينما بقيت بقية الأجناس الأدبية أقل حضوراً. والروايات الأردنية لفتت انتباه الأدب العربي من خلال عرضها للتجارب الواقعية والخيالية للسجناء، خاصة السياسيين والكتاب الذين اعتُقلوا لأسباب سياسية، مما يعكس خصوصية وغنى الأدب الأردني في هذا الموضوع.

23. أدب السجون هو النتاج الأدبي الذي يعالج السجن وتجارب السجناء الإنسانية، حيث يُولد العذاب والضغط النفسي والحياة القاسية في السجن نار الإبداع داخل السجن. ويُعرّف أدب السجون بأنه النتاج الأدبي الذي يتناول السجن وما يتصل به من قضايا وتجارب إنسانية. ورغم الجدل القائم بين النقاد حول اقتصار هذا الأدب على الأعمال المستندة إلى التجربة الواقعية للكاتب داخل السجن، فإنّ الرأي الغالب يرى أنّ أيّ عملٍ أدبي يُعالج موضوع السجن يُعدّ جزءاً من أدب السجون.

24. نجح أيمن العتوم في بناء نموذج متميّز للأدب العربي المعاصر يجمع بين الأصالة والتجديد، وبين جمال اللغة والرسالة الإنسانية، حتى أصبحت أعماله علامة بارزة في المشهد الأدبي الحديث.

25. تمحور سبب اعتقال الكاتب أيمن العتوم حول توجهاته السياسية المعارضة، وتحديدًا قصيدة *يوميّات مواطن* كتبها تستنكر الأوضاع الاقتصادية في الأردن (الفقر والجوع)، مما اعتبرته الحكومة تحريضاً، وأدى إلى تحريك إجراءات قضائية ضده. واستمرت فترة اعتقال الكاتب عشرة أشهر كاملة، وتوزعت خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٩٦م - ١٩٩٧م. وقد شكّل تنقله بين عدة مؤسسات إصلاحية (مقر المخابرات، سجن إربد، سجن الجويذة) مادة سردية خصبة، حيث أصبحت هذه التجربة المباشرة هي الركيزة الأساسية التي بُنيت عليها رواية *يا صاحبي السجن*.

26. أثبتت الدراسة أن قرار الحظر الذي صدر بحق الرواية في الأردن لم يُعق انتشارها، بل أدى إلى نتائج عكسية؛ حيث ساهم في لفت انتباه الجمهور العالمي والنقاد إليها، مما أدى إلى زيادة كبيرة في قيمتها التسويقية وانتشارها على نطاق أوسع.

التوصيات والاقتراحات

في ضوء ما توصل إليه هذا البحث وما بيّنه تحليل أعمال أيمن العتوم، يرى الباحث ضرورة تقديم مجموعة من التوصيات للباحثين اللاحقين، بهدف دعم جهودهم في دراسة الروايات الأدبية السجنية واستكشاف ما تطوي عليه من أبعاد فكرية وفنية وإنسانية تسهم في إثراء الحقل الأكاديمي.

1. التركيز على البعد الإسلامي في أعمال أيمن العتوم الأدبية: من المهم دراسة البعد الإسلامي في نصوص العتوم، إذ يعكس القيم الأخلاقية والإنسانية مثل الحرية والعدالة والكرامة، ويسهم في فهم كيفية توظيف الدين في بناء الشخصيات والأحداث.
2. دراسة عن التناص الديني والأدبي والشعري في رواياته: يُنصح بالتركيز على تحليل التناص لفهم قدرة الكاتب على الحوار مع التراث الديني والنصوص الأدبية السابقة والمعاصرة، وكيفية دمج الشعر والسرد لتعزيز الدلالات الرمزية والفكرية للنصوص.
3. تحليل تجربة السجن بين الحقيقة والخيال: يجب دراسة المزج بين التجربة الشخصية للكاتب والخيال الفني، خاصة في رواية *يا صاحبي السجن*، لفهم كيفية تحويل فضاء السجن إلى عنصر مركزي يعكس الصراع الإنساني والحرية مقابل القيد.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1. القرآن الكريم

الروايات

1. العتوم، أيمن، رواية: *الرعب*، دار الغوثاني للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٢٤ م.
2. العتوم، أيمن، رواية: *أنا يوسف*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٩ م.
3. العتوم، أيمن، رواية: *تسعة عشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر*، بيروت، ٢٠١٨ م.
4. العتوم، أيمن، رواية: *حديث الجنود*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٢ م.
5. العتوم، أيمن، رواية: *خاوية*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٦ م.
6. العتوم، أيمن، رواية: *ذئقة /موت*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٣ م.
7. العتوم، أيمن، رواية: *ذئقة /موت*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٣ م.
8. العتوم، أيمن، رواية: *رؤوس الشياطين*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٢٠ م.
9. العتوم، أيمن، رواية: *سنة*، الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، عام ٢٠٢١ م.
10. العتوم، أيمن، رواية: *صوت /الحمير*، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، عام ٢٠٢١ م.

11. العتوم، أيمن، رواية: *كلمة الله*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٥م.
12. العتوم، أيمن، رواية: *مسغبة*، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، عام ٢٠٢١م.
13. العتوم، أيمن، رواية: *نصر من الجن*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٤م.
14. العتوم، أيمن، رواية: *هذه سبيلي*، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر، عام ٢٠٢١م.
15. العتوم، أيمن، رواية: *يا صاحبي السجن*، دار المعرفة للنشر، بيروت، ط ٢١، ٢٠١٥م.
16. العتوم، أيمن، رواية: *يسمعون حسيها*، عصير الكتب، القاهرة، ٢٠١٤م.

الدواوين الشعرية

1. العتوم، أيمن، ديوان الشعر: *طيور القدس*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١٦م.
2. العتوم، أيمن، ديوان الشعر: *نبوءات الجائعين*، دار المعرفة، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٢م.
3. العتوم، أيمن، مجموعة الشعر: *هندسة الكلمات: مهندسون شعراء*، منشورات اللجنة الثقافية، عمان، الأردن، ٢٠٠٥م.

المقابلات الشخصية

1. المقابلة المباشرة: الباحث مع الكاتب أيمن العتوم، ٢٠٢٢/١٢/٠٦م، منتج راويس كاداوو بكالكوت.

المراجع

الكتب

1. إبراهيم، صنع الله، رواية: شرف، دار الهلال، مصر، ١٩٩٧م.
2. ابن جلون، الطاهر، رواية: تلك العتمة الباهرة، دار الساق، بيروت، ٢٠٠٢م.
3. ابن هشام، كتاب في النحو: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.
4. أبو حنيش، كامل، رواية: مريم... مريم، دار الجندي للنشر والتوزيع، نابلس، ٢٠٢٠م.
5. أبورياش، موسى، كتاب في تاريخ الأدب: الرواية الأردنية: بين البدايات والراهن، وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، ٢٠٠٧م.
6. الأصمهباني، أبو عبد الله عماد الدين، كتاب في التاريخ: خريدة القصر وجريدة العصر، الدار التونسية للنشر، تونس، ج ٢، ١٩٧١م.
7. الأصمهباني، الفرج، كتاب في التاريخ: كتاب الأغاني، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ج ٢٤، ١٩٥٥م.
8. الأطرش، ليلى، رواية: امرأة للفصول الخمسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
9. الأطرش، ليلى، رواية: لا تشبه ذاتها، دار الشروق، عمّان، ٢٠٢٠م.
10. أمين، مصطفى، رواية: سنة أولى سجن، دار أخبار اليوم، مصر، ط ٩، ١٩٩١م.
11. انتخابي فرد، كامليا، رواية: كامليا (سيرة إيرانية)، دار الساق، بيروت، ١٩٧٩م.
12. أوفقي، مليكة، رواية: السجينة، دار ورد للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٩م.
13. بانيان، جون، رواية: رحلة الحاج، ترجمة- صبحي القن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.

14. البخاري، محمد بن إسماعيل، كتاب في الحديث: صحيح البخاري، تحقيق- محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الرياض ٢٠٠١، ج ١.
15. البزرة، أحمد مختار، كتاب في الشعر: الأسر والسجن في شعر العرب (تاريخ ودراسة)، مؤسسة علوم القرآن، سوريا، ط ١، ١٩٨٥م.
16. بشير، نصر الصديق، كتاب في النقد: وهج القناديل - قراءات في أدب الشاعر الروائي أيمن العتوم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٩م.
17. بلزك، أونيريه دو، رواية: الكوموديا الإنسانية، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٠م.
18. بوثنىوس، كتاب في الفلسفة: عزاء الفلسفة، ترجمة-إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.
19. بوغرارة، زكريا، رواية: الأكف الممزقة، مؤسسة وإسلاماه للإعلام، المغرب، ٢٠١٩م.
20. التبريزي، زكريا، كتاب في الشرح: ديوان الحماسة للتبريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ٢٠٠٠م.
21. الحسنائي، محمد بهار، رواية: في غيابة الجب، دار المأمون، دمشق، ٢٠٠٥م.
22. الحلاق، خيرى، رواية: سرنامة، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٢٣م.
23. الحمداني، أبو فراس، ديوان الشعر: الديوان، مكتبة الدكتور مروان العطية، بيروت، ١٩٩٤م.
24. خريس، سميحة، رواية: بابنوس، دار ظفاف للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠١٤م.
25. خريس، سميحة، رواية: شجرة الفهود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦م.
26. خريس، سميحة، رواية: فسق عبيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عمان، ٢٠١٦م.
27. خليفة، مصطفى، رواية: القوقعة، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٨م.

28. د/ أنقار، محمد، كتاب في النقد: بناء الصورة في الرواية الاستعمارية، مكتبة الإديسي للنشر والتوزيع، تطوان، ط ١، ١٩٩٣ م.
29. د/ بدر، عبد المحسن طه، كتاب في النقد: تطور الرواية العربية الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٦ م.
30. د/ بدر، عبد المحسن طه، كتاب في النقد: تطور الرواية العربية الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٦ م.
31. درويش، محمود، قصيدة: آخر الليل، مطبعة الجليل، فلسطين، ١٩٦٧ م.
32. ديستوفيسكي، رواية: ذكريات من بيت الأموات، ترجمة: سامي الدروبي، دار التقدم، بيروت، ١٩٧١ م.
33. الزوزني، الحسين بن أحمد، كتاب في شرح الشعر: شرح المعلقات السبع، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤.
34. زيدان، جرجي، كتاب في النقد: تاريخ الآداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٨ م.
35. سبول، تيسير، رواية: أنت منذ اليوم، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٨ م.
36. السراحين، رائد، كتاب في النقد: آليات السرد وتشكيل الخطاب، دائرة المكتبة الوطنية المملكة الأردنية الهاشمية، الأردن، ٢٠٢٠ م.
37. السعافين، إبراهيم، كتاب في تاريخ الأدب: الرواية في الأردن: نشأتها وتطورها، دار الشروق، عمّان، ١٩٩٥ م.
38. سقراط، كتاب في الفلسفة: اعتد/سقراط، ترجمة- فؤاد زكريا، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٨٨ م.
39. شكري، محمد، رواية: الخبز الخافي، دار الساقى للطباعة والنشر، لندن، ١٩٨٢ م.
40. شلش، خالد، كتاب في النقد: اتجاهات الرواية الأردنية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمّان، ١٩٩٣ م.

41. الشنفرى، قصيدة: لامية العرب، تحقيق- د. محمد مطر سالم بن عابد الكعبي، دار القلم، دمشق، ط ١، ٢٠١٦م.
42. شوقي، أحمد، كتاب في الشعر: الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ١، ٢٠٠٣م.
43. شوقي، أحمد، كتاب في الشعر: ديوان أحمد شوقي، دار الأرقم، مكة، ٢٠١٦م.
44. شيرين، محمد حسن سليمان، رسالة ماجستير: دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون، جامعة القدس، فلسطين، ٢٠١٨م.
45. الصمد، واضح، كتاب في أدب السجون: السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
46. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، كتاب في التفسير: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار هجر، مصر، ٢٠٠١.
47. عبد الغنى، مصطفى، كتاب في النقد: الاتجاه القومي في الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤م.
48. عدوان، ممدوح، رواية: حيونة الإنسان، دار قدمس للنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.
49. عصفور، إبراهيم، كتاب في النقد: الأدب الأردني المعاصر، دار الشروق، عمان، ١٩٨١م.
50. العطيات، محمد، كتاب في النقد: القصة الطويلة في الأدب الأردني: البدايات في الرواية الأردنية من بدء الإمارة ١٩٢١-١٩٧٧، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١١م.
51. العلاق، علي جعفر، كتاب في النقد: شعرية الرواية- علامات في النقد، المجلد ٦، الجزء ٢٣، ١٩٩٧م.
52. العمري، عبد العزيز بن إبراهيم، كتاب في التاريخ: الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠١.
53. غرابية، هشام، رواية: ليلة في السجن كألف ليلة، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٢م.

54. الغزالي، زينب، رواية: أيام من حياتي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ١٩٩٩م.
55. فارس، محمد عادل، كتاب في أدب السجون: لأنهم قالوا لا، ناشرون بلا حدود، ٢٠٠٧م.
56. فركوح، إلياس، رواية: أرض اليمبوس، دار الكرمل، عمان، ١٩٨٧م.
57. قطب، سيد، كتاب في الفكر الإسلامي: معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣م.
58. لافونتين، جان دو، كتاب في الأدب: خرافات لافونتين، ترجمة- سعيد بنكراد، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ١٩٩٨م.
59. الماغوط، محمد، رواية: سآخون وطني، دار المدى للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٨٧م.
60. محفوظ، نجيب، رواية: أيام الأسر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.
61. محفوظ، نجيب، رواية: كرنك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.
62. محمد أبو رمان، كتاب في السياسة: الإصلاح السياسي في الأردن - الصوت الواحد، الإسلاميون والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧.
63. المرزوقي، أحمد، رواية: تزامرت الزنزانة رقم ١٠، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٢م.
64. المصاروة، إيمان، دراسة بحثية: أدب السجون في فلسطين: دراسة توثيقية.
65. المعوش، سالم، كتاب: شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.
66. منيف، عبد الرحمن، رواية: شرق المتوسط، دار التنوير، مصر، ١٩٧٥م.

67. الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم، كتاب في الأمثال: مجمع الأمثال، تحقيق- محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.
68. ناجي، جمال، رواية: عندما تشيخ الذئب، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٨م.
69. نعيمة، حسن سليم، كتاب في أدب السجون: شعراء وراء القضبان، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٨٦م.
70. النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، كتاب في الحديث: صحيح مسلم، تحقيق- محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧.
71. هلسا، غالب، رواية: الضحك، دار الآداب، بيروت، ١٩٧٠م.
72. الهودلي، وليد، رواية: وهكذا أصبح جاسوسا، مركز الزيتونة، رام الله، ٢٠٠٩م.
73. هيكل، أحمد، كتاب في تاريخ الأدب: تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع إلى الحرب الكبرى الثانية، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٤م.
74. Freud, Sigmund. Book on Psychology: *The Interpretation of Dreams*. Translated by James Strachey, vol. 4, The Standard Edition of the Complete Psychological Works of Sigmund Freud, Hogarth Press, 1953, page: 122.
75. Shah, B. A., Article: *The Arabic Novel in Jordan: Origin and Development*, Spring Journal of Arabic and English Studies, 2022.

المقالات

1. تواتي، خالد، مقالة: مصطلح الفضاء: من الأصل اللغوي إلى الوضع الاصطلاحي في النقد العربي المعاصر، مجلة أنساق، دار نشر جامعة قطر، قطر، ج ٣، ع ٢، ٢٠١٩م.
2. خولة حجاب، مقالة: السيرة الذاتية وتجلياتها في رواية "يا صاحبي السجن" لأيمن العتوم، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ج ٥، ع ٢، يونيو ٢٠٢١م، ص ٣٨٥-٤٠٢.
3. د/ خليفي، شعيب، مقالة: النص الموازي للرواية: استرجاع العنوان، مجلة الكرمل، ع ٤٦، ١٩٩٢م.

4. د/ زيناي، طارق، بحث علمي: ظاهرة شعر السجون وتجلياتها في الأدب العربي القديم، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، يونيو ٢٠٢٠م، ISSN:2602-8018.
5. د/ شنقار، أسماء إبراهيم، مقالة: عتبة العنوان في روايات أيمن العتوم، مجلة سرديات، ج ٧، ع ٢٣، ٢٠١٧م.
6. د/ عبد الناصر. س. ج، مقالة: دقة العناوين في روايات أيمن العتوم "يا صاحبي السجن نموذجاً"، مجلة كيرالا، قسم اللغة العربية، جامعة كيرالا، ع ٢٦، يوليو ٢٠٢٥م. ISSN:2277-2839.
7. د/ علي، كواري، مقالة: مظاهر أدب المقاومة في ديوان نبوءات الجائعين لأيمن العتوم، مجلة الباحث، جامعة إمام علي، إيران، ٢٠٢٠م.
8. د/ فارساني، عباس يد الله، مقالة: استدعاء الرموز في شعر أيمن العتوم، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسية بن بو علي الشلف، الجزائر، ج ١١، ع ٠٢، ٢٠١٩م.
9. د/ فارساني، عباس يد الله، مقالة: قصيدة أفدي بلاءك لأيمن العتوم مقارنة سيمائية، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف، العراق، ٢٠٢٠م.
10. عبد اللطيف، حواء، مقالة: الواقعية السحرية في الرواية الإسلامية المعاصرة رواية تسعة عشر لأيمن العتوم أنموذجاً، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست، الجزائر، ج ١٠، ع ٤، نوفمبر ٢٠٢١م.
11. غرابية، هشام، مقالة: الكتابة في الزنزانة امتداد داخلي للحرية، صحيفة العربي الجديد، ١٢ حزيران ٢٠١٧م.
12. فارساني، عباس يد الله، مقالة: الانزياح الدلالي في شعر أيمن العتوم ديوان خذني إلى المسجد الأقصى نموذجاً، مجلة الأدب العربي، السنة الحادية عشرة، العدد ١، ربيع وصيف ٢٠١٩م.

13. كاكفور، رحيم، مقالة: لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها، مجلة دراسات أدب المعاصر، الجزائر، ط ١٦، ٢٠١٧م.
14. مقالة: دليل النهج القائم على حقوق الإنسان لمكافحة استخدام القوة، مجلة حقوق الإنسان والسجون، مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، عدد ١١، ٢٠٠٤م.
15. الموس، محمد عبد الله، مقالة: فخاريكسر بعضه، صحيفة الأيام، اليمن، ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٣م.
16. الناقوري، إدريس لعبة، كتاب في النقد: النسيان - دراسة تحليلية نقدية، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٤م.

الرسائل الجامعية

1. الأرنؤط، عبيدة، رسالة الماجستير: فضاء السجن في رواية يسمعون حسيها للدكتور أيمن العتوم، قسم اللغة العربية، جامعة حلب، سوريا، ٢٠٢٣م.
2. الأسود، أريج، أطروحة الدكتوراة: التشكيل الجمالي في الخطاب الروائي عند أيمن العتوم، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠٢٠م.
3. بلمو، غفار، رسالة الماجستير: الفاتحة النصية في رواية أنا يوسف لأيمن العتوم، قسم اللغة والأدب العربي، المركز الجامعي بلحاج بو شعيب عين تموشنت، الجزائر، ٢٠٢٠م.
4. التميمي، أيمن سليمان خالد، رسالة ماجستير: السجنون في العصر العباسي ١٣٢هـ-٣٣٤هـ، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، ١٩٩٧م.
5. الخطيب، محمد عبد الناصر محمد، رسالة الماجستير: عتبات النص في روايات أيمن العتوم: دراسة تحليلية، قسم اللغة العربية، جامعة الأقصى، غزة، ٢٠١٤م.

6. خان، فرمان الله، أطروحة الدكتوراة: بناء الشخصية في روايات أيمن العتوم، كلية اللغة العربية، باكستان، ٢٠٢٤م.
7. د/ أنقار، محمد، بناء الصورة في الرواية الاستعمارية، مكتبة الإديسي للنشر والتوزيع، تطوان، ط١، ١٩٩٣م.
8. د/ فارساني، عباس يداللي، رسالة الماجستير: الأنماط التراثية في شعر أيمن العتوم، ديوان خذني إلى المسجد الأقصى نموذجاً، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد جمران، الأهواز، ٢٠٢٠م.
9. رفيق، ملاك، رسالة البكالوريوس: دراسة فنية في رواية أنا يوسف للروائي أيمن العتوم، كلية الآداب، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ٢٠٢٣م.
10. زهر، حنان، رسالة الماجستير: المأساة في رواية يسمعون حسيبها لأيمن العتوم، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ٢٠٢٠م.
11. طاهر، لرقط، أطروحة الدكتوراة: الآخر في رواية كلمة الله لأيمن العتوم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المركز الجامعي صالحى أحمد، النعامة، الجزائر، ٢٠٢١م، ص ١٦٦
12. العابد، وردة، رسالة ماجستير: السجن والسجناء في الأندلس الإسلامية (١٣هـ-٤٧٩هـ)، جامعة قسطنطينة، ٢٠١٨م.
13. كشتو، يمان، رسالة الماجستير: تقنيات السرد في روايات الكاتب أيمن العتوم، قسم اللغة العربية وثقافتها، جامعة ماردين، الجمهورية التركية، ٢٠٢٠م.
14. محمد علي حسين، أسامة، رسالة الماجستير: اللغة والسرد في رواية السجن: التشكيل والوظيفة عند (أيمن العتوم - صنع الله إبراهيم) دراسة وصفية تحليلية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة طنطا، ٢٠١٧م.
15. محمود النجار، خولة، رسالة الماجستير: القدس في أدب أيمن العتوم، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٢٢م.

16. مصاورة، إيمان، رسالة الماجستير: أدب السجون في فلسطين: دراسة توثيقية، ٢٠٢٠م.
17. مصطفى ابن حامد، رسالة الماجستير: الفضاء الروائي في رواية يا صاحبي السجن أيمن العتوم، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ٢٠١٧م.
18. مفيد، هلال حجي هالة، رسالة الماجستير: الصورة الشعرية عند أيمن العتوم: دراسة تحليلية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٩م.
19. نوال، عبد الدائم، رسالة ماجستير: أدب السجون عند أيمن العتوم من خلال روايته: "يسمعون حسيها" و "يا صاحبي السجن"، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، ٢٠٢٠م.
20. هناء، لعشي، أطروحة الدكتوراة: استدعاء الرمزي في ديوان قلبي عليك حبيبي، جامعة سوق أهراس، الجزائر، ٢٠٢٠م.
21. يونس، أمل، رسالة الماجستير: شعرية السرد في روايات أيمن العتوم، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٩م.

المواقع الإلكترونية

1. A5dr Encyclopedia. رواية حديث الجنود. <https://a5dr.com/wiki/>
2. Al Jazeera Culture. <https://www.aljazeera.net/culture/2013/1/15>
3. Al-Masra. <https://wp.almasra.iq>
4. Al-Saraireh Blog. http://alsaraireh.blogspot.in/2012/06/blog-post_3950.html
5. Almursal. <https://www.almursal.com/post/1054528>
6. Alwatan Voice. <https://pulpit.alwatanvoice.com>
7. Arab48 Magazine. <https://www.arab48.com/> مجلة-عرب
8. Arabic Fiction. <https://arabicfiction.org/ar>
9. Arabic Research. <https://arabicres.com/taarewara/>
10. Democrat Sudan. <https://www.democratsudan.com>
11. Dostore. www.dostore.org/print.aspx?204639
12. Dspace (Centre University Repository). <http://dspace.centre-univ>

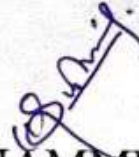
13. Encyclopaedia Britannica. "Jordan." <https://www.britannica.com>
14. <https://8ghrb.com>
15. https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_best-selling_books/
16. <https://mulakhaskitab.com>
17. <https://portal.jordan.gov.jo/wps/portal/Home/AboutJordan>
18. Jubraniah Blog. <https://jubraniah.wordpress.com/2021/12/23/>
19. Mawdoo3. تحليل رواية نفر من الجن. <https://mawdoo3.com/>
20. Merriam-Webster Dictionary. "Carcer." <https://www.merriam>
21. Muslima Abdu Blog. <http://muslimaabdu.blogspot.com/2021/07/blog>
22. Poets Gate. <https://poetsgate.com/poet.php?pt=901>
23. Rofofs. <https://www.rofofs.com>
24. Startimes. <https://www.startimes.com/?t=27468724>
25. UltraSawt. <https://www.ultrasawt.com>
26. UNESCO World Heritage Centre. <https://whc.unesco.org/en/list/1422>
27. Wahba, Ayman. مدونة أيمن وهبة. http://aymanwahba2011.blogspot.in/2012/05/blog-post_14.html
28. webster.com/dictionary/carcer
29. أنا الأردن. <http://www.anajordan.com/>
30. بالعربية. <https://bilarabiya.net/26375.html>
31. الديوان. <https://www.aldiwan.net>
32. رواياتي. <https://www.rwaiaty.com>
33. مبيتعث. <https://mobt3ath.com/dets.php?page=105&title>
34. منتدى فلسطين للحوار. <https://paldf.net/f/node/227445>
35. موسوعة المعرفة. <http://www.marefa.org/>
36. ويكاموس – القاموس الحر. <https://ar.wiktionary.org/>
37. ويكيبيديا العربية. <https://ar.wikipedia.org/>

الموسوعات والمعاجم

1. ابن زكريا، فارس، معجم: *مقاييس اللغة*، تحقيق- عبد السلام محمد بن هارون، دار الفكر، بيروت، ج ٤، ٢٠٠١م.
2. ابن منظور، معجم: *لسان العرب*، تحقيق- عبد الله الكبير، دار صادر، بيروت، ج ١٥، ١٩٩٤م.
3. الجوهري، إسماعيل بن أحمد، معجم: *تاج اللغة وصحاح العربية*، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ج ٦، ١٩٨٩م.
4. الفيروزآبادي، مجد الدين، معجم: *القاموس المحيط*، تحقيق- محمد عبد القادر، دار الفكر، بيروت، ج ١، ١٩٨٦م، ص ١١٤٣.
5. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم: *معجم الوسيط*، دار الدعوة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤٤٧.
6. مختار عمر، أحمد، معجم: *معجم اللغة العربية المعاصرة*، عالم الكتب، ج ٢، ٢٠٠٨م، ص ١٤٥٥.
7. الموسوعة العربية، الجمهورية العربية السورية رئاسة الجمهورية هيئة الموسوعة العربية، ج ١، ط ١، ١٩٩٨م.

DECLARATION

I hereby declare that the work presented in the thesis entitled “IMPRISONMENT IN AYMAN AL-OTOOM’S NOVEL ‘YAA SAHIBAI AL-SIJN’: AN ANALYTICAL STUDY” is based on the original work done by me under the guidance of (Prof.) Dr. Abdul Majeed. T.A, Professor and research guide, and has not been included in any other thesis submitted previously for the award of any degree. The contents of the thesis are undergone plagiarism check using iThenticate software at C.H.M.K. Library, University of Calicut, and the similarity index found within the permissible limit. I also declare that the thesis is free from AI generated contents.



MUHAMMED SUHAIL P P

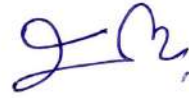
Place: C.U Campus

Date: 06/12/2025



CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled "IMPRISONMENT IN AYMAN AL-OTOOM'S NOVEL 'YAA SAHIBAI AL-SIJN': AN ANALYTICAL STUDY" is a bonafide record of research work carried out by Mr. MUHAMMED SUHAIL P P under my guidance and supervision in partial fulfilment of the requirements for the award of Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature, and no part of this thesis hitherto has formed the basis of the award of any Degree earlier.



Dr. Abdul Majeed.T.A
Professor & Head
Department of Arabic
University of Calicut
Kerala - 673635

DR. ABDUL MAJEED. T.A
Supervising Teacher & HoD
Department of Arabic,
University of Calicut

Place: C.U Campus

Date: 06/12/2025



IMPRISONMENT IN AYMAN AL-OTOOM'S NOVEL 'YAA SAHIBAI AL-SIJN': AN ANALYTICAL STUDY

Thesis submitted in partial fulfilment of the requirements for the
Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature

Submitted by
MUHAMMED SUHAIL P P

Under the Supervision of
Prof. (Dr.) ABDUL MAJEED. T. A
Head of the Department of Arabic
University of Calicut



University of Calicut
Kerala, India
2025